جـامعة عمار ثليجي بالأغـواط



دراســـــات

مجلّة دولية محكّمة

العدد: 38
جانفي 2016

ISSN 1112-4652

مجلّة "دراسات"

مجلّة دولية علمية محكّمة متعدّدة التخصّصات

تصدر عن جامعة عمار ثليجي بالأغواط

مجلّة دراسات - العدد: 38 - جانفي 2016

مجلة دراسات - العدد: 38 - جانفي 2016

الهيئة الاستشارية

قواعد النشر

1- تنشر المجلّة البحوث العلمية للأساتذة الباحثين في مختلف التخصّصات.

2- تقدّم البحوث على قرص مكتوب بنظام word أو عن طريق البريد الإلكتروني:

bourguiba_d@yahoo.fr

3- يرفق البحث بملخّص في حدود 70 كلمة من نفس لغة البحث، وملخّص ثانٍ باللغة الإنجليزية، مع الكلمات المفتاحية، وكذا ملخّص للسيرة الذاتية للباحث.

4- أن لا يكون البحث منشورًا من قبل، أو مقدّمًا للنشر في جهة أخرى، ويقدّم الباحث تعهّدًا مكتوبًا بذلك.

5- أن لا يكون البحث فصلاً من رسالة جامعية.

6- أن لا تقلّ صفحات البحث عن 15 صفحة، وأن لا تزيد عن 30 صفحة.

7- أن يلتزم الباحث منهجية علمية معتمدة.

8- البحوث التي تخلّ بأيّ ضابط من الضوابط أعلاه لا تؤخذ بعين الاعتبار.

9- تخضع البحوث والمقالات لرأي محكّمين من مختلف الجامعات.

10- ترتيب البحوث لا يخضع لأهمّية البحث ولا لمكانة الباحث.

11- البحوث التي تقدّم للمجلّة لا تردّ إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر، ولا تلتزم المجلّة بإبداء أسباب عدم النشر.

ملاحظة:

جميع الآراء الواردة في المجلّة تعبّر عن وجهة نظر أصحابها, ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجلّة أو الجامعة.

مجلة دراسات - العدد: 38 - جانفي 2016

فهرس المحتويات

مجلة دراسات - العدد: 38 - 2016

تكوين المعنى الشعري في لامية عبدة بن الطبيب

د. فؤاد فياض شتيات
كلّية الآداب والفنون
جامعة حائل-السعودية

الملخّص:

إنّ فهم المعنى نتاج للقراءة التي يتفاعل فيها القارئ مع النصّ، ويحاول ملء الفراغات المعمور بها، وتحليل النصّ يستدعي فكّ بعض شيفراته الغامضة، ويسعى نحو إنتاج معنى بطريقة جميلة إلى حدّ ما، وقراءتي لنصّ عبدة بن الطبيب اللامية، ترى أنّ القصيدة من قصائد الفتح الإسلامي بامتياز ومقولة أنّ أكثرها جاهلي وبعضها إسلامي ليست دقيقة، وأنّها تدور حول فكرة واحدة وتنسجم في بنائها الفني مع القصيدة العربية القديمة في مواضيعها المتعددة.

وفكرة القصيدة أو معناها يتمحور حول الصراع الذي يمثّل جانبا منه حبّه لخولة الكائنة في الحياة الجديدة التي استقرت في الكوفة برمزيتها الفنية، وما بذله من جهد من أجلها أثناء سعيه وجهاده مع المسلمين في عراك الفرس ومقاتلتهم، وحنينه إلى حياة البداوة الراسخة في وجدانه ومحاولته طمسها من أجل الاقتناع بالثقافة الجديدة، لكنّ حنينه ينتصر على حياة الحلم في خولة على صعيد الفنّ، وربما الواقع. وقوام البحث تحليل لذلك النصّ انطلاقا من هذه الرؤية.

الكلمات المفتاحية: شعر، المعنى الشعري، عبدة بن الطبيب، الفتح الإسلامي.

Abstract

Understanding the meaning is the result of deep reading, which is where the reader lives with the text, and trying to fill in the blanks, and trying to figure out what he wanted that the poet is saying or writer without declaring him directly, Analysis of the text calls decode the mysterious symbols, and seeks about the meaning of producing a beautiful way to somewhat, and my reading of the text of LamiyyiatAbdaibn al-Tabib, and the result of this reading that the researcher was able to confirm that the poem of poems first Islamic stage, and was at the time of the Muslim wars with other nations in the stages of Islam, which came after the Prophet Mohammed, has made a mistake who say that Some of this poem is Islamic and some Pre-Islamic; because they are talking about one idea, but they are consistent in the technical construction with the old Arabic poem in multiple themes.

The idea of the poem or its meaning centered on the conflict, which constitutes part of it his love for Khawla located in the new life that settled in Kufa, and his efforts for it during his quest and struggle with the Muslims fight the Persians and fight them, and longing to nomadic life rooted in his conscience, and he tried to erase them in order to conviction the new culture, but nostalgia conquers the dream life in Khawla at the level of art, and perhaps the reality. This is the idea of research.

إنّ الصراع حول امتلاك المعنى والوصول إليه هدف القارئ منذ أن بدأ الإنسان يتذوق النصوص الشعرية والنثرية، فمنذ أرسطو كان الشغل الشاغل لمتلقي الأدب هو المعنى، ولم يبتعد النقاد العرب عن العناية بمقصد الشاعر ومعناه، لكنّ النظرة إلى المعنى متغيرة بتغير فلسفة المتصدين لقراءة الأعمال الأدبية، وقد مرّ تطوّر النظرة للمعنى بمراحل عدّة منها: الاهتمام بالمؤلّف وفهم المعنى من خلاله واعتبار النصّ وثيقة نفسية أو اجتماعية لحياته، وعدّ المعنى المرآة العاكسة لأوضاع المجتمع الاقتصادية والتاريخية. ثمّ تحوّل المعنى ليكون نتاج القراءة التي تنشئ تفاعلا مع النصّ ومن النصّ وأبنيته لاستخراج أنظمته اللغوية والمعنوية وأنساقه ونسيجه التكويني مهملة المؤلّف، ثمّ تطوّرت النظرة تبعا لتطوّر فلسفة تفسير الوجود والموجود، فانتقل محور المعنى مجدّفا في فضاء القارئ وأضحى القارئ سيد المعنى يوضحه ويكشفه إذا كان النصّ بينا، أو يجليه ويزيل عنه الغموض ويكشف عنه الحجب التي يتلبس بها إذا كان المعنى خفيا، أو يعمل على قراءة النصّ المكتوب والخطاب الأدبي وملء الفراغات وتحليل النصّ وتفكيك شفراته لإنتاج معنى بطريقة لسانية جمالية، والأمر لم يقرّ له قرار والتجديف بكلّ الاتجاهات كائن وموجود.

وانطلاقا من أنّ فهم المعنى نتاج للقراءة التي يتفاعل فيها القارئ مع النصّ ويحاول ملء الفراغات المعمور بها، وأنّ تحليل النصّ يستدعي فك بعض شيفراته الغامضة، ويسعى نحو إنتاج معنى بطريقة جميلة إلى حدّ ما، ألج نصّ عبدة بن الطبيب ([1]) الذي قاله في عهد الفتوحات الإسلامية الأولى والمسمى بلامية عبدة ومطلعه:

هل حبل خولة بعد الهجر موصول　　　أم أنت عنها بعيد الدار مشغول

وأحاول الاستفادة من الإمكانات التي يتيحها النصّ بدءا بالمطلع المفتاح وانتهاء بمشهد الفتوة، وما يتخلل النصّ من رحلة وناقة ومشهد صيد، ورحلة عبر حاضر الفتح الإسلامي، والحنين إلى الماضي المشحون، واستخدم بعض الدلائل التاريخية للبرهنة على منطقية ما أزعمه.

وأفترض أنّ القصيدة من قصائد الفتح الإسلامي بامتياز، وأنّها تدور حول فكرة واحدة تتشعب متلاحما عبر جسد النصّ الشعري، وتنسجم مع شكل القصيدة العربية القديمة، التي أشار إلى بنيتها النموذجية ابن قتيبة ([2]) والمتجسّدة في المعلّقات وبعض قصائد المفضليات، وتتمحور القصيدة حول قبول الشاعر بعالم

---

[1]) عبدة بن الطبيب، والطبيب اسمه يزيد بن عمرو بن وعلة من زيد مناة من تميم، شاعر مجيد ليس بالمكثر، وهو مخضرم أدرك الإسلام فأسلم وكان في جيش النعمان بن مقرن الذين حاربوا الفرس بالمدائن، وقد ذكر ذلك في قصيدته التي أولها : هل حبل خولة.... ينظر، الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، ج21، تحقيق: إحسان عباس، وإبراهيم السعافين، وبكر عباس، دار صادر، بيروت، ط3، 2008م، ص 22.ويقال " وكان قد هاجر لمهاجرة حليلة له حتّى شهد وقعة بابل، فلما آيسته رجع إلى البادية وقال قصيدته " ينظر البداية والنهاية،ج9، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر،1418/1997م، ص572. وينظر خبر تحاكمه مع مجموعة من الشعراء في أيهم أشعر منهم الزبرقان بن بدر والمخبل السعدي وعلقمة بن عبدة لربيعة بن حذار اليربوعي، وابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج5، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ، ص87. وقيل كان عبدة أسود من لصوص الرباب، ينظر الضبي، المفضل، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، ط10، 1992م، دار المعارف، ص134 الهامش.

[2]) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1958م، ص727

خولة أو رفضه، إذ يبني قصيدة في محور ثنائية ضدية أساسية هي الحضور والغياب، وتجلياتها في الحاضر والماضي، أو الثقافة الجديدة والثقافة القديمة، أو الصحراء والتمدن، إذ تمثّل خولة جانب التحول والتبدّل ورفض العودة إلى الصحراء، والسعي نحو الحاضر الزئبقي الذي يجعل من عبدة الشاعر جنديا في سياق حركة واسعة تلغي فردية الإنسان وتذيبه في جسد الجماعة وتسعى إلى إسعاده في إطارها، وهذا ما لم يعتد عليه عبدة ولا يطيقه، وتفترض القراءة أنّ خولة محبوبة متحولة غير ثابته، وأنّ الثبات يتمثّل في عالم الشاعر المتجذّر في الماضي والحنين إليه. وتفترض الدراسة أنّ الزعم القائل أنّ القصيدة جاهلية إسلامية فرضية يعوزها الإثبات المنطقي ([1])، لأسباب عدّة يفترض الباحث أنّ لغة القصيدة وأنساقها المعنوية ستثبت بطلانها.

يسعى الباحث إلى إثبات فرضياته والإجابة عن أسئلة البحث باتباع منهج تحليلي لغوي جمالي، وفق خطوات منها التمهيد بمقدّمة نظرية بين يدي تحليل القصيدة عنوانه بناء المعنى وشعرية النصّ، ثمّ تحليل للنصّ وفق العناوين التالية: تبدّل المحبوبة يبدّل الخطاب الشعري، ثمّ التغني بالحيوان وتموجات الخطاب الشعري، ثمّ مشهد الصيد بين المقدس والمدنس، ثمّ شعرية التذويت، ثمّ الديك والأسد في خطاب السرد بين المعقول والمأمول.

ويعتقد الباحث أنّ تحليل القصيدة يسهم بشكل متواضع في نبش التراث الأدبي القديم وإعادة إحيائه، ويضع بين يدي القارئ اللاحق قراءة جديدة للنصّ في سلسلة القراءات السابقة والمتوقعة له، ويحرّك البنى الفكرية المتمترسة عند مثالية الإنسان العربي الذي ساهم في حركة الفتح الإسلامي وملائكيته.

ولتحقيق ما أصبو إليه استفدت من المراجع والمصادر التي تطرّقت إلى قصيدة عبدة بن الطبيب والدراسات السابقة للنصّ وهي دراسة وحيدة للفهادي، علي كمال الدين، وعنوانها الخفاء والتجلي في لامية عبدة بن الطبيب، منشورة في مجلة آداب الرافدين ومجلة الشارقة، وقد تكون هناك قراءات للقصيدة لم أطلع عليها لعدم معرفتي بها.

المعنى وشعرية النصّ.

استخدمت لفظة المعنى في البيئات العربية المختلفة بدلالة ذات طابع موضوعي كأن تدل على فكرة معيّنة أو نسبة معيّنة أو محتوى معيّن أو صفة أو غرض أو مفهوم أو ماهية أو حقيقة أو هوية ([2]) وتشير المعاجم إلى أنّ دلالة لفظة معنى: ما تقصد، ومعنى كلّ كلام: مقصده، ومعنى كلّ شيء محنته وحاله التي

---

[1]) ينظر ضيف، شوقي، العصر الإسلامي، دار المعارف بمصر،ط4، 1963م، ص 64_65. إذ يقول في تعليقه على قصيدة ربيعة بن مقروم الضبي " وهو يتحدث بجانب صنيعه في تلك الحرب عن اقتحامه لحوانيت الخمارين ويفخر بأنه يسقي صاحبه الصبوح، ونحن نعرف أن الإسلام حرّم الخمر، ومن ثمّ كنا نقطع بأن القصيدة تتألف من جزأين قيل أولها في الجاهلية وثانيهما في الإسلام، وسنرى عند حسان بن ثابت قصيدة على هذه الشاكلة... ومن ذلك قصيدة لعبدة بن الطبيب، وهو من الشعراء الجيدين الذين أبلوا في حروب القادسية والمدائن "

[2]) راضي، عبد الحكيم، ظاهرة الخلط في التراث البلاغي والنقدي بين المعنى الأدبي والمعنى الاجتماعي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2006م، ص 10، والرباعي، ربى عبد القادر أحمد. تكوين المعنى الشعري في التراث النقدي والبلاغي، في ضوء النقد الحديث، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، إربد،2003م، ص17.

يصير إليها أمره، والمعنى والتفسير والتأويل واحد ([1]) ويبدو أنّ التأويل للمعاني والتفسير للألفاظ، ويشار إلى أنّ المعنى " فعل شعري يستند إلى تجربة فردية وإنسانية تسكب في نصّ لغوي... يوحي برؤيا خاصّة إلى العالم والحياة " ([2]).

وقد جاء الحديث عن المعنى الشعري عند النقاد العرب من خلال طرح ثنائية اللفظ والمعنى، ولعلّ من أوائل من اهتم بذلك الجاحظ في نظريته المشهورة المعاني المطروحة إذ يقول " والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العربي والعجمي والقروي...، وإنّما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وصحّة الطبع وكثرة الماء وجودة السبك"([3]) وقد اجتر كلامه كثير من النقّاد القدماء([4])، ثمّ حاول الباحثون المحدثون دراسة تكرار تلك المقولة في النقد القديم، فأشاروا إلى أنّ المعاني المطروحة لدى الجاحظ آتية من موقفه من الإعجاز في اللفظ والنظم، أو أنّه وقف هذا الموقف من المعنى ردة فعل لما شاع في عصره من جري وراء تسجيل السرقات في المعاني، ورغبته في النأي بالنفس عن الخوض في ذلك، أو انتصارا للعنصر العربي الذي يتحمس للفظ مقابل حماس الشعوبيين للمعنى، وحاول أولئك تفسير مصطلح المعنى على أنّه المادّة الأولية المشتركة للجميع، أو هو المعنى الخاصّ بالشاعر المبدع([5]) .

ويشير بعضهم إلى أنّ المعاني المطروحة عند الجاحظ إنّما قصد بها المعاني الاجتماعية، انطلاقا من أنّه حصر صفات تلك المعاني بأمرين، أولهما: العموم والشيوع، وهي المعاني التي في متناول الجميع، وثانيهما: سهولة الإيجاد، والصفتان تشيران إلى المعاني الاجتماعية التي يقبلها المجتمع ويصوغ منها الشعراء معاني المديح والفخر والرثاء، والمعاني الاجتماعية التي يرفضها المجتمع كمعاني الهجاء، ولعلّ ما يثبت ذلك إلحاح النقد القديم على ثقافة الشاعر كحفظ قريض الشعر وروايته ومعرفة النسب، وأيام العرب وأخبارهم، ليستعين على معرفة المناقب والمثالب وذكرها في مدح أو ذم ([6])

ويبدو أنّ نظرة النقاد العرب إلى المعنى تنسجم مع ثقافتهم التي تود الاهتمام باللغة العربية خدمة للقرآن وإعجازه. وتمحور نقدهم للمعنى حول المؤلّف باعتباره السلطة التي تملك المعنى (الحقيقة) انسجاما مع نظرية الإعجاز المطبّقة في الدراسات القرآنية ([7])، وسعيهم للثبوت عند النموذج الشعري القديم المسمى بعمود الشعر العربي الذي يجزئ العمل الأدبي إلى جزئيات، ولا ينظر إليه وحدة واحدة يمتلك معنى أو فكرة

---

[1]) ابن منظور، لسان العرب، مادّة عني.

[2]) الرباعي، ربى عبد القادر أحمد. تكوين المعنى الشعري في التراث النقدي والبلاغي، في ضوء النقد الحديث، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، إربد،2003م، ص5.

[3]) الجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان، ج3، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1965م، ص131،132.

[4]) ينظر على سبيل المثال. ابن جعفر، أبو الفرج قدامة، نقد الشعر، تحقيق: كمال صالح، ط3، 1978م، ص 19.

[5]) راضي، عبد الحكيم، ظاهرة الخلط في التراث البلاغي والنقدي بين المعنى الأدبي والمعنى الاجتماعي، ص

[6]) ينظر ابن طباطبا، محمد بن أحمد، عيار الشعر تحقيق: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1982، ص10و ص37.

[7]) عبد القادر، رشراش. نظرية القراءة وتلقي النص الأدبي، مجلة الموقف الأدبي، ع 367، تشرين ثاني، سوريا،2001م، ص 41

واحدة تنمو من خلال أنسجته البنائية، ولعلّ سعيهم للانتصار للشكل أو المعنى قد أضرّ في تطوير نظرتهم النقدية لتشمل العمل الأدبي كله باعتباره يشكّل بناء كليا تعمر أنسجته حبائل وحدة عضوية تشده بعضا إلى بعض. ([1]) لذلك بقي نقد المعنى عند النقاد العرب القدماء يحوم حول المعنى داخل البيت الشعري فظهر قولهم: هذا أهجى بيت وأفخر بيت وأغزل بيت، كما ركز النقد على الانحراف في استخدام معاني بعض الألفاظ كنقد طرفة للمتلمس لاستخدامه لفظة الصيعرية لمعنى غير معناها، أو وازنوا بين استخدام شاعر لمعنى ما واستخدام آخر له في باب الموازنة بين شاعرين، أو السرقة وتتبع مصادر المعاني، وركّز النقد على ملاءمة اللفظ للمعنى ([2])، وقديما قال بشر بن المعتمر " من أراغ معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما " ([3])، وبصورة عامة كانت نظرتهم للمعنى لا تعدو أن تكون أفكارا جزئية محدودة ولذلك لم يلتفت إلى فاعلية السياقات الشعرية ([4])

أمّا نظرة النقد الحديث للمعنى فمتطوّرة تنساق في أتون الفلسفة الفكرية والنقدية التي تفرزها، وتسبر غور الماضي لتمتح من رؤية أرسطو للمعنى باعتباره الرؤية الذهنية والعقلية الخالصة للأشياء والكلمات التي نحيل بواسطتها على الموضوعات وهي التي تكون التصوّرات، والتصوّر هو رؤيتنا البسيطة للأشياء التي تعرض لفكرنا، كتمثّلنا الشمس والأرض دون أن نكوّن عنها أي حكم صريح، والمعنى كغاية للفكر إنّما يراد به الحقيقة في أسمى تجلياتها([5])، لكنّ هذه النظرة تطوّرت عبر مجموعة من النظريات منها: نظرية التحقق التجريبي، ونظرية الدلالة الاستعمالية، والنظرية السلوكية في المعنى، وكلها تستند إلى أنّ اللغة صورة منطقية للعالم، ونتيجة تلك النظريات أصبح المعنى مجموعة من العلاقات التي تستوجب التحليل والحساب الرياضي.([6])

وقد مرّ التطوّر في النظرة للمعنى الأدبي بعدّة مراحل منها أنّ المعنى يمتلكه المؤلّف والنصّ وثيقة وذلك ما طبّقه المنهج السياقي وما يضمّ من مناهج اجتماعية أو تاريخية أو نفسية، ويبدو أنّ النصّ لديهم امتداد وتجلّ للحقيقة المعرفية، والمعنى تمتلكه بنية النصّ وهو قار وجاهز فيه، وقد برز ذلك لدى البنيويين والأسلوبيين، ثمّ إنّ المعنى يتكون بالقراءة والتلقي وعنوانه قارئ النصّ وذلك في التداولية، والتأويل، والتفكيكية.

[1]) ينظر، بكار، يوسف حسين، بناء القصيدة العربية القديمة، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1979م، ص 419-421.

[2]) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، كتاب الصناعتين، تحق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1952م، ص69.

[3]) الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص135.

[4]) الزبادي، حسين لفته حافظ، المعنى في النقد العربي حتّى نهاية القرن السابع الهجري، رسالة دكتوراه، جامعة الكوفة، كلية الآداب، الآداب، قسم اللغة العربية، 1428، 2007م، ص 24.

[5]) أخدوش، الحسين، مشكلة المعنى في المنطق بين نظرية التصور ونظرية الحكم، مقال إلكتروني، 30 أيلول 2011م.www.alawan.org

[6]) أخدوش، الحسين، مشكلة المعنى في المنطق بين نظرية التصور ونظرية الحكم، مقال إلكتروني، 30أيلول 2011م.www.alawan.org

عدّ الاتجاه الأوّل الأدب فنّا لغويا، واللغة أداة اجتماعية لا تكون إلا حيث يكون المجتمع الذي يمارسها ([1]) والمعنى في الأدب يعكس أوضاع المجتمع و" القصيدة غير قابلة للنفاد، لأنّها التقطت كتجربة، والتجربة حدث تاريخي...، واللغة التي توضحها هي أيضا لغة معاشة في لحظة وجود، وكل شعر بهذا المعنى هو حادثة تاريخية، وهذه هي ميزة الشعر الخاصّة " ([2])

رأى سانت بيف أنّ المعنى يمكن التعرّف عليه من خلال السيرة والتاريخ، ويمكن للناقد كشف المعنى بدراسة مؤلّف النصّ من حيث علاقته بجنسه ووطنه وعصره وأسرته وثقافته وبيئته الأولى وأصحابه الأدنين، ويبدو أنّ المنهج التاريخي يبحث عن معنى العمل الأدبي في التاريخ. ثمّ تحدّث علماء الاجتماع عن الأدب فربطوا بين فهم المعنى في الأدب، وفهم الأبنية الاجتماعية وجوانبها الاقتصادية، وبينوا أنّ الانتماء الأيديولوجي للكاتب هو الذي يكشف عن سلوكه اللغوي ووعيه الفنّي ([3]) وقد رأى فيكو " وجود لغة ذهنية في طبيعة الأنظمة البشرية مشتركة عند جميع الأمم تدرك جوهر الأشياء الموجودة في الحياة الاجتماعية البشرية على نحو متماثل، وتعبر عنها تكيّفات متعددة تعدّد الجوانب في هذه الأشياء"([4]) ويشار إلى أنّ العمل الفنّي غير منغلق على نفسه بل يندرج ضمن سياقات اجتماعية وثقافية([5])

وقد عدّ ماركس أنّ من مهامّ الأدب الأساسية تحرير الإنسان من الظلم، ورأى الأدب سلاحا تستخدمه الطبقات الاجتماعية في صراعها على السيادة في المجتمع([6])، وجعل الأدب نتاجا له أثره في تكوين شخصية الفرد في أيّ مجتمع كان، وأداة ناجحة في تربية الناشئة... فهو يقدّم صورة ما عن المجتمع الذي أنتج فيه،.. ودرس الأدب كوثائق اجتماعية، يقول توماس وارتون: الأدب مرجع لتاريخ الحضارة([7]). كما يرى هيرش " أنّ معنى النصّ لا يمكن تحديده بمعزل عن قصد المؤلّف"([8])

فـ " الشعر يرسم بشكل عضوي إيقاعي فذّ وقدرة على الإثارة والخلود تفاعلا جدليا بين الفرد بصفته إنسانا يجهد لإشباع حاجات الطموح الإنساني وبين قضايا المجتمع المتشابكة في زمن معيّن للانطلاق إلى واقع جديد أكثر إشراقا "([9])

---

[1]) عبدلي جمال، تمركز سلطة المعنى في الخطاب الأدبي، المتنبي أنموذجا، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة معمري مولود، تيزي وزو، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، 2014/6/12م، ص 10

[2]) كوهين، جون، اللغة العليا، ترجمة: أحمد درويش، ص 177

[3])ياسين، عبد العزيز أبو سريع، اتجاهات الفكر الأوروبي في تحليل النصوص الأدبية، ص14.

[4]) ياسين، عبد العزيز أبو سريع، اتجاهات الفكر الأوروبي في تحليل النصوص الأدبية، 102.

[5]) علاق، فاتح، التحليل السيميائي للخطاب الشعري في النقد العربي المعاصر مستوياته وإجراءاته، مجلة جامعة دمشق، مجلد 5، عدد1، 2009م، ص 151.

[6]) عبدلي جمال، تمركز سلطة المعنى في الخطاب الأدبي، المتنبي أنموذجا،ص11.

[7])عبدلي جمال، تمركز سلطة المعنى في الخطاب الأدبي، المتنبي أنموذجا،ص13

[8]) أسماء، باجي، إشكالية المعنى الأدبي في النظرية الأدبية المعاصرة، إستراتيجية التفكيك نموذجا، ص116

[9]) الرباعي، عبد القادر، مقالات في الشعر ونقده، منشورات مكتبة عمان، 1986م، ص 78.

أمّا المنهج النفسي فقد رأى أنّ المعنى يمكن كشفه عن طريق نظريات علم النفس، وتوصّل كونراد أيكن في أمريكا عام 1919م في تطبيقه للنظريات النفسية على الشعر في كتابه (شكوك) إلى فرضية ترى أنّ الشعر نتاج طبيعي عضوي ذو مهامّ يمكن جلاؤها وهو قابل للتحليل([1]) أمّا علماء الجمال وفلاسفته فرأوا أنّ الأدب والفنّ تعبير عن رؤية الكاتب للعالم والكون من حوله([2]) وقد أعطت دراسة النصوص الأدبية دراسة نفسية... نفسية... رافدا معرفيا زاد في اتساع مجال النقد الأدبي، وأضحى هذا المجال أداة معرفية تعرّف فيها أغوار نفس الأديب، كما أسهمت في معرفة الدافع الخفي وراء الإنتاج الأدبي([3]) ويرى فرويد أنّ " الكاتب عصابي عنيد يصون نفسه بواسطة العمل الإبداعي من الانفجار ومن أي شفاء فعلي"([4])

وقد تأثر الاتجاه اللغوي بالتراث النقدي الذي سبقه، فالبنيوية عدّت اللغة بنية إنسانية مهمّة قادرة على تحويل جمل أساسية متنوعة إلى أوسع تشكيلة من التفوّهات الجديدة في الوقت الذي تحتفظ فيه اللغة بهذه الجمل في بيئتها الخاصّة ([5]) والبنيوية مخاض فلسفي وفكري طبع الفكر الفلسفي الغربي منذ ما يربو عن ثلاثة قرون، تمحور حول أنّ الحقيقة تكشف من خارج الأشياء أو في صميم الأشياء، ويبدو أنّ البنيوية رأت المعنى في النصّ وأنساقه، وبحثت عن المعنى في بنيته دون النظر إلى قائله أو ظروفه. وقد أماتت البنيوية المؤلّف في امتلاكه الحقيقة/ المعنى، ورأت أنّ وجوده تعطيل لفعالية النصّ وقتل لكينونته، وبعملها هذا أعطت فضل إنتاج المعنى وإقرار الدلالة للنصّ، وأصبح المعنى هو الكشف عن طابع النظام في النصّ. ولم تلبث البنيوية أن سارت مجاريها في شعاب متعددة، فهي مجموعة شديدة التنوع من المذاهب المتناقضة أحيانا، والمنتمية إلى خلفيات فلسفية شديدة التباين تشمل وجودية سارتر وظواهرية هوسرل، وعلمانية باشلار، واللغويات المعاصرة، والماركسية أو بعض أفكارها ([6]).

وأعاد البنيويون دراسة القضايا المحيطة بالنصّ وأدخلوا للكلمات أبعادا سياسية واجتماعية وتاريخية وأسطورية وأيديولوجية وآلية ([7])، ودرسوا أبنية اللغة استنادا إلى آراء دي سوسير ونظراته للمعنى في محوريه الأفقي والعمودي.

أمّا المنهج العام لتحليل النصّ للوصول إلى المعنى فجعلوا له إستراتيجية تقوم على تلخيص العمل الأدبي... في صورة جمل مكونة من مسند ومسند إليه حتّى يتأتى الحدّ الأدنى من مستوى التذوق الأدبي أو

---

[1]) ياسين، عبد العزيز أبو سريع، اتجاهات الفكر الأوروبي في تحليل النصوص الأدبية، مطبعة السعادة، القاهرة، 1991م، ص 14.

[2]) ياسين، عبد العزيز أبو سريع، اتجاهات الفكر الأوروبي في تحليل النصوص الأدبية، ص14.

[3]) عبدلي جمال، تمركز سلطة المعنى في الخطاب الأدبي، المتنبي أنموذجا، ص26

[4]) ويليك، رينيه، وأورين أوستن. نظرية الأدب، ترجمة: محيي الدين صبحي, المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1981م، ص 84.

[5])ياسين، عبد العزيز أبو سريع، اتجاهات الفكر الأوروبي في تحليل النصوص الأدبية، ص102.

[6]) ويليك،رينيه. مفاهيم نقدية، ترجمة: محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، 1987م،ص 458.

[7]) ياسين، عبد العزيز أبو سريع، اتجاهات الفكر الأوروبي في تحليل النصوص الأدبية،ص224.

حتّى يظهر شبح المعنى، ثمّ دراسة العناصر اللغوية من مفردات ومعاني إيحائية وصور ورموز ووزن وترتيب للقصيدة ولشكلها المرئي ومغزاها العام مع الإفصاح عن العلاقات المنطقية والمكانية والزمانية بينها ([1])

وتعد الأسلوبية من المناهج التي تدرس النصّ وترى المعنى كائن فيه، إذ تتناول الظاهرة الأدبية من حيث مكوناتها اللغوية وخصائصها النوعية، والشروط اللازمة لأداء وظيفتها الإبلاغية والانفعالية. وهناك من نظر إلى الظاهرة الأسلوبية باعتبارها عفوية تلقائية ناتجة عن لا وعي الكاتب، أو هي انتقائية إرادية مكانها وعي الكاتب، وهناك من نظر إلى الأدب على أنّه شكل راق من أشكال الاتصال، ونصّه تموت صلته بمؤلّفه حال ولادته، وتبدأ العلاقة بين النصّ وقارئه ليستكشف مواطن جماله الأسلوبية ومعانيه، وقد رأت الأسلوبية أنّ المعنى كائن في دراسة السياق اللغوي وأساليبه " إنّ معنى الشعر يعتمد على السياق، فالكلمة لا تحمل معها فقط معناها المعجمي بل هالة من المترادفات والمتجانسات، والكلمات لا تكتفي بأن يكون لها معنى فقط بل تثير معاني كلمات تتصل بالصوت أو بالمعنى أو بالاشتقاق أو حتّى تعارضها وتنفيها " ([2]). ثمّ نتج عن التبدّلات المتسارعة في ما بعد البنيوية بروز اتجاهات عديدة كالتداولية والتأويل والتفكيكية رأت أنّ عالم المعنى يملكه القارئ، وهو القادر على اكتشافه، وقد تمحورت هذه المناهج حول القارئ والتلقي. ففي التداولية مثلا يتم تحديد المعنى المقصود من قبل المتلقي بالاعتماد على السياق الاجتماعي (السياق العام)، إذ ينطلق المتلقي من السياق اللغوي ويبحث عما يوافقه من تصورات في السياق العام، ثمّ يعود من جديد للسياق اللغوي ويزيح اللبس عن المعنى، وبذلك أضحى المتلقي صاحب السلطة في تحديد المعنى. وبدأ القوم البحث في جماليات التلقي، فرأى ياوس في دراسته لتاريخ الأدب أنّ تاريخ الأدب الإيجابي يسعى إلى تحديد القوانين والسنن التي تحكم تلقي النصّ الأدبي وليس بنيته الداخلية ([3])

أمّا إيزر فأكّد عودة سلطة تحديد المعنى في الأدب من الكاتب والنصّ إلى القارئ، وأصبح القارئ منتجا للنصّ لأنّه يؤوله، وأضحت القراءة إعادة إنتاج للنصّ وإبداعا له من جديد، وتسير ممارسة القارئ التأويلية وفق إستراتيجيات محددة تقوم على تحليل بنيات النصّ وتشكيله بالاعتماد على السياق الثقافي والحضاري الذي شكّل في إطاره، شريطة أن يكون القارئ قد تمرّس في قراءة النصوص، وبذا أصبح النصّ لا وجود له خارج فعل القراءة.

أمّا ريكور فقد انطلق من فلسفة خاصّة به ترى أنّ الحداثة قد اعتدت على الإنسان، وأنّ الأنظمة السياسية تمارس استبدادا ناعما بحقّ إنسانها، وأنّ ثورة التّقانة الحديثة قد همّشت الإنسان وألغت كيانه، فدرس التأويل بالاعتماد على التأويل الديني للنصوص المقدسة، ورأى أنّ على القارئ التأمّل في البنية (الرموز اللغوية) القاعدة الأساسية للتأويل، والاهتمام بالاستعارة وعدّها الباب الذي يفترعه المؤول ويضيء عتمته ويفك غموضه وشيفراته. وللمعنى عند ريكور مظهران: المعنى الذي يريد نقله قائل الخطاب، والمعنى

[1]) ياسين، عبد العزيز أبو سريع، اتجاهات الفكر الأوروبي في تحليل النصوص الأدبية، ص243.

[2]) ويليك، رينيه، وأوستن وارين، نظرية الأدب، ص181

[3]) عبدلي جمال، تمركز سلطة المعنى في الخطاب الأدبي، المتنبي أنموذجا، ص90

الذي ينقله الخطاب فعلا "([1]) و" باشتراع النصّ مهما يكن نوعه وانفتاحه على العالم يتحول النصّ إلى حضور كلي للمعنى، يستقبل قراء مجهولين ويتحاور معهم، وهذا الحضور الزمني الدائم للمعنى المسطور في ثنايا النصّ ينقل للقارئ تجربة وجود كاتبه وشكل تفاعله مع العالم لكن القارئ لا يتلقّى المعنى خلوا من أية سابقة دلالية، بل يتلقاه مزودا بالأعراف والتقاليد القرائية التي يوفرها مجتمعه "([2])

ويرى إيكو " أنّ موضوع النصّ يساعد القارئ في اختيار الأطر الصحيحة ليحولها إلى صيغة سهلة، وليضخم بعض الصفات الدلالية للمفردة المعجمية التي يجري دمجها، ويحذر بعض الصفات الأخرى، ويخلق الايسوتوبي (المستويات الموحدة للمعنى) الذي بموجبه يقرر القارئ تأويل المظهر الخطّي للنصّ من أجل أن يحقّق بنية النصّ المسترسلة ([3])

ويقوم منهج التفكيك عند هيدجر على التأويل، إذ يمارس القارئ فيه تفكيك النصّ ويعيد تشكيله وفق رؤيته الخاصّة. فهو"يتجاوز منطوق الخطاب إلى ما يسكت عنه ولا يقوله، إلى ما يستبعده ويتناساه، إنّه نبش للأصول وتعرية للأسس وفضح للبداهات، من هنا يشكّل التفكيك استراتيجية الذين يريدون التجرد من سلطة النصوص وإمبريالية المعنى أو دكتاتورية الحقيقة"([4]) و"القراءة التفكيكية غوص في الأعماق، استنطاق للمسكوت عنه تفكير في اللامفكر فيه" واستراتيجية التفكيك " كتابة غيرية تبحث في تضاريس النصّ وبين ثناياه المطوية عن نصوص مغيبة أو مسكوت عنها لاعتبارات عدّة : تاريخية، نفسية، أيديولوجية، دينية.."([5]) والتفكيكية عند دريدا تقوم على قراءة النصّ المكتوب بدلا من العلامات، ويرى أنّ الآثار الكتابية تجعل القارئ يعيش في أغوار النصّ، يتصيد معانيه الخفية والمفردة، والمعاني تحدّد عنده من خلال دلالتها، ومن شبكة العلاقات بينها وبين دوال المفردات الأخرى، والدوال عادة غير حاضرة حضورا كتابيا بل يستدعى معناها، لذا تؤدي المفردة وظيفة مزدوجة الاختلاف والتأجيل، أمّا الاختلاف فعدم مطابقة معنى المفردة في النصّ لما هو معتاد، وأمّا التأجيل فاكتشاف المعنى الغائب الذي يؤجل حتّى يكشفه السياق النصّي.

وجوهر النقد التفكيكي قائم على مبدأ حضور الدوال وغياب المدلولات، ونسبية معناها وتعدد تخريجاته([6]) والمعنى الذي يطويه النصّ بين ثناياه لا يمكن أن يكون داخل النصّ، أي أنّه لا يتحقّق دون استجابة، ما يعني أنّ المعنى ما هو إلا استجابة القارئ، فمدلولات النصوص لا تتأتى عن طريق التصور بالعقل أو التأمل المجرد للظواهر، ولا حتّى بالتمكن من ناصية اللغة التي تنقلها، إنّما عن طريق الإنصات وإلقاء السمع إليها حتّى تظهر كلماتها بما خفي فيها من معان نسيت وغابت عن الأذهان([7]). وبصورة عامة،

---

[1]) ريكور، بول، نظرية التأويل وفائض المعنى، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006.ص 14

[2]) ريكور، بول، نظرية التأويل وفائض المعنى،.ص 17

[3]) راي، وليم، المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، دار المأمون، بغداد، 1987م، ص 149.

[4]) أسماء، باجي، إشكالية المعنى الأدبي في النظرية الأدبية المعاصرة، إستراتيجية التفكيك نموذجا، ص 81

[5]) أسماء، باجي، إشكالية المعنى الأدبي في النظرية الأدبية المعاصرة، إستراتيجية التفكيك نموذجا، ص 102.

[6]) عبدلي جمال، تمركز سلطة المعنى في الخطاب الأدبي، المتنبي أنموذجا، ص112

[7]) أسماء، باجي، إشكالية المعنى الأدبي في النظرية الأدبية المعاصرة، إستراتيجية التفكيك نموذجا،ص 67.

يقول جون كوهين إنّ "شعرية القصيدة هي ناتج معناها... والقصيدة لغة وهي إذن تعني شيئا"([1]) ويقول ج. ل. يونج عند حديثه عن فيكتور هيجو "إنّ معجزة شعريته تكمن في أنّه كان يعرف كيف يستخدم الكلمات البسيطة، فمثلا لكي يقول لنا إنّ الليل قد هبط كان هيجو يقول، كانت الحشائش سوداء، أية روعة"([2]) و"الشعر هو غناء المدلولات هو التفكير على حدّ تعبير رامبو، إنّ المعنى الشعري يؤثر على المتلقي بنفس طريقة الموسيقى"([3]) ولعلّ فلسفة دراسة المعنى في النصّ الأدبي وأدواتها متغيرة ومتطوّرة ولكنّها في صورتها العامة تتمحور حول أطراف العمل الأدبي الثلاثة: المُنتِج، والمُنتَج، والمتلقي. لكن جميع هذه الفلسفات تبحث عن المعنى أو الحقيقة الأدبية وتريدها.

جدلية المعنى وبنية اللغة في قصيدة عبدة بن الطبيب

أ- تبدّل المحبوبة وتبدل الخطاب

قال عبدة بن الطبيب:

هَلْ حَبْلُ خَوْلَةَ بَعْدَ الهَجْرِ موصولُ أَم أَنتَ عنها بعيدُ الدَّارِ مشغولُ
حلَّتْ خُوَيْلةُ في دَارٍ مُجَاوِرَةً أَهلَ المَدَائِنِ فيها الدِّيكُ والفِيلُ
يُقَارِعُونُ رُؤُوسَ العُجْمِ ضَاحِيَةً منهم فَوَارِسُ لا عُزْلٌ ولا مِيلُ
فَخَامَرَ القلبَ مِن تَرْجِيعِ ذِكْرَتِها رَسٌّ لطيفٌ وَرَهْنٌ منكَ مَكْبُولُ
رَسٌّ كَرَسِّ أَخِي الْحُمَّى إذا غَبَرَتْ يوماً تَأَوَّبَهُ منها عَقَابِيلُ
ولِلأَحِبَّةِ أَيَّامٌ تَذَكَّرُها ولِلنَّوَى قبلَ يومِ البَيْنِ تأْوِيلُ
إنَّ الَّتِي ضَرَبَتْ بَيْتاً مُهاجِرَةً بكُوفةِ الجُنْدِ غَالَتْ وُدَّها غُولُ
فَعدِّ عنها ولا تشغْلك عن عملٍ إنّ الصبابةَ بعدَ الشيبِ تضليلُ([4])

يلج الشاعر القصيدة مرتبكا، تتنازعه التبدّلات الطارئة والهزّة التي اعترته وحولته على الصعيدين المكاني والنفسي الاجتماعي إلى إنسان هامشي، تبدّلات جعلت الداخل في الجغرافيا (عرب) والخارج (فرس)، والثابت في الداخل القيم والأفعال والسلوكيات، أمّا المتحول في الخارج فالكيانات والأنساق الاجتماعية. سياقات الذات الشاعرة، وسياق الذات المجتمعية، حياة هامشية ومرحلة فتوحات وحروب مع الفرس والروم وخوف من الحاضر وحنين إلى الماضي، وضبابية في المستقبل، ثمّ انسياق الذات الإنسانية بين المقدّس والمدنّس، بين فعل الحياة وفعل القتل. والحرب " مرحلة التوتّر الأقصى في الحياة الجماعية، مرحلة الحشد العظيم وتضافر الطاقات والجهود التي تقتلع الفرد من مهنته وعائلته وعاداته وأوقات فراغه، الحرب تهدم بوحشية دائرة الحرّية التي يحيط بها كلٌّ نفسه من أجل مهنته الذاتية،... الحرب تقطع سعادة العشاق

[1]) كوين، جون. اللغة العليا، النظرية الشعرية، ترجمة: أحمد درويش، المجلس الأعلى للثقافة، 1995م، ص134.
[2]) كوهين، جون، اللغة العليا، ترجمة: أحمد درويش، ص134.
[3]) كوهين، جون، اللغة العليا، ترجمة: أحمد درويش، ص 143
[4]) ابن الطبيب، عبدة. الديوان، تحقيق: يحي الجبوري، دار التربية للطباعة والنسر، 1971م،ص57- 59.

ونزعاتهم... الحرب تقضي على القلق والسكينة دونما تمييز، فلا شيء مما هو خاصّ يبقى، لا إبداع ولا متعة ولا قلق"([1])

تبدّل حياتي وزلزال كينوني يجعل الشاعر يفتتح نصّه الشعري بأسلوب استفهامي، يتلمس الواقع، في حيرة وارتباك، الواقع يشير إلى تبدّل وانهيار، والثقافة تدعم لامعقولية الواقع، صراع ثقافي يجعل الولدان شيبا، انقطع الحبل بين الواقع والموروث، فهل انقطع الحبل السري الذي يربط بين خولة الماضي وخويلة الحاضر ؟ هل انشغل العقل عن ذلك الإرث الثقافي أم أنّه بدّل لبوسه وارتدى ثوبا جديدا؟ ومضة الانبلاج وصدمة الابتهاج ولامعقولية الواقع تجعل خولة تلك المفردة تهجر سياقها الثقافي العربي، وتتحول نحو ثقافة الغربة المتمثّلة في عالم الديك والفيل الفارسي، تتبدل الجغرافيا ويتبدل الإنسان بفعل القتل، ويصبح ولوج عالم ثقافة الآخرين جوارا، إنّ مقارعة رؤوس الفرس لم تكن لولا التبدّلات الثقافية الطارئة في حياة خولة، تلك التبدّلات التي جعلت رؤوس الفرس ثمارا تقطف مع امتلاكهم لكلّ أدوات الحرب المتاحة، فهم يتمتعون بكلّ إمكانيات الفروسية الفردية والإمكانات القتالية الجماعية.

الأمر يحتاج إلى تفسير وتوضيح، لذلك يخامر القلب ثقل تلك الثقافة الكائنة في شخصية خولة، تلك المخامرة تتسرب بشكل تصاعدي، يبدأ الشاعر باسترجاع الذكريات الماضية وقراءتها وقراءة التاريخ المتشكّل عبر ثقافة استمرت مئات السنين بين العرب والفرس، ويدخل العقل في مقامرة مع الماضي ومواجهته للحاضر، ويتشكّل ذلك التاريخ بقيده النفسي الذي ارتهن له العرب فترة طويلة، في صورة شعرية تنزاح ثقافيا نحو الموروث وتغرف منه، ويتناص الشاعر مع ثقافته مستدعيا مجموعة من الصور المشكلة لمعاناة العربي مع بيئته قوامها: المرض، والهجر والرحيل، وانبتات العلاقة، وجفاء البيئة، وقد عدّ البحتري بيت عبدة:

فعدّ عنها ولا تشغلك عن عمل　　　إنّ الصّبابة بعد الشيب تضليل

مما قيل في قبح الصّبابة بذي الشيب([2])

لم يقل عبدة ما قدّمته صراحة لكن النسيج اللغوي في بنيته العميقة يتيح للمتلقي أن يقول ما قلت، فالقراءة التقليدية تقول: إنّ خولة تلك المحبوبة التي هجرت حبيبها الشاعر واحتجنت عنه، تعاوده ذكراها بعد أن استقرت في المدينة العسكرية التي أنشأها المسلمون عشية الفتح الإسلامي. ولعلّ ما أشار إليه الطبري من أنّ الرجل قد التحق بالفتح من أجل خولة يعزز ما زعمته آنفا " وكان عبدة قد هاجر لهجرة حليلته حتّى شهد وقعة بابل، فلما آيسته رجع إلى البادية"([3])

---

[1]) كايوا، روجيه، الإنسان والمقدس، ترجمة: سميرة ريشا، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2010م، ص 253.

[2]) البحتري، أبو عبادة الوليد، الحماسة، تحقيق: محمد إبراهيم حور، وأحمد محمد عبيد، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة،2007م، ص 390.

[3]) الطبري، أبو جعفر جرير، صحيح تاريخ الطبري (الخلافة الراشدة)، م3، تحقيق: محمد بن طاهر البرزنجي، دار كثير، دمشق، بيروت، 2007م، ص101.

صحيح أن سياقات التلفظ تشير إلى انبتار العلاقة العشقية بين الإنسان وعشيقته، ومع أنّ كلّ تلفظ هو نتاج سياق أو سياقات ولا وجود لتلفظ خارج السياق، وهذا ما تؤكده نظرية النصّ والسياق أو الكتابة والسياق، والسياق منه ما هو: سياق ذاتي، وديني، وسياسي، وثقافي، ومجتمعي. لكن نسيج اللغة الشعرية يسمح للمتلقي، للقول بأنّ سياق التلفظ يعالج أزمة ثقافية مع واقع الشاعر الممزوج بالدم وأساه، والانتصارات وفرحها، وتحوله عن البيئة التي عايشها، وثنائية الخوف الموروث من الفرس الذين مارسوا السيادة على واقع العرب ردحا من الزمن، وهو يراهم ينهارون وتنهار حضارتهم أمام ثقافة العرب الجديدة، مع أنّ الفرس لا زالوا يتمتعون بالقوة نفسها، التي كانوا يتمتعون بها يوم كانوا يحكمون العرب ويقهرونهم.

لغة النصّ في مستوياتها النحوية والصرفية والأسلوبية والدلالية والسياق يخدم إمكانية القراءة التأويلية التي قدّمتها، فأبنية الأفعال تنقسم بين الزمن الماضي والزمن الحاضر، لتربط مجموعة الأفعال الماضية (حلّت، وخامر، وغبرت، وضربت، وغالت) دلاليا في سياق تبدّل المحبوبة الثقافة الموروثة، أمّا الأفعال المضارعة (يقارعون، وتذكّرها،وتأوّبه) فترتبط في سياق الحاضر المرتبك بلايقينيته، وعدم وضوح نهايته. وكذلك تشي الجملة الاسمية في البيت السادس في بنيتها النحوية وما اعتراها من تقديم وتأخير، فقد تقدّم الخبر شبه الجملة المرتبط بالأحبّة وتأخر المبتدأ أيام، ونعت المبتدأ المؤخر بجملة (تذكرها)، ثمّ تتابع الحالة النحوية لتلك الجمل في الشطرين إذ يتأخر المبتدأ (تأويل) ويتقدّم الخبر شبه الجملة (للنوى) مما يشير إلى ارتباك الواقع ورجرجته، وانبجاس ثنائية الزمن الماضي والحاضر دلاليا في الجملتين، وسيادة الدلالة المعجمية للفظة تأويل المتعددة القراءات، ما يؤكد انفتاح النصّ على ما زعمته من انزياح دلالة (خولة) نحو الثقافة الموروثة. أمّا في السياق الصرفي فقد استخدم الشاعر لفظة خولة مرتين (خولة، وخويلة) فصغرها في الثانية، فما الدلالة الصرفية لذلك، لماذا كانت خولة عشية الارتحال، وخويلة عشية التحول نحو بيئة الديك والفيل ؟ أهي تبدّل الآخر من حالة العظمة إلى الضعة ؟

أمّا النسيج الأسلوبي الذي شكّله النصّ في أبنية الإيقاعية وتشكيل العبارات فيسمح بما ذهبت إليه، فأسلوب الاستفهام (هل حبل...أم...) يشي بضبابية رؤية الشاعر وارتباكه في قراءة الواقع حين يسترجع الموروث الثقافي الذي شكّله على صعيد الفرد والجماعة في أنّ الفرس هم أصحاب السبق في الحرب والسياسة لكنّهم ينهارون أمام أدوات الفتح الإسلامي وثقافته الجديدة، وعلى صعيد الأبنية الإيقاعية فإنّ تكرار الألفاظ يشي كذلك بالارتباك فقد كرر حرف النفي (لا عزل ولا ميل) ودلالة التكرار تؤكد الاستهجان من الحالة التي وصل إليها الآخر مع امتلاكه الأدوات نفسها التي أخافت العرب ردحا من الزمن، وكذلك تكرار لفظة (رسّ) ثلاث مرات في سياقات لفظية مختلفة (رسّ لطيف، رسّ كرسّ أخي الحمّى...) وارتباط دلالة الرسّ الأولى بالمخامرة اللحظية وتذكر الماضي الموروث جعل الرسّ لطيفا لكن إنعام القراءة لذلك الموروث والميل نحو التفسير والتأويل ربط الرسّ بالحمّى وتتابع ألمها.

فالإيقاع يرتبط بالمعنى ارتباطا حيويا لأن الكلمات التي يبتدعها المعنى لا تنفصل عن أصولها الصوتية، ولهذا قال بوب: إن الجرس يجب أن يكون صدى للمعنى "([1]) ولعلّ تكرار غالت وغول تتساوق مع تكرار مفردة الرسّ وأثرها، فما يحدثه الغول الأسطوري من رعدة في النفس العربية عند سماع المفردة يشابه الرّس الناتج عن الحمى، لكنه رسّ نفسي، وكلا الأثرين الرّسي والغولي ناتجين عن استقرا المحبوبة في كوفة الجند.

ولا تبتعد قراءة كمال أبو ديب للرسّ عما زعمت إذ يقول " فالرسّ الذي في النفس كالحمى له أوجاعه وعقابيله، وللنوى علامات منذرة توجع القلب حتّى قبل أن يحل النوى، وقسوة رحيل الحبيبة تتجلى في فعلين باهرين، ضربت بيتا، كأنّ نصبها لخيمتها النائية تصبح ضربا حاد الوقع على الذات، وغالت ودها غول، الذي يطغى على العلاقة كلها بشبح غولي يلتهم كلّ شيء، وهكذا تتشكّل الشريحة الأولى في سياق الضرب والاغتيال والافتراس والغولية والتوتّر الحاد والقتال وضرب الأعناق وتبلغ بذلك مستوى من الحدّة يقارب المستوى الاحتدامي الدرامي " ([2]).

أمّا في ختام عتبة المقدّمة فقد استخدم الشاعر جملة طلبية، تشي برغبة الشاعر بالرحيل، وهذا ما ينسجم مع سعي النقد القديم إلى تحفيز الشاعر على حسن التخلص عندما يخرج من جزء لآخر في القصيدة، وبينوا أنّه يرتبط بحذق الشاعر حتّى يكادون يتفقون على أنّ المحدثين الأحسن تخلصا من المتقدّمين.([3])

ولعلّ اختيار الشاعر للقافية وتناصّها مع قافية قصيدة كعب بن زهير المدحية الموجّهة للرسول صلى الله عليه وسلّم لا تبتعد عن تمجيد الثقافة التي جعلت أدوات الثقافة الإسلامية تتغلب على أدوات الثقافة الفارسية، فكلا القصيدتين تختاران إيقاع البحر البسيط، وتتفقان في كثير من القوافي، فهل كان هذا الأمر مصادفة ؟ وهل أسماء تتعالق في دلالاتها الغائرة مع خولة في دلالتها العميقة ؟

فعتبة المقدّمة تتناص مع نصّ كعب بن زهير البردة ففي البيت الثاني يتشرّب بيت عبدة لفظة الفيل القافية ويستوعبها في نصّه،يقول عبدة:

حلّت خويلة في دار مجاورة   أهل المدائن فيها الدّيك والفيل

ويقول كعب:

لقد أقوم مقاما ما يقوم به   أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل([4])

وفي البيت الذي يليه تتشرب جملة القافية ومعناها:

يقارعون رؤوس العجم ضاحية   منهم فوارس لا عزل ولا ميل

---

[1]) الرباعي، عبد القادر. تشكيل المعنى الشعري ونماذج من القديم،ص65.

[2]) أبو ديب، كمال: الرؤى المقنعة، نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة دراسات أدبية، 1986م، ص 427.

[3]) العلوي، ابن طباطبا، عيار الشعر، ص113.

[4]) ابن زهير، كعب. الديوان، ص114.

قول كعب:

زالوا فما زال أنكاس ولا كشف   عند اللقاء ولا ميل معازيل ([1])

وقوله:

فعدّ عنها ولا تشغلك عن عمل   إنّ الصبابة بعد الشيب تضليل

قول كعب:

فلا يغرنّك ما منّت وما وعدت   إن الأماني والأحلام تضليل ([2])

" فالنصّ نسيج من المرجعيات المتداخلة فيما بينها دون ضابط ولا رقيب " و" الكلمات التي أتي بها المؤلّف تشكّل ترسانة ثقيلة من المعطيات التي لا يمكن للقارئ أن يتجاهلها "([3]) " كلّ كلمة هي في الأصل إيحاء أو مجاز إنّها تقول شيئا آخر غير ما يبدو في الظاهر، إنّ كلّ كلمة تشتمل على إرسالية لا يستطيع الفرد وحده أن يكشف عنها "([4]) و" على القارئ أن يتخيل أنّ كلّ سطر يخفي دلالة خفية، فعوض أن تقول الكلمات، فإنّها تخفي ما لا تقول، إنّ مجد القارئ يكمن في اكتشافه أنّ بإمكان النصوص أن تقول كلّ شيء باستثناء ما يود الكاتب التدليل عليه " ([5]) " و" الحياة الخاصّة بالمؤلّف شبيهة بنصّه فما بين خفايا التاريخ الخاصّ بإنتاج نصّ ما وبين متاهات قراءاته المقبلة يمثّل النصّ في ذاته حضورا مكثفا (للمؤلّف) أو هو بؤرة يجب أن نتشبث بها " ([6]) و" الوجود الوحيد للنصوص يكمن في سلسلة الأجوبة التي تثيرها... هي نزهة يقوم بها المؤلّف بوضع الكلمات ثمّ يأتي القراء بالمعنى"([7]) وتناص أبيات عبدة مع أبيات كعب يؤشر إلى أنّ الشاعرين يمتحان من بئر واحد وكلاهما يشكّلان ظاهرة ظاهرها التوافق مع الكائن وباطنها التضاد معه، فالحضور يشي بأنّ عبدة مشارك في حركة الفتح مقدّسا لذاك الفعل والغياب يؤشر إلى عدم رضى عن تلك الحركة كلّها لأنّها انتزعت منه عشقه المتمثّل في خولة لا خويلة، ويقال "علينا أن نكون جاهزين للصراع مع النصّ حتّى لو جرحنا غموضه... علينا أن نسعى لمعرفة اسم... (هوية) النصّ الغامض" ([8]) وعلينا أن نسلم بأنّه " لا توجد قراءة بريئة من الدوافع المسبقة " ([9])

ب-1- التغني بالناقة وتموّجات الخطاب.

بِجَسْرةٍ كَعَلاَةِ القَيْنِ دَوْسَرَةٍ   فيها عَلَى الأَيْنِ إرقالٌ وتَبْغِيلُ

---

[1]) ابن زهير، كعب. الديوان، ص115.

[2]) ابن زهير، كعب. الديوان، ص111.

[3]) إيكو، امبيرتو، التأويل بين السيميائية والتفكيكية، ترجمة سعيد بنكراد،، ط2، 2004م، الدار البيضاء، ص 12.

[4]) إيكو، امبيرتو، التأويل بين السيميائية والتفكيكية،،ص30

[5]) إيكو، امبيرتو، التأويل بين السيميائية والتفكيكية،،ص43

[6]) إيكو، امبيرتو، التأويل بين السيميائية والتفكيكية،،ص112

[7]) إيكو، امبيرتو، التأويل بين السيميائية والتفكيكية،،ص22

[8]) جاسر، دايفيد، مقدمة في الهرمينوطيقا، ترجمة: وجيه قانصوه، الدار العربية للعلوم الجزائر،،2007م، ص48.

[9]) جاسر، دايفيد، مقدمة في الهرمينوطيقا، ص51.

عَنْسٍ تُشِيرُ بِقِنْوَانٍ إذا زُجِرَتْ مِن خَصْبَةٍ بَقِيَتْ فيها شَمالِيلُ
قَرْوَاءَ مَقْذُوفَةٍ بالنَّحْضِ يَشْعَفُها فَرْطُ المِرَاحِ إذا كَلَّ المَرَاسِيلُ
وما يَزَالُ لها شَأْوٌ يُوَقِّرُهُ مُحَرَّفٌ من سُيُورِ الغَرْفِ مَجْدُولُ
إذا تَجاهَدَ سَيْرُ القومِ في شَرَكٍ كأَنَّهُ شَطَبٌ بالسَّرْوِ مَرْمُولُ
نَهْجٍ ترَى حَوْلَهُ بَيْضَ القَطَا قُبَصاً كأَنَّه بالأَفاحِيصِ الحَوَاجِيلُ
حَوَاجِلٌ مُلِئَتْ زَيْتاً مُجَرَّدَةٌ لَيْسَتْ عليهنَّ مِن خُوصٍ سَواجِيلُ
وقَلَّ ما في أَسَاقِي القومِ فانْجَرَدُوا وفي الأَدَاوَى بَقيَّاتٌ صَلاَصِيلُ
وَالعِيسُ تُدْلَكُ دَلْكا عن ذَخائِرِها يُنْحَزْنَ مِن بَيْنِ مَحْجونٍ ومَرْكُولِ
ومُزْجَياتٍ بأَكْوارٍ مُحَمَّلَةٍ شَوَارُهُنَّ خِلاَلَ القوم محمولُ
تَهْدِي الرِّكابَ سَلُوفٌ غَيْرُ غافِلة إذا تَوَقَّدَتِ الْحِزَّانُ والمِيلُ
رَعْشاءُ تَنْهَضُ بالذِّفْرَى مُوَاكِبَةٌ في مِرْفَقَيْها عن الدَّفَّيْنِ تَفْتيلُ
عَيْهَمةٌ يَنْتَحِي في الأَرضِ مَنْسِمُها كَما انْتَحَى في أَدِيمِ الصِّرْفِ إزْمِيلُ
تَخْدِي بهِ قُدُماً طَوْراً وتَرْجِعُهُ فَحَدُّهُ مِن وِلاَفِ القَبْضِ مَفْلُولُ
تَرَى الْحَصَى مُشْفَتِرًّا عن مَنَاسِمِهَا كما تُجلْجِلُ بالوَغْلِ الغَرَابِيلُ([1])

إنّ التشخيص الأدبي للحيوان وأساسه الناقة عنصر وثيق التعالق بين الفرد الجاهلي وعناصر محيطه به ومنها العنصر الحيواني، خاصّة إذا ما أدركنا وظيفة الناقة في حياة الفرد الجاهلي، هي الراحلة التي يرتحل بها في المكان، وهي الحامية له من الفناء بما تقدّمه من جسر يعبر عنه المفاوز، وقد يحولها العربي إلى وسيلة بقاء في الجانب الإيديولوجي.

يمتشق الشاعر خطابا مواربا باستخدامه صيغة أمر الغائب (فعدّ عنها) ثمّ صيغة النهي عن العمل (ولا تشغلك عن عمل) مستأنفا عتبة المقدّمة مستعينا بالنمط التقليدي للخطاب الشعري في عصره، ثمّ يزجي خبرا مبتذلا يتكرر قوله (إنّ الصبابة بعد الشيب تضليل)، غير أنّ هذا الخبر الملق تتجذر في أعماقه آهات الإنسان في محاولته تعطيل الفعل القاسي للزمن في الجسد، ذلك الفعل الذي يلغي الجذوة المشتعلة في فعل الذكورة، ويحول الأنثى نحو الآخر، هذا الخبر يتحسس بطريقة حزينة تحول خولة الأنثى عن الشاعر في سياق البنى الظاهرية للغة، ويسبر أعماق اللاوعي في تشكيله للشيخوخة التي لحقت بالعدو الفارسي وتحول النصر نحو الحضارة الشابة المتجذرة في انطلاقة المسلمين في الفتح الإسلامي.

ويبين النصّ أنّ الزمن تجاوز ما كان ليتحد مع ما هو كائن، والمطلوب تجاوز ما هو كائن والتغني بما كان، لأنّ الانشغال بالكائن في عالم عبدة نوع من التضليل، وجسر يودي بأحلام المرء وقد اعتلاه الشيب، إذ لم تعد خولة ترضى بما كان، فقد انساقت إلى ما هو كائن في الحياة الشابة على صعيدي الغياب والحضور.

[1]) ابن الطبيب، عبدة. الديوان،ص 60-64.

تتملّك الشاعر الحاجة إلى الأنثى الحلم الجميل فينكفئ نحو التراث الشعري العربي الذي يعلي من الناقة الأنثى، ويجعلها تتجاوز فعل الزمن في صورتها الشعرية، فهي الكينونة الفنّية التي تمثّل الصلابة في صورتها المطلقة، وهي جسرة ودوسرة، وعنس، و(كعلاة القين) . وسندان الحداد الذي تنحني له جميع الموجودات الصعبة .، واللافت في عتبة خطاب الناقة الشعري تكرار معنى الصلابة أربع مرات. فهل تأكيد الشاعر على الصلابة يتضاد في تشكيله مع انسياح الواقع في عالم خولة وبعثرته؟

تتعالى الناقة على فعل المكان كما تجاوزت فعل الزمن في جسدها، ويحاول الشاعر استغلال مكنونات اللغة الخاصّة بحقل تشييد بناء عالم الناقة الفنّي ليشكّل عناصر بنائية تؤكد القدرة الجسدية للناقة في الانتصار على المكان، فناقته لا يعوقها التعب عن الجد في السير إذ تسبق غيرها من المركوبات المنطلقة (المراسيل) حين تكلّ، وسيرها بين الإرقال والتبغيل، وهي مكتنزة، وهي أنثى أيضا، ذيلها يمتح في شكله من سعف النخيل طولا واسترسالا، تتجاوز الناقة رمال الصحراء عابثة بها تركلها وتحجنها، لا يعيقها استواء الأرض ولا تموّجها، تدفع الحصى بأرجلها بعيدا، وهي مكتملة في غاية تمام خلقتها، إنّها الأداة القادرة على تجاوز عالم خولة في تبدلاته.

ولا يكتفي الشاعر باقتناص الأفعال وتشكيلها فنّيا معليا من شأن ناقته بل يتجاوز ذلك لاستغلال الأدوات الفنّية الأخرى الكائنة في الصور الفنّية ليجعل الناقة محورها والطرف الأوّل في الصورة التشبيهية، فهي أو بعض جسدها المشبه فذيلها عذق النخل، ومقودها موشى بالصفر اللامع، وهو من الجلد المدبوغ بالتمر والشعير، معتنى به، أمّا طريقها فبساط ممهد نسجته نساء يمنيات من سعف النخل، وهو محاط بأعشاش القطا المليئة بالبيض، كما أنّ منسمها إزميل يزيل الشعر عن الجلد ويهيئه أداة مفيدة للإنسان، والحصى تتطاير وتنتحي جانبا عنها بفعل حركة قوائمها كما يتنحّى الغلث بفعل حركة المرأة التي تغربل القمح فتزيل وغله. صور تربط الخيال بالواقع وتعلي من شأن الأنثى الحاضرة في صورة الناقة،وفي صورة المغربلات، وفي صورة القطا وبيضها، والأنثى الغائرة في شخصية خولة المهاجرة في لاوعي الشاعر.

صور حسية ينسج بها الشاعر شكل ناقته، ثمّ يود أن يرسم لها لوحة فنّية وقد جدّ القوم بالرحيل خشية نضوب الماء، فانبرت الناقة تؤكد اقتدارها على تشكيل المكان بالطريقة التي تبغي، فحركت قوائمها بطريقة تتجاوز تعويق المكان لسيرها، وغدا منسمها يرسم قوّتها وتأثيرها في الطريق. لكنّها تتأثر بما يعترضها في الطريق أيضا.

يلحظ القارئ إصرار الشاعر على إسباغ صور مملوءة بالصلابة والنشاط والحركة وعدم الانحناء لعوامل المكان التي تجتازه الناقة، ويتساوق ذلك مع رغبته في التحول نحو البديل الآخر لخولة التي انساقت بسياق الفتح ورفضت عالم الشاعر الذي اعتراه الشيب. إنّ الناقة عالم الشاعر الموروث الذي وثق به، فلماذا ينشغل بالبحث عن خولة ؟ ثمّ إنّ النهج الذي تنهجه ناقة عبدة مليء بعناصر الحياة المتمثّل ببيض القطا، يتشكّل ذلك العالم فنّا على هيئة قوارير زجاجية مملوءة بالزيت، جرّدت مما يسترها من خوص النخيل. ولعلّ عناصر المكان بما يحوي من قوارير يذكر بالحديث النبوي " رفقا بالقوارير" ويذكر بتلك القوارير التي تعمر المسكن المملوءة بالزيت وقد عدت لإضاءة المكان في المعابد أو البيوت، كما يذكر تجريد

القوارير من الغطاء بجسد المرأة الذي يعمر لاوعي الشاعر وقد انحاشت عنه محبوبة، ثمّ إنّ سعي القوم مسرعين على ظهور نوقهم قبل أن ينتهي ما لديهم من ماء يبين خوف الشاعر من أن ينكص الحاضر عما هو عليه من تغيّر في واقع المحبوبة والحضارة العربية الإسلامية، فإذا كانت أساقي القوم تحمل بقية من الأساقي فليسرعوا، ولترتعش الناقة وتهتز، وتبرز أدوات السرعة الجسدية الأرضية الصلبة التي ملكها الشاعر في ماضيه، ويخشى عليها في أن تتبدل في حاضره كما تبدلت خولة.

أمّا بنية اللغة فتبرز ذلك الارتباك المعمور به لاوعي الشاعر والمتجسد في مجموعة من الثنائيات الضدية: كـ (إرقال وتبغيل، ومحجون ومركول، والحزان والميل، وتخذي وترجع). وإذا كان رسّ الحمى قد اعترى لوحة خولة وختمها، فإن الرعاش اعترى لوحة الناقة وصبغها. كما استخدم الشاعر التكرار في البيت التاسع فكرّر الفعل ومصدره (تدلك دلكا) ثمّ كرّر في البيت الذي يليه (محمّلة ومحمو ل)، وكرر الفعل (ينتحى وانتحي)، كما وظّف تكرار تشابه الأطراف في البيت السادس والسابع في (الحواجيل، وحواجل).

وكان للقافية دور إيقاعي واضح بيّن إذ أضفت نغمة هادئة على لوحة الناقة، فصوتا حرف العلّة الياء والواو تتبعهما صوت الضمة، وكذلك تكرار صيغة فعاليل في القافية خمس مرات 25./. من كلمات القافية، وسبق الياء صوت الضمة عشر مرات بنسبة 75./. من كلمات القافية، كلّ ذلك يدخل في شعور الشاعر بالهدوء والراحة لعودته إلى البيئة التي يحنّ إليها، أو الشعور بالرضا للحديث عنها، أو الأنس بالناقة وصلابتها.

واستخدم النصّ أسلوبية التقابل اللفظي في التضاد أو الانسجام بين (الأين والإرقال، ومحرف ومجدول، وفرط وكلّ، وتخذي به وترجعه)، ثمّ تكرار المعنى أو ذكر العام بعد الخاصّ في البيتين " والعيس تدلك دلكا..." و" ترى الحصى مشفترا عن... "

واستفاد النصّ في تكوينه من معاني كعب بن زهير في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ([1])،ففي البيت الثاني من عالم الناقة ضمن عبدة شطر بيته الثاني:

بِجَسْرةٍ كَعَلاَةِ القَيْنِ دَوْسَرَةٍ　　　فيها عَلَى الأَيْنِ إرقالٌ وتَبْغِيلُ

من بيت كعب:

ولن يبلغها إلا عذافرة　　　فيها على الأين إرقال وتبغيل ([2])

كما ضمن بيتا آخر شطرا من بيت كعب، يقول عبدة:

تَهْدِي الرِّكابَ سَلُوفٌ غَيْرُ غافِلة　　　إذا تَوَقَّدَتِ الْحِزَّانُ والمِيلُ

وبيت كعب:

ترمي الغيوب بعيني مفرد لهق　　　إذا توقدت الحزان والميل([3])

[1]) ابن زهير، كعب، الديوان، ص109.

[2]) ابن زهير، كعب، الديوان، ص 111.

[3]) ابن زهير، كعب، الديوان، ص ص111.

وقوله:

ترى الحصى مشفترا عن مناسمها كما تجلجل في الوغل الغرابيل

وبيت كعب:

وما تمسك بالوصل الذي زعمت إلا كما تمسك الماء الغرابيل ([1])

هذا التضمين بالمفهوم البلاغي القديم، وهو " قصدك البيت من الشعر أو القسيم فتأتي به في آخر شعرك أو في وسطه كالمتمثّل " ([2])

ويشار إلى أنّه نوع من التناص يفتح نصّ عبدة على فنّ وصف الناقة لدى كعب بن زهير وتتلاق بعض خطابات عبدة مع خطاب كعب.

وإذا كان البيتان تضمنا شطري بيتي كعب فإنّ شطر البيت الثالث لم يكن تضمينا، وإنّما هو نوع من التناص الغائر وهو يحيل على سياقين مختلفين، فسياق كعب يشير إلى طبيعة المرأة التي لا تفي بالوعد ووعدها مشابه لوعد الغربال بأنّ يمسك الماء ويحتفظ به إلى حين، أمّا عبدة فيحيل على سياق الحياة الزراعية العربية التي كانت المرأة فيها تستخدم الغربال لعزل الغث من القمح أو غيره عن القمح تمهيدا لطحنه أو طبخه، غير أنّ الصورتين تجعلان المرأة جزءا أساسيا فيهما، وتجعلان أداة الغربال الزراعية محورا من محاورها، كما أنهما تشيان بالبحث عن الحقيقة.

ففي الصورة حقيقة الصورة البحث عن اللقاء وأمّا في الثانية فحقيقة الصورة مخض الغلث وإزالته والحصول على السمين. " إنّ مجموع التشكيلات المكانية والزمانية في الشعر تتفاعل معا لبناء شبكة من العلاقات المختلفة التي تتقارب وتتباعد في أوضاع (تزامنية) و(وتواؤمية) لخلق رؤيا إبداعية تنشأ عند الشاعر أولا، ثمّ تنحل في الناقد فتحرك طاقات الإدراك الكامنة عنده ثانيا، ومن خلال التفاعل القائم بين الرؤيا عند الأوّل والإدراك عند الثاني يتولد المعنى الأعمق للإنسان والوجود" ([3])

ب- 2- حمار الوحش وشعرية الخطاب.

ينظر إلى القناصة على أنها رياضة بدنية ورياضة نفسية، لكنّ القناصة في الصحراء آنذاك كانت فقرا وبحثا عن الطعام، والقانص فقير، والشعر الذي يكرس تصوير القناصة نوع من احتفاء الشاعر بهذا النوع من القنص، والقناصة فعل يتقاطع مع طبيعة الفتح وحروبه وأهدافه، ومشهد القنص والحرب علامات تلاق وافتراق، والارتحال في المكان يكرّس فعل القناصة كما كرسها فعل الفتح، وقيم الصبر والثبات والشجاعة يكرّسها العالمان عالم الفتح وعالم القناصة، وهما يشكّلان في الخفاء والتجلي، متضادان يحتويان على القيم نفسها والأفعال نفسها والأدوات نفسها، لكنّهما يفترقان في طريقة الاحتفال بها والفلسفة التي تديرهما، والمكان الذي يقع فيه فعل الفتح أو القناصة.

---

[1]) ابن زهير، كعب، الديوان، ص 110.

[2]) العسكري، الصناعتين، تحقيق: مفيد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية، 1999، ص

[3]) الرباعي، عبد القادر. تشكيل المعنى الشعري ونماذج من القديم، ص71.

القانص والمجاهد المحتفلان يحركهما السعي إلى النصر والحصول على الفريسة والوصول إلى النشوة، نشوة قتل الآخر والاحتفال بموته، الظفر بالفريسة من أجل الطعام والظفر بالعدو للغنيمة ولتحقيق لذة النصر. ومخاتلة الفريسة ومخاتلة العدو إلى حين الإيقاع به وإصابته مسعى الطرفين.

وتحول الخطاب من خطاب ذاتي يحتفي بالذات قانصة وغازية، فردية وجماعية إلى خطاب ديني، تحول الخطاب الشعري من الأرض اليابسة جغرافيا صيد غزو إلى السماء والغيب والماوراء، تحول الفنّ ليكون أفق تضرّع وخشوع وإيمان، الخطاب يراوح بين الدنيوي والأخروي، بين الجاهلي والإسلامي، بين المقدس والمدنس، بين الاحتفال بالحاضر والنزوع نحو الماضي، هكذا يبدو عبدة في تشكيله للوحة الصيد في قصيدته، يرسم تلك اللوحة الشعرية، في ظلال البحث عن الذات والعودة إليها، البحث عن حياة الصعلكة في الصحراء والاحتفاء بها، تلك الحياة التي هجرتها خولة يودّها الشاعر، ويحتفل بالعودة إليها، لذلك يقول في سياق تصويره لناقته:

كأَنَّها يومَ وِرْدِ القوم خامِسَةً ... مُسافِرٌ أَشْعَبُ الرَّوْقَيْنِ مَكْحُولُ
مُجْتابُ نِصْعٍ جَدِيدٍ فَوْقَ نُقْبَتِهِ ... ولِلْقَوَائِمِ مِن خَالٍ سَرَاوِيلُ
مُسَفَّعُ الوَجْهِ في أَرْساغِهِ خَدَمٌ ... وفوقَ ذاكَ إلى الكَعبَيْنِ تَحْجيلُ
بَاكَرَهُ قانِصٌ يَسْعَى بأَكْلُبِهِ ... كأَنَّهُ مِن صِلاَءِ الشَّمْسِ مَمْلُولُ
يَأْوِي إلى سَلْفَعٍ شَعْثَاءَ عارِيَةٍ ... في حِجْرِها تَوْلَبٌ كالقِرْدِ مَهْزُولُ
يُشْلِي ضَوَارِيَ أَشْباهاً مُجَوَّعَةً ... فليس منها إذا أُمْكِنَّ تَهْلِيلُ
يَتْبَعْنَ أَشْعَثَ كَالسِّرْحانِ مُنْصَلِتاً ... لهُ عليهنَّ قِيدَ الرُّمْحِ تَمْهِيلُ
فَضَمَّهُنَّ قليلاً ثمّ هاجَ بها ... سُفْعٌ بآذَانِها شَيْنٌ وَتَنْكِيلُ
فاسْتَثْبَتَ الرَّوْعُ في إِنْسانِ صادِقةٍ ... لم تَجْرِ من رَمدٍ فيها المَلاَمِيلُ
فانْصَاعَ وانْصَعْنَ يَهْفُو كُلُّها سَدِكٌ ... كأَنَّهنَّ من الضُّمْرِ المَزَاجِيلُ
فاهْتَزَّ يَنْفُضُ مَدْرِيَّيْنِ قد عَتُقَا ... مُخَاوِضٌ غَمَرَاتِ الموتِ مَخْذُولُ
شَرْوَى شَبِيهَيْنِ مَكْرُوباً كُعُوبُهُما ... في الجَنْبَتَيْنِ وفي الأَطْرافِ تأْسِيلُ
كِلاَهما يَبْتَغِي نَهْكَ القِتَالِ بِهِ ... إِنَّ السِّلاَحَ غَدَاةَ الرَّوْعِ مَحْمولُ
يُخَالِسُ الطَّعْنَ إيشاعاً على دَهَشٍ ... بِسَلْهَبٍ سِنْخُهُ في الشَّأْنِ مَمْطُولُ
حتَّى إذا مَضَّ طَعْناً في جَواشِنِها ... ورَوْقُهُ من دَمِ الأَجْوَافِ مَعْلُولُ
وَلَّى وَصُرِّعْنَ في حَيْثُ اَلْتَبَسْنَ به ... مُضَرَّجاتٌ بأَجْرَاحٍ ومَقْتُولُ
كأَنَّه بعْدَ ما جَدَّ النَّجَاءِ بِهِ ... سَيْفٌ جَلاَ مَتْنَهُ الأَصْنَاعُ مَسْلُولُ
مُستَقْبِلَ الرِّيحِ يَهْفُو وَهْوَ مُبْتَرِكٌ ... لسانُهُ عن شِمالِ الشِّدْقِ مَعْدُولُ
يَخْفِي التُّرَابَ بأَظْلافٍ ثمانيةٍ ... في أَرْبَعٍ مَسُّهُنَّ الأَرْضَ تَحليلُ([1])

[1]) ابن الطبيب، عبدة. الديوان، ص65- 71.

يأوي الشاعر إلى الناقة ويجعلها طرفا أساسيا في الحدث ورسم الصورة فهي المشبه، ومشهد القناصة كلّه هو المشبه به،ويقرأ مشهد الصيد في التقاليد الفنّية الخاصّة ببناء القصيدة القديمة على أنّه ظاهرة فنّية يتشكّل منها النصّ الشعري القديم، ويتشكّل ذلك المشهد في أنسجة أبنية الرحلة فنّيا، لكنّ هذا التقليد الفنّي يشكّله عبدة محتفيا بذاته منطلقا من عالمه ورؤاه الخاصّة.

يشكّل الشاعر هذا المشهد معتمدا الحدث والصورة، إذ يبدأ عرض المشهد بعرض صورة حمار وحش دخيل على مكانه يتلوى عطشا، تتعادل ألوانه في تضادها الواضحة ما بين بياض وسواد، يرتدي ثوبا أبيضا فوق نقبته ([1])، ويرتدي سروالا حول قوائمه، لوحت الشمس وجهه، وطوقت أرساغه بخلاخيل بيضاء، وتخضبت رجلاه بالبياض والسواد، عيناه مكحولتان، أهو الأنثى الغائرة في اللاوعي ؟. إنك أمام صفات جمالية أنثوية، تشخيص للحيوان وتأنيس له، انسجام في تلك الأنسنة تتفق وسياق المحبوبة الناقة بديل خولة. ومع ذلك يحتفي الشاعر بالحيوان في المكان الأثير إليه في الصحراء، ينحاز إليها ويترك بيئة الفيل والديك، وبيئة الجند في الكوفة، وبيئة القتل والموت، وبيئة الأحلام بالغنى وتحلّب الريق بالحصول على الغنيمة.

وفي الدلالة السيميائية للون الأسود يبدو " اللون الأسود لون الليل الذي يمتزج داخل تجربة الذات بالخوف والموت... والأبيض والأسود يقتسمان في عالم الألوان الصفة الأكرومانية الذي تنفذ منها الألوان دون تحليل، ولا توجد أمثلة أخرى ترمز إليه إلا من خلال اللون " ([2]) ويرمز اليابانيون باللون الأبيض إلى الموت أيضا.

هذا الحيوان المشكل شعريا للاحتفاء به لغة، يصبح هدفا للبيئة القاحلة في الصحراء ينهشه العطش ويتربص به إنسان ذاك المكان، إنّه الصيد صيد الحاجة للطعام لا صيد الرياضة والمتعة، لذا يمعن الشاعر فنّيا في رسم حالة البؤس الذي تنتاب الصائد والفريسة معا... غربة وعطش وانتظار طويل وجوع شديد يدفعان الطرفين نحو واقعة الصيد، الصائد بائس يسعى نحو امتلاك الطعام بأكلبه، لوحت الشمس ثيابه فأصبحت كالمغطاة بالرماد، امرأته جائعة ملبدة الشعر عارية تحملها الفاقة والجوع على دفعه نحو الهلاك، ترضع طفلا يعاني من الجوع الشديد والهزال وسوء التغذية، ولا يبتعد حمار الوحش في حالته النفسية عن حالة الصياد.

وإذا كانا يتشابهان فيما يعانيان من ألم فهما مسلحان بأدوات القتل اللازمة لإفناء كلّ منهما الآخر وجعله فريسة، وتتمثّل أدوات القتل واصطياد الفريسة لدى الصياد بالحيوان (كلاب الصيد) وهما يعانيان الجوع والعطش أيضا، ويتمنيان الحصول على الطعام الكائن في فعل القتل وافتراس الآخر،" والمهارة كل المهارة تكمن في إبادة العدو بمثل السهولة التي يجري بها اصطياد الطريدة أي تدميره، إن أمكن بالانقضاض عليه وهو أعزل أو مباغتته في أثناء نومه " ([3])

---

[1]) والنقبة اللون، ينظر ابن قتيبة، المعاني الكبير، ج1، ص2.

[2]) كوهين، جون، اللغة العليا، ترجمة: أحمد درويش، ص 167.

[3]) كايوا، روجيه، الإنسان والمقدس، ص 239.

تنقش الصورة التعبيرية قوامها فوق رمال الصحراء، وتأخذ حيزها المكاني والزماني، وتنبني أبعادها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية، منطلقة من الصورة لتتحول إلى حدث عبر حركة الصياد وأكلبه، وحركة هروب الحمار ومحاولة النجاة بجلده، ويشكّل الشاعر واقعة الصيد معتمدا أدوات فنّية تتكئ على اقتناص مشاهد حية، لكلّ من كلبي الصيد وهما ينطلقان كالسهم نحو حمار الوحش، وحمار الوحش الهارب كالذئب المنطلق، عبر الزمن بعد أن شكلها المكان.

ويبدو تفاعل الزمن مع المكان السلاح الفعال في المعركة، السرعة في الهروب من ساحة الوغى للحمار، والسرعة في انقضاض الكلاب على الحمار، لكنّ هذه السرعة التي تملكها الكلاب في الظفر بالفريسة، يجعلها الشاعر غير حاسمة في النيل من الحياة الكائنة في حمار الوحش، فيشكّل من قرني حمار الوحش المتشعبة أدوات حربية تلغي السرعة حين وقوع الاشتباك بين الباحثين عن الحياة، وتساعده في توجيه طعنة تدمي الكلبين، فينال الحمار الحياة ويولي هاربا.

لا ينتهي المشهد بنجاة حمار الوحش وفشل الصياد، بل يتابع النصّ تشكيل الحدث فينعم في تكوين مشهد حسي للحمار وهو يمتلك حياته ويحتفل بها، ويسبغ عليه صورة تشبهية المشبه فيها الحمار والمشبه به السيف الجديد المصقول المستلّ من غمده في لمعانه، ثمّ يشكّله وهو يتجاوز الموت نحو الحياة، كما شكّل صورة ناقته وهي تعبث برمال الصحراء وتذروها خلفها، ليجعل المكان يتجاوز فعل الزمان محتفلا بالمكان على الرغم من قحله، ويؤكد أنّ هذا القحل والتعب المترتب على العيش وسط الرمال، وما فيها من جوع يتمايز عن عالم خولة بأنّه الموئل المحبوب والمقصد المرغوب.

يمتاح المشهد في تشكيله من التقاليد الراسخة في بناء القصيدة العربية القديمة التي تجعل الناقة طرفا أساسيا في الصورة وطرفها الآخر حمار الوحش الذي ينجو عادة من الصياد في فنّ الفخر أو المدح أو غيره، ويقع فريسة في فنّ الرثاء، لكنّ سياق القول في تصاعده البنائي وأنسجته وأنساقه يجعل مشهد الصيد جزءا من المشهد العام للواقع الذي يكابده الشاعر وتقاطعاته الفكرية، خولة ذلك الواقع المتحول تتضاد مع واقع الصحراء الذي يفرّ إليه الشاعر بعد أن تيقن أنّ إمكانية التساوق مع ذاك الواقع مستحيلة، يفرّ إليه على صعيد اللغة الشعرية والخطاب الشعري القائم على الرحيل والركون إلى حياة العوز والفقر على حساب الوعود بحياة رغيدة تنتظر المنتصرين في الفتوحات بعد استقرار البلاد.

يترك عبدة حلم الاستقرار والحياة الرغيدة (خولة) ويتوجه نحو الصحراء وحيوانها وطريقة عيشها، يتوجه نحو ذاته يودّ أن يعيش من خلالها ولها، فإذا كانت الواقعة أو المعنى الشعري قد عبر عن ذلك، فهل عبرت اللغة عن هذا ؟ علما أنّ المعنى وأنساق اللغة لا ينفصلان عن بعضهما، إذ يقال إنّ " المعنى ما يعنيه المتكلم وما يقصد قوله... ما تعنيه الجملة، أي ما ينتج عن الاقتران بين وظيفة الهوية والإسناد " ([1]) وكذلك يقال " إذا تحقّق الخطاب كلّه بوصفه واقعة، فهم الخطاب كلّه بوصفه معنى... وأعني بالمعنى أو

[1]) ريكور، بول، نظرية التأويل وفائض المعنى، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006.ص 39

الفحوى هنا المحتوى الخبري... حاصل التأليف بين وظيفتين هما تحقيق الهوية والإسناد "([1]) فالحدث المتشكّل عبر مشهد الصيد هو الهوية هو الحدث، واللغة بتقاليدها الفنّية هي الإسناد، وتآلفهما يشكّل المعنى أو مقصد الشاعر في النصّ.

لقد شكّل النصّ صورتين متضادتين، صورة الكلبين وهما يشقان الصحراء وتكاد مخالبهما تفتك بآذانهما، يقابلهما صورة حمار الوحش وقد انطلق يرخي لسانه عن شدقه تعبا وخوفا، وشكل صورة بائسة قبيحة لزوج الصائد وولده الرضيع لتقابل صورة الحمار المسافر الذي يكاد العطش يفتك به، ثمّ شكل صورة لترقب الصياد وكلابه، تقابلها صورة حمار الوحش يترقب ويتوجس من المكان، لكنّه مع ذلك ينهي المشهد لصالح الحياة وإمكاناتها داخل هذا المكان للحيوان والإنسان معا على الرغم من كلّ ما فيها من متاعب، فهل أراد أن يرسل رسالة إلى خولة وعالمها أنّ الصحراء مكان يصلح للحياة، وأنّ الهجرة نحو الشمال لا تستطيع إلغاءها ؟

لقد استخدم الشاعر مجموعة من التقنيات والأساليب اللغوية في تشكيله النصّ الشعري في هذا المشهد معتمدا الدراما التصويرية التي تستعين بالحروف بدلا من آلة التصوير، فرسم مشهدا دراميا قوامه التراجيديا ونهايته الكوميديا، واستعان الشاعر بالصور الحسية المصورة للواقع كما هو في الصحراء.

ويلحظ القارئ استخدام الشاعر ضمير الغائب في تشكيل المشهد، فهو ينقل مشهدا غائرا في نفسه متمنى في واقعه. ثمّ يبرز ذكر الأعداد ففي عتبة المشهد يستخدم لفظة خامسة، وفي نهاية المشهد يستخدم العددان ثمانية وأربعة للإشارة إلى النجاة،. ثمّ يشير إلى اللون (الأسود، والأبيض، والرمادي، والقاتم، والناصع والأحمر، واللامع) في المفردات المستخدمة في أبيات المشهد ومنها (مكحول، نصع، مسقّع (للحمار وللكلب)، ومملول، وأشعث، ودم الأجواف، جلا متنه).

ويستخدم إيقاع التكرار في بعض المواقف مثل (انصاع وانصعن، والطعن وطعنا) ليبرز خضوع الصائد والمصيد لآلة الحرب وهولها، ويستخدم بعض الألفاظ المتضادة، مثل: (المسقّع والتحجيل، وضمهن وهاج، وولّى وصرعن، وأجراح ومقتول) ويكرّر بعض الأحرف،مثل حرف الشين (يشلي الضواري أشباها، وشروى شبيه، وإيشاغا ودهش، والشأن، وجواشن، وشمال، والشدق) كما يستخدم العديد من الصور ذات الإشعاعات النفسية التي تسهم في رسم لحظات الترقب والفزع التي يعيشها الصائد وذلك في استخدامه لعينيه المفتوحتين تلك الأعين التي لم تتعرض لأدوية الرمد مما يجعل الفريسة واضحة بعيدة عن الضبابية.

وتحمل الأبيات من الألفاظ ما تشي في طياتها إشارة خفية إلى القتال الذي تدور رحاه بين الفرس والعرب في بلاد الرافدين وبلاد فارس، ومن ذلك الإشارات إلى (نهك القتال، ومخالسة الطعن، ودم الأجواف المعلول، ومضّ طعنا) ثمّ الفعل (ولّى وصرعن، ومضرجات بأجراح ومقتول).

ويستمر النصّ كذلك في تشرب نصّ كعب بن زهير في عدّة مواطن ومن ذلك قول كعب:

---

[1]) ريكور، بول، نظرية التأويل وفائض المعنى،.ص 38

لا يقع الطعن في نحورهم ما إن لهم من حياض الموت تهليل([1])

وقول عبدة:

يشلي ضواري أشباها مجموعة فليس منها إذا أمكنّ تهليل

وقول:

إنّ الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

وقول عبدة:

كأنّه بعد ما جدّ النجاء به سيف جلا متنه الأصناع مسلول ([2])

ب-3- التذويت وشعرية الخطاب.

1- المغامرة الأوّل

ومَنْهلٍ آجِنٍ في جَمِّهِ بَعَرٌ مِمَّا تَسُوقُ إليه الرِّيحُ مَجْلُولُ
كأَنَّهُ في دِلاَءِ القوم إِذْ نَهَزُوا حَمٌّ على وَدَكٍ في القِدْرِ مَجْمُولُ
أَوْرَدْتُهُ القومَ قد رانَ النُّعاسُ بهمْ فقُلْتُ إِذْ نَهِلُوا مِن جَمِّهِ قِيلُوا
حَدَّ الظَّهِيرةِ حتَّى تَرْحَلُوا أُصُلاً إِنَّ السِّقَاء لهُ رَمٌّ وتَبْلِيلِ
لَمَّا وَرَدْنا رَفَعْنا ظِلَّ أَرْدِيَةٍ وفارَ باللَّحْمِ للقومِ المَرَاجِيلُ
وَرْداً وأَشْقَرَ لم يُنْهِئْهُ طابِخُهُ ما غَيَّرَ الغَلْيُ مِنْهُ فَهْوُ مأْكُولُ
ثُمَّتَ قُمْنا إلى جُرْدٍ مُسَوَّمةٍ أَعْرَافُهُنَّ لأَيْدِينا منَاديلُ ([3])
ثمَّ ارْتَحَلْنا على عِيسٍ مُخَدَّمةٍ يُزْجِي رَوَاكِعَها مَرْنٌ وَتَنْعِيلُ

2- عطاء الفتح وسيبه.

يدلحن بالماء في وفر مخربة منها حَقَائبُ رُكْبانٍ ومَعْدَولُ
نَرْجُو فَوَاضِلَ رَبٍّ سَيْبُهُ حَسَنٌ وكلُّ خَيْرٍ لديهِ فهْوَ مقْبُولُ
رَبٌّ حَبَانا بِأَمْوالٍ مُخَوَّلَةٍ وكلُّ شَيءٍ حَبَاهُ اللهُ تخويلُ
والمرءُ ساعٍ لأَمرٍ ليس يُدْرِكهُ والعَيْشُ شُحٌّ وإِشْفَاقٌ وتأْمِيلُ

3- المغامرة الثانية.

[1]) ابن زهير، كعب، الديوان، ص 112.

[2]) ابن زهير، كعب، الديوان، ص111.

[3]) قال عبد الملك بن مروان في هذا البيت " مناديل عبدة من أشرف المناديل " ينظر الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، ج21، ص 23.

وعازِبٍ جَادَهُ الوَسْمِيُّ في صَفَرٍ تَسْرِي الذِّهابُ عليهِ فهْوَ مَوْبُولُ
ولم تَسَمَّعْ بهِ صَوْتاً فَيُفْزِعَها أَوَابدُ الرُّبْدِ والْعِينُ المَطَافِيلُ
كأَنَّ أَطْفالَ خِيطَانِ النَّعامِ بِهِ بَهْمٌ مُخَالِطُهُ الْحَفَّانُ والْحُولُ
أَفْزَعْتُ منهُ وُحُوشاً وَهْيَ ساكِنَةٌ كأَنَّها نَعَمٌ في الصُّبْحِ مَشْلُولُ
بِسَاهِمِ الوَجْهِ كالسِّرْحانِ مُنْصَلِتٍ طِرْفٍ تَكاملَ فيهِ الحُسْنُ والطُّولُ
خَاظِي الطَّرِيقةِ عُرْيانٍ قَوَائِمُهُ قد شَفَّهُ مِن رُكُوبِ البَرْدِ تَذْبِيلُ
كأَنَّ قُرْحَتَهُ إِذْ قامَ مُعْتَدِلاً شَيْبٌ يُلَوِّحُ بالحِنَّاءِ مَغسُولُ
إِذَا أُبِسَّ بهِ في الأَلْف بَزَّرَهُ عُوجٌ مُرَكَّبةٌ فيها بَرَاطِيلُ([1])

حاول الشاعر الاستناد إلى ركن يحميه وسط قحل الصحراء بعد أن خذلته خويلة برمزيتها الحضارية فاستند إلى الناقة وأمن صلابتها وقدرتها، لكنّه لم ينس البؤس والفقر في حياة الصحراء الأثيرة إلى نفسه الكائنة في مشهد الصيد، التي لها انتقم بترك حياة خولة الجديدة.

فاقتنص واقعة من وقائع الحياة الصحراوية التي يفضلها ويحنّ إليها، وقدّمها علامة دالة على ذاته، وفي هذه الواقعة يصبح الشاعر هو محور الحدث وأساسه ومحركه الأوّل، والواقعة تتضاد مع عالم خولة في إلغائه قيمة الفرد لصالح الجماعة، إذ يقدّم المقاتل على أساس سبقه في الدخول في الدين ومهارته القتالية، واقترابه من مركز الخلافة في المدينة، أمّا الصحراء فلا تلغي كينونة الشاعر وزعامته لجماعته، لذا يصور حنينه إلى تلك الحياة مع رداءتها المعيشية مقارنة بحياة الفاتحين في الكوفة ويحتفي بها.

يزجي عبدة مشهدا من تلك الحياة التي يودّها ويفضّلها، قوام هذا المشهد ماء آسن مليء ببعر الإبل الذي ساقته الرياح وقذفته إلى بئر وسط الصحراء، بدا بعر الإبل وسط الماء كدهن سنام الجمل الذي أسخن فذاب، اختلط بالماء فازداد عذوبة، إنّها عذوبة المكان، هذا الماء يستمد عذوبته وحلاوته من مكانه. يغرف الشاعر لصحبه من ذلك الماء ما يسد رمقهم، إنّه زعيم المكان ومالك فعل الإرواء فيه، فتنتاب صحبه حالة نعاس احتفاء بالمكان، ويشرب القوم من الماء ثمّ يغطون في نوم عميق، لقد أنهك الصحب التعب وداهمهم حرّ الظهيرة، فكانت هذه المياه قطرات الحياة التي أصلحت حالهم، وبللت عروقهم. مشهد يتشكّل عبر الزمن لكنّه يحتفل بالمكان حيث الميدان الذي يستطيع الشاعر فيه الاحتفاء بذاته، والرقص فوق ذكرياته، فالرجل يتهم بالصعلكة والانحياز إلى الصحراء.

[1]) ابن الطبيب، عبدة. الديوان، ص72- 78.

ثم يحتفي بتشكيل مشهد آخر، المشهد الآخر يتجلى في طبيعة الطعام الذي يتناوله أولئك القوم على عجل دون أن ينضج، إنّهم يكتفون بتغير لونه بالغلي، ولا ينتظرون نضجه، فيثير في المتلقي مجموعة من الأسئلة: ما سبب الاستعجال ؟ أهو الجوع أم انعدام الأمن ؟ هل هي طبيعة المكان المحتفى به ؟ لماذا لم ينتظر القوم حتّى تنظيف أيديهم من الطعام ؟ لم تركوا المكان على عجل؟

يشكّل الشاعر مشهدا آخر وقد رحل القوم بعد الشرب والأكل، فاتخذوا من أعراف خيولهم مناديلا يمسحون بها أيديهم، فيتحول من الاحتفاء بالمكان إلى الاحتفاء بالذات، إذ يعلن الشاعر في تكوينه للحدث داخل اللغة أنّ قحل المكان والالتصاق به لا ينفي قدرة الذات على التغلب على المصاعب التي تنتابه، فما الذي جعل خولة بامتدادها الفكري ترتدّ عن حبّه وتتجه صوب الشمال حيث الفرس والحرب المستعرة والبعد عن الاحتفال بالنفس ؟ ينادي خولة يدعوها إلى أن تنتصر للعشق أمام الحرب وتلتفت إلى الذات وتحترمها.

هذه الحياة التي يصور الشاعر مشاهد منها أحبّ إليه من حياة خولة المضطربة التي لا يفهماها وليسا ركنا أساسيا ذا قيمة كبرى فيها، لتبق خويلة في الكوفة حيث الاستقرار والتجمع المدني والوعود بحياة رغيدة، وليعد هو إلى الحياة التي أحبّها في الصحراء.

إنّ النصّ الشعري يرسم هذا الحلم الذي يداعب خياله ويساعده في تشكيل محترم لذاته، يشعره بقيمته ومحوريته في تلك البيئة " ومما لاشك فيه أنّ المعنى الداخلي العميق الذي يؤلف فكر الشاعر وانفعاله لحظة الإبداع هو الذي يتحكم – لا شعوريا على الأغلب . بعملية التوزيع هذه " ([1]).

وتتكون لوحة التذويت من جزئين يبدآن بواو رب... (ومنهل) (وعازب)، وكلّ مشهد من هذين المشهدين يتناظران من حيث عدد الأبيات فهي ثمانية أبيات لكلّ مشهد، وتفصل بينهما جزئية عارضة تتكون من أربعة أبيات.

تبدأ اللوحة بقوله: (ومنهل...) وتتقاطب اللغة في تكوين مشهد يعلي من شأن الذات ويحتفل بالمكان، ذلك المشهد الذي يختلط فيه الحدث بالصورة ليقتنص مقطعا زمنيا كان يقابل المقطع الزمني الكائن في عالم كوفة الجند، هذا زمن ما كان هو الهوية التي ينتمي إليها الشاعر، ويود تذكير خولة بها. هو الحنين الذي يدفعه لهجرة زمن خولة ومكانها والعودة نحو الجنوب، مشهد تحدّثت عنه آنفا، يكوّن جزءا محوريا من لوحة التذويت الخاصّة بالشاعر.

أمّا المشهد الثاني البادئ بـ (وعازب...) فتشير واو رب إلى عدم الحديث عن الكائن الموجود فعلا، وإنّما عن الكائن الموجود تذكرا، تلك المغامرة التي ترتسم فنّيا في خيال الشاعر وتتمدد خلال أبيات ثمانية، تحتفل بزمن الفروسية في الصحراء، وتبجل المكان وتتغنى به، وتحاول صهر المكان بالزمان لإنتاج قطعة مكانية زمانية تبث اللذة والنشوة فيه، قطعة زمنية من شهر صفر تتمازج مع الغيث الوسمي وتنحت في الصحراء لوحة حية من النبات والحياة الحيوانية من طير ووحش صغارها وكبارها، ينبلج هو بين تلك اللوحة بفرسه

---

[1]) الرباعي، عبد القادر. تشكيل المعنى الشعري ونماذج من القديم، ص67.

معليا من ذاته، محتفلا بالمكان دون أن يشير إلى مطاردة لفريسة أو هجوم لفرس، إنّه يحتفل بالمكان لحظة اتحاده بزمن الغيث الطيب في صفر.

أمّا المشهد الفاصل بين المشهدين فأبيات تعظّم العطاء ووفرة الماء والمال، وتتغنّى بما حصّله الشاعر من غنائم في معارك الفتح الإسلامي وذاك خيرٌ مقبول عند الشاعر، لكنّ هذا الخير يذكره بخولة فيتلعثم، وتبدو تلك اللعثمة في الألفاظ التي يستخدمها الشاعر في البيت الثاني من تلك الجزئية،التي تشير إلى سيطرة خولة على ذاك العالم حسّيا ومعنويا، في قوله:

ربّ حبانا بأموال مخولة وكل شيء حباه الله تخويل

(فخولة، ومخولة، وتخويل) يجلجل صوتها وتسيطر على ذاك العالم الواقعي الكائن في كوفة الجند، غير أنّ ذاك العالم ليس عالمه والسعي فيه غير مأمون، وهو سعي قد يدركه وقد لا يدركه، لذا يرى العيش فيه (شحّا، وإشفاقا، وتأميلا).

والمشاهد الثلاثة في علاقتها الجدلية تشكّل لباب القصيدة، وهي ترسم معا علامة فارقة في فضاء القصيدة، وتتحد هذه المشاهد في تشكيل ثنائية الحضور والغياب التي تتمحور حولها القصيدة حضور واقع خولة وغياب واقعه عبر الذكرى والماضي، أمّا واقع خولة فكائن موجود، لكنّ الشاعر يشكو من عدم قدرته الانغماس فيه مع ما فيه من رضى رباني، وتوفيق إلهي وعالم مقدس وعطاء موعود وغنيمة محتملة، لذا يشكّل لوحتها بعدد قليل من الأبيات متمنيا نسيانه.

و يحتفي بذاته، برسم مشهديه بأربعة أضعاف لوحة العطاء والسيب، فمغامرته مع الصحب على ظهر ناقته في الصحراء وما حصلوه من ماء وطعام، على إيقاع الحركة السريعة، وربما غارة الصعاليك. يتلوها تذكر لعالم المقدس عند خولة، ثمّ تحول سريع نحو تعظيم الذات، في لوحة صحراوية تبرز فروسية الشاعر واحتفاله بالمكان والزمان، وهو بذلك يجعل عالمه أربى من عالم خولة على صعيد البنية الشعرية، ويجعل نفسه سيدا في ذلك العالم، بعد أن كان جنديا مقاتلا يرجو خولة أن تهدأ وتعود إلى رشدها، وتتنازل عن عزمها في الاستمرار والإقامة.

وظّف الشاعر مجموعة من إيقاعات التكرار في تشكيل صورة الماء في البئر وشرب القوم لها، وذلك في (إذ نهزوا، وإذ نهلوا)، فتقابلية اللفظتين المشكلتين لفعل امتياح الماء وشربه يحتفلان بفعل الشاعر ويبرزان فاعليته وتكوينه للحدث الجاري، ويبرز ذلك أيضا في تقابل الكلمتين (لما وردنا، ثمّ وردا) وقد سبقتهما أوردته، لكن (ورد) الأولى تختلف في معناها عن (ورد) الثانية إذا تؤكد الأولى الفعل، وتوضّح الثانية اللون، ومن التكرار أيضا (فقلت، وقيلوا) وهو يبرز فاعلية الشاعر في القول والإقالة. وكذلك تكرار صوت الراء في مغامرة الماء عشرين مرة.

وفي اللوحة المعترضة كرّر الشاعر جملة (وكلّ..) وصوت الشين في شطر واحد ثلاث مرات، في (العيش شح وإشفاق و...)، ومال إلى استخدام الحكمة الإبلاغية المتأثرة بالدين.كما استخدم الشاعر التقابل المعنوي

في بناء بيته الشعري ومنه (له رم، وتبليل، والمرن والتنعيل، وحقائب ركبان ومعدول، والشح والتأميل، ويغلو بهن ويثني).

ويتشرب النصّ، في هذه اللوحة شيئا من شعر امرئ القيس، ويشكّل عالمه في الماضي،

يقول ابن قتيبة مشيرا إلى بيت عبدة " وهو القائل في الصعلكة:

ثُمَّتَ قُمْنا إلى جُرْدٍ مُسَوَّمةٍ أَعْرَافُهُنَّ لأيْدِينا مناديلُ

وأخذه من قول امرئ القيس:

نمشّ بأعراف الجياد أكفّنا إذا نحن قمنا عن شواء مضهب " ([1])

يقول عبدة:

كأنّ قرحته إذ قام معتدلا شيب يلوح بالحناء مغسول

ويقول امرؤ القيس:

كأنّ دماء الهاديات بنحره عصارة حناء بشيب مخضب ([2])

ويتناص قول عبدة كذلك مع كعب:

إذ أبس به في الإلف برّزه عوج مركّبة فيها براطيل

كأنّ ما فات عينيها ومذبحها ومن اللحيين برطيل ([3])

ج- الديك في الخطاب الشعري السردي بين المقدس والمدنس.

يقول بعضهم إن هذه الجزئية من القصيدة ليست منها ويعبرون عن صدمتهم من ذكر الشاعر لمجلس الخمرة " لكنّا نصدم في آخر القصيدة بوصفه المسهب لمجلس شراب، ومن ثمّ كنّا نقطع بأنّ للقصيدة أصلا قديما يتصل بحياة الجاهليين الوثنية وما كانوا يحلّون من خمر، وقد أضيفت إلى هذا الأصل قطع جديدة تتصل بالهجرة في سبيل الله ورسوله ووصف معارك العرب مع الفرس " ([4]) ونسوا أنّ الحديث عن الخمرة في التقاليد الفنّية الشعرية حديث عن الفتوة لا حديثا عن العهر والردة وممارسة الرذيلة.

إنّ المعاني الشعرية تختط طريقها بين صدق الواقع وصدق الفنّ، والوجود والفقدان، والثبات والرحيل، والقرب والبعد، والوصل والفصل، والجانب الحكمي يجعل الخطاب مباشرا ويلغي عنه الشعرية.

---

[1]) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1958م،ص 728. وينظر ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط5، ص54.

[2]) امرؤ القيس، الديوان، ص 55

[3]) ابن زهير، كعب، الديوان، ص112.

[4]) ضيف،العصر الإسلامي، ص65.

وتبرز إشكالية المرجع والمتخيل، في وصف المكان بعناصره الحيوانية الطبيعية والبشرية، وصف يوهم بواقعيته وصدقتيه دون أن يكونها لأنّ هذه العناصر وهي تتحول من الواقع إلى النصّ عبر اللغة تصبح عناصر لغوية نصّية متخيلة حتّى وإن أوهمت بمرجعيتها، فداخل النصّ يوحي بالتماثل مع خارجه إلا أنّه في الحقيقة مفارق له، لأنّ الشاعر يعيد إنتاج تلك العناصر كما كانت، لا كما شهدها في الزمان والمكان أو لا كما يتمثّلها زمن قوله الشعري.

يتداح النصّ بين الحسي والروحي، والمقدس والمدنس، والعادة والقيمة، والحضور والغياب، ويترسم الشاعر خطاه في شعاب اللغة، ويبذر معانيه في حقلها، بالطريقة التي يتخيلها هو في حلمه وفي وعيه أحيانا، فالفرس تميزوا بالنمنمات والمنسوجات، والدجاج والفيل قوام تلك العوالم المكنة، وهم الذين بثوا ذلك في عوالم اللذة الكائنة في أماكن التمدّن في الحيرة وبعض العمائر الأخرى...لكن العوالم النصّية تتضاد مع العوالم الكائنة الواقعية، فالأولى متخيلة والثانية مجسدة شاخصة، والفنّ يجري شباكه على حافة المتخيل والواقع، والمفارقة في الصورة بين الدجاج والأسد من حيث الحجم والشكل، والدور والجنس والقيمة، والقوة والضعف، والسؤال المطروح لم يجتمع الدجاج والأسد في الصورة المتشكّلة حسيا، المنتقاة لغة لدى عبدة ؟ ولماذا يكون صياح الديك عنوان عالم اللذة ونقيض عالم الحرب ؟ و" الشاعر يؤلف بين الخيوط الآتية إليه من القديم والجديد ومن السماء والأرض ومن المفرد والمشاهد وهكذا... فإنّ المعنى الشعري المشكل بفعل الذات الشاعرة ينبثق من بين العناصر المتزامنة أو العلاقات داخل العمل الشعري الواحد" ([1])

إنّها لوحات خطابها شعري ومتنها سردي، الشعر والسرد يترافدان في هذه القصيدة ويتناقدان لينتجا خطابا يراوح بين القديم والجديد، الأصيل العربي والدخيل الفارسي، المقدّس والمدنس، والمعقول والمأمول، والشاعر يقتطف من الحس أنواعا يوظّفها أدوات للتعبير غير المباشر عن المشاعر والنغم والمغزى... وتمازج هذه العناصر الداخلة في تشكيل النصّ الشعري تساعد أن يكون المعنى قادرا على أن ينمو من الحدث حتّى يصبح نفسه حدثا ([2]).

هيمنة الوصف المشهدي على بنية القصيدة التي قامت على مشاهد مسترسلة يؤدي كلّ منها للآخر، قد تبدو في ظاهرها مشاهد متنافرة في المكان، بلاد العرب وبلاد الفرس، الصحراء كوفة الجند، وفي الزمان الجاهلية والإسلام، الحاضر والماضي، وفي الكيان الأخلاق الجاهلية والإسلامية والفارسية. إنّها في حقيقتها مشاهد متكاملة دالة على مسارات الذات الشاعرة والذات المجتمعية في سيرورة وجودها، إنّها تنبني على التقاطب بين الثبات والرحلة والارتحال، بين الحياة والموت، بين الحضور والغياب، بين المقدّس والمدنّس، والحلال والحرام، الخير والشر. إنّها التقاطبات التي يقوم عليها الكيان الإنساني، التي تستمد مفارقاتها الظاهرة من العلامات الدالة على كلّيته. هكذا اللوحة الأخيرة من القصيدة المتهمة بالانحياز إلى زمن الجاهلية، إنّها قطرة السم التي أفسدت الطعام وغيرت طعمه في رؤيتهم، لكنّها عنوان الفتوة وشيفرة اللذة التي ينحني

([1]) الرباعي، عبد القادر. تشكيل المعنى الشعري ونماذج من القديم،ص55.

([2]) الرباعي، عبد القادر. تشكل المعنى الشعري، علامات، ج7، م2، شوال 1413هـ 1993م، ص101

لها الفنّ القديم وتقاليده، وتتعمم بها اللغة وأنساق المعنى الشعري لتتجاوز المعقول إلى المأمول. وفيها يقول عبدة:

وَقد غَدَوْتُ وَقَرْنُ الشَّمْسِ(1) مُنْفَتِقٌ ودُونَهُ مِن سَوَادِ اللَّيلِ تَجلِيلُ
إِذْ أَشْرَفَ الدِّيكُ يَدْعُو بعضَ أُسْرتِهِ لَدَى الصَّبَاحِ وهم قَوْمٌ مَعَازِيلُ
إِلَى التِّجَارِ فأَعدَانِي بِلَذَّتِهِ رِخْوُ الإِزَارِ كَصَدْرِ السَّيْفِ مَشْمُولُ
خِرْقٌ يَجِدُّ إِذَا ما الأَمْرُ جَدَّ بِهِ مُخَالِطُ اللَّهْوِ واللَّذَاتِ ضِلّيلُ
حتَّى أتَّكأْنَا على فُرْشٍ يُزَيِّنُها مِن جَيِّدِ الرَّقْم أَزْوَاجٌ تَهَاوِيلُ
فيها الدَّجَاجُ وفيه الأُسْدُ مُخْدِرَةً مِنْ كلِّ شَيءٍ يُرَى فيها تَمَاثِيلُ
في كَعْبَةٍ شَادَها بَانٍ وزَيَّنَها فيها ذُبَالٌ يُضيءُ اللَّيلَ مَفْتُولُ
لَنَا أَصِيصٌ كجِذْمِ الحَوْضِ هَدَّمَه وَطْءُ العِرَاكِ، لَدَيْهِ الزِّقُّ مَغْلُولُ
والكُوبُ أَزْهَرُ مَعْصُوبٌ بِقُلَّتِهِ فَوْقَ السَّيَاعِ مِنَ الرَّيْحَانِ إِكليلُ
مُبَرَّدٌ بِمِزَاجِ الماءِ بينهما حُبٌّ كَجَوْزِ حِمَارِ الوحْشِ مَبْزُولُ
والكُوبُ مَلآنُ طافٍ فَوْقَهُ زَبَدٌ وطَابَقُ الكَبْشِ في السَّفُّودِ مَخْلُولُ
يَسْعَى بِهِ مِنْصَفٌ عَجْلَانُ مُنْتَطِقٌ فَوْقَ الخُوانِ وفي الصَّاعِ التَّوابِيلُ
ثمّ اصْطَحَبْتُ كُمَيْتاً قرقفا أُنُفاً مِن طيّب الرَّاحِ، واللَّذَّاتُ تَعْلِيلُ
صِرْفاً مِزَاجاً، وأَحْياناً يُعَلِّلُنَا شِعْرٌ كَمُذْهَبَةِ السَّمَّانِ مَحْمُولُ
تُذْرِي حَوَاشِيَهُ جَيْدَاءُ آنِسَةُ في صَوتِها لِسَماعِ الشَّرْبِ تَرْتِيلُ
تَغْدُو علَينا تُلَهِّينَا ونُصْفِدُها تُلْقَى البُرُودُ عليها والسَّرَابِيلُ(2)

---

[1]) وقرن الشمس: أولها عند طلوع الشمس وأعلاها، وقيل: أول شعاعها، وقيل: ناحيتها. وفي حديث الشمس: تطلع بين قرني شيطان فإذا طلعت قارنها، فإذا ارتفعت فارقها، ونهى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الصلاة في هذا الوقت، وقيل: قرنا الشيطان ناحيتا رأسه، وقيل: قرناه جمعاه اللذان يغريهما بإضلال البشر. ويقال: إن الأشعة التي تتقضب عند طلوع الشمس ويتراءى للعيون إنها تشرق عليهم، ينظر لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور، دار صادر بيروت، 2003م، مادّة قرن. وفي صحيح مسلم عن ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تَحَرَّوْا بِصَلَاتِكُمْ طُلُوعَ الشَّمْسِ، وَلَا غُرُوبَهَا فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بِقَرْنَيْ شَيْطَان". ينظر كتاب صلاة المسافرين وقصرها، حديث رقم 1376.

[2]) ابن الطبيب، عبدة. الديوان، ص 78-83.

مشهد آخر من مشاهد الواقع يشكّل واقعة فنّية تمتح من بيئة الشاعر، وتتعالق مع زمن القول ومكانه، مشاهد حياتية يلذّ للشاعر التواصل معها والتغنى بها، إنّه يشعر بالاشتهاء والانتشاء والانتماء لها وقد هجر خولة وعالمها.

فبعد أن انتهى الشاعر من تأكيد ذاته وميله نحو الفرادة والتخلص من عالم خولة وثقافتها، يتخذ خطوات عملية في تخطيط عالمه فنيّا مستعينا بعدّة أدوات هي: الناقة، ثمّ مشهد الصيد البري، ثمّ تناول الشراب والطعام في جوف الصحراء، ثمّ ينتقل إلى الاحتفال بنفسه ويتخير أزهى لحظات الزمان والمكان لذلك الاحتفال، ويتخير الفرس شريكا له والحياة الحيوانية ونزول الغيث خلفية لصورة مشهده المشكل، لقد عمل على تأكيد ذاته عن طريق ربطها بنمط حياتي يتضاد مع حياة خولة، قوام ذاك النمط الركون إلى مباكرة اللذة في عالم يمتلك الشاعر قدرته، ويتبادل معه ما يريد، ولا يكون فيه هامشيا وجنديا مجهولا، ويتضاد مع عالم خولة الذي يموج بالقادة العسكريين والجند، ولا يعطيه ما يصبو إليه من فرادة وتميّز، لذلك يرحل الشاعر عن عالمها إلى عالمه المليء باللذة. " إنّ مثل هذا التحول بشرطه الزماني الفجائي قد يقطع الإنسان عن عالمه القديم لكنّه لا يستطيع أن ينهي فورا ارتباطاته الشعورية ببعض أجوائه الحالمة كالخمرة والمرأة، فلهذه الأجواء اتصال مباشر بالنفس وأهوائها "([1])

يتخير الشاعر زمنه الخاصّ ليشكّله تشكيلا فنّيا متميزا، يختار لحظة انبثاقه، لحظة تبرز فيها قرنا الشمس وتتفتق لتعمل على إزالة اللباس الذي يغطي الليل ويعريه ويبرز مفاتنه في صباح كلّه لذة، لذة الشرب ولذة انبثاق الحياة ولذة افتراع الأنثى، ولذة الطعام الناضج، ولذة الصوت النجي، ولذة العطاء والبذل من أجل المتعة، ولذة الركون إلى المدنس والخروج خارج السرب، والثورة على رتابة الحياة، أمّا المكان فآمن خال من الحروب وقرقعة السلاح، عنوانه صياح الديك، وسكانه قوم عزل من السلاح، بعيدون عن معمعة الحرب، منتحين عن مشاكل قتال الروم أو الفرس أو غيرهم، ليسوا في كوفة الجند، ولا عالم خولة، عالم يتحد فيه الحلم مع الواقع بشكل روحي صوفي .

يبدأ عالم عبدة بن الطبيب بعيدا عن خولة وكوفتها التي اختارتها دونه، ينسرب بين حدّي المدنس والمقدس. يتواصل مع مالكي اللذة وتجارها، يريدها فترتخي أمامه الأزر، وتتبختر له بمشيتها، ويتحول سيف المعركة في عالمها إلى جسد أنثى ممشوق مجلو، كيمياء الجسد فاعلة في دنيا اللذة كفعالية السيف في دنيا المعركة، والجسد / السيف يملك الشمائل الطيبة في دنياه كما ملك القوة والفتوة في ساحة المعركة.

زعيم عالم الشاعر ومالك لذته مشتمل على صفات الخير كلّها، والخير في عالم الشاعر غير الخير في عالم خولة، له خصائص متميزة ترتبط باللذة وإمكاناتها، هذا الخير المنشود عند الخمّار/ السيف يمزج بين اللهو واللذات الأخرى، وصاحبه لا يهتم بالعذل والعاذلين الموجودين في عالم خولة، أمّا الأسرّة والفرش التي يملكها هذا الرجل فمزينة ببديع الأشكال الفنّية المرقومة. إنّها بسط ممدودة مطرزة مجسدة، تزينها صور جميلة. والصور خيالية تحاكي الطبيعة في جمالها، يجتمع فيها أضعف الحيوانات وأشرسها، الدجاجة والأسد، حاوية

---

[1]) الرباعي، عبد القادر. تشكيل المعنى الشعري ونماذج من القديم،ص62.

لكلّ ما يتمناه المرء، ماثلة على شكل لوحة فنّية تشخص الطبيعة، يستر هذا العالم بناء مشيد مزين (كعبة)، اعتنى بانيه في متانته وجماله، وهو مضاء بقناديل تذهب عتمة الليل وتنير عالم الساهرين، أثر الفرس فيها واضح، مطرزاته فارسية، بُسُطه ممدودة، وأباريقه منصوبة، في عالم عبدة هذا تتقاطب عوالم المقدّس بعوالم المدنّس، وفي الفنّ تلتغي الحدود الفاصلة بين الواقع والمتخيل.

أمّا الجانب الآخر من دنيا الشاعر فالشراب اللذيذ المصحوب بالطعام الساخن والغناء المطرب ورقصات المرأة الساقية، والشاعر يصور أدواته: الدّن والإبريق والكأس الأبيض وما يزينه من الريحان. ثمّ يتعدى ذلك إلى طبيعة المشروب نفسه وقد بُرِّد بمزجه بالماء، ويدقق في صورة اقتران الكوب بالدّن، ويحتفي بالدّن وبضخامته وسط المكان ليعود به خياله إلى بطن حمار الوحش المثقوب، ثمّ ينعم النظر في أقرب مصادر لذة الشرب وهي الكوب وقد امتلأ شرابا، وطافت الرغوة على وجهه، ويشير إلى ما يرافق الشراب من لذيذ الطعام من لحم ضأن وغيره مما يؤكل طازجا أو مشويا، ويصوّر الساعي على الندامى وقد انتطق يحمل صحيفة مملوءة بالتسالي من أبزار وتوابل.

ويمعن الشاعر في إعلاء قيمة مكان تلك اللذة وزمانها بتصويره فنّيا، ثمّ يعلن أنّه باكرها واشترك مع الصحب في اصطباحها، لقد كانت صبوحا خاصّا فريدا، خمرة صرفة لم يسبقه لاغتباقها ومباكرتها وافتراعها أحد، هتك أستارها وكشف الحجب عنها، إنّها الراح بل الكميت. ويؤكد عبدة فرادته في اصطباحها، ويعلن أنّها صرفة لكنّها كالتي مزجت بالماء لنداذة وعذوبة، عذوبة الشراب المتناغمة مع جمال المكان، وقيم الخير الخاصّة بالشاعر فيه تتجاوز المقدس إلى المدنس.

يجلّل المكان ألحانا عذبة من شعر المغنى، وتتعانق أطياف الزمان مع طيات المكان لتشيع فيه الطرب، فيتحول الزمان في نداوة صوت مغنيته إلى فضاء لذيذ، وتحاول المغنية أن ترفع الصوت المطرب أحيانا ثمّ تخفضه، وهي في ذلك تسعى إلى إطراب الشاربين وإمتاعهم بصوتها ودلّها ورقصها وغنجها، تهز نفوس الذين وقعوا في الدنس وتجاوزوا القواعد التي فرضها عالم خولة، وتبدو صورة الشاربين في ثنايا لغة القصيدة مستمتعين بالمرأة يلقون عليها ما يملكون من ثياب وبرود، يبذلون العطايا ويكرمون من يكرمهم، تتغير القيم الناظمة لعالم عبدة فيتساوى العطاء من أجل المدنس مع العطاء من أجل المقدس، ويتساوى اسم البناء (كعبة) الذي يؤوي المدنّس مع لفظ المقدس في عالم خولة ويتضاد معه .

اللغة التي يستخدمها الشاعر في بث معانيه تتمترس حول الواقع المعيش لكنّها تعيث في أبنية اللغة ودقائقها الغائرة، وتحاول إخفاء المعنى ليبدو منسجما مع التقاليد الفنّية للقصيدة العربية القديمة، ولتشي بأنّها قطعة ناشزة في زمنها، تتضاد مع الانتماء المجتمعي للحظة القول، غير أنّ من يسبر أعماق الدلالة الإجمالية للنصّ وبناه المتشابكة، وأنسجته النامية عبر جسد القصيدة كلّها بدءا من عتبة المقدّمة وانتهاء بعتبة التغني باللذة ومباكرتها، ومن يقرأ دلالات المفردات وإشعاعات معانيها وأنساقها المتصاعدة يلمس قدرة الشاعر على الإيهام بأنّ النصّ لا ينتمي إلى زمن الحرب والتغني بقيمه الدينية المحتفية بإلغاء الذاتية من أجل العمل الجمعي، وتحاول ضبط سلوك المنتمين لمجتمعها وفق أنساق المقدس الذي يحاول عبدة الخروج عليه فنّيا، عبر أنساق الحنين إلى زمن الشباب، بعد أن أضحت الصبابة بعد الشيب تضليل.

إنّ تلمّس ظلال المعاني المستترة في البنى المورفولوجية للكلمة والتي لا شك تلتحم في هدوء بالمعنى المركزي يطعم البحث الأسلوبي بالمتعة اللغوية والفنّية معا، هذا البحث الذي يتعانق فيه الأداء اللغوي والمنجز الأدبي تعانقا كشّافاً للقيم التعبيرية والجمالية النصّية التي تهيؤها الأنماط والتراكيب بواسطة تتبع حركية المفردة داخل الجملة، وعلائقها الوظيفية بالمكونات التركيبية الأخرى بغية استكشاف النصّ، وتلمّس دلالاته الخفية ومعانيه الموحية([1])

لقد وظّف عبدة في نصّه مفردات تبدو في دلالتها العامة عادية كلفظة (كعبة) على سبيل المثال في قوله:

في كَعْبَةٍ شَادَها بَانٍ وزَيَّنَها　　　فيها ذُبَالٌ يُضيءُ اللَّيلَ مَفْتُولُ

لكنّ تفاعل هذه المفردة مع بقية المفردات دلاليا في البيت توحي بأنّ الرجل يعي إشعاعات المفردة الدينية، يتضح ذلك في فعل (وزينها..) والذبال المضاء ليلا الذي يرتبط بالأبنية المخصصة للعبادة، ويحتفي الشعراء بذكره في قصائدهم.

يوظّف النصّ أسماء الحيوانات في هذه اللوحة الفنّية الجميلة (الديك، والدجاج، والأسد) وتنبجس دلالاتها اللغوية والفنّية، وتومئ إلى اقتدار على استغلال المفردة في تشكيل المعنى، فالديك عنوان العالم الذي يتقاطب معه، وصياحه الحدّ الفاصل بين عالم خولة وعالم الآخرين،إضافة إلى السيميائية التي يحملها الديك في ثقافة المجاهدين وغيرهم، ففي حياة المجاهدين يستبعد الديك لأنّ صوته يساهم في افتضاح أمرهم والدلالة على مكانهم، وهو رمز للتبشير بقدوم الفجر عند الصالحين، ورمز لانتهاء الليل عند العاشقين، وهو عنوان مباكرة اللذة عند الفاسقين.

أمّا اجتماع الديك والأسد في اللوحة الفنّية التي تشكّل محاكاة المحاكاة، فاسمين لحيوانين يحمل أحدهما (الدجاجة) دلالة تشير إلى الغاية في الجبن والضعف والاستسلام، في حين تتجسد في لفظ (الأسد) دلالات الخوف والرعب والقوة والزعامة، فهل يشير استخدام المفردتين في هذه الثنائية البارزة في محاكاة المحاكاة، إلى اقتناع الشاعر بأنّ حركة الفتح في حالة اليأس التي يحياها هي صراع بين الدجاجة والأسد في ظلال ما رآه من دماء تسفك وجثث تلقى ؟ " إنّ المعنى الشعري المتجدد لا يعتمد على تضمين الشعر كلمات جديدة ولكن تعتمد على عقد علاقات جديدة تفرضها رؤى الشعراء ومواقفهم الذاتية من الحياة والكون، إنّ الشعر لغة خاصّة " إذ ينظر إلى النصّ على أنّه منجَز لغوي ينبغي البحث في خصائص لغته لفهم المسكوت عنه نصّيا.

الخاتمة

سعى الباحث فيما قدّم إلى إبراز تطوّر النظرة إلى المعنى الشعري في النقد العربي والنقد الغربي بصورة موجزة، وبين أنّ هناك ثلاثة اتجاهات كبرى في دراسة المعنى في النقد الحديث : السياقي واللغوي والتداولي، ثمّ

---

[1]) خديجة، عنيشل، الدلالة بين المفهوم وإشكالية الفهم، ص156

حلل قصيدة عبدة بن الطبيب(اللامية) مستفيدا من الأدوات النقدية الحديثة في النظرة إلى المعنى الشعري، معتبرا قراءته محاولة من المحاولات تتموضع بين محاولات سابقة ومحاولات لاحقة، جميعها تسعى إلى تحليل النصّ للوصول المعنى الممكن في النصّ الشعري القديم وإبراز جمالياته.

وقد اتخذ النصّ بصيغته المكتوبة أساسا لقراءة المعنى وتحليله، واستفاد من المراجع المتاحة لتحقيق ذلك، وتوصّل إلى أنّ فرضياته البحثية التي أزجاها بين يدي البحث منطقية وتستند إلى ما يبوح به النصّ، وتعضده بعض الدلائل السياقية المتاحة، فقد تمحورت القصيدة حول ثنائية عالم خولة المتمحور حول الثقافة العربية الجديدة التي يمثّلها جيل الشباب المجاهدين المشاركين بالفتح وطموحاتهم في النصر والتحول نحو حياة مدنية رغيدة مستقرة، وجيل المخضرمين الذي يحنّ إلى الحياة البدوية في الصحراء، وقد تجلّى ذلك في أبنية النصّ وتشكيل معانيه العميقة، مع محافظة الشاعر على الأدوات الفنّية التقليدية المتاحة في عصره.

وناقش الباحث شأن انتماء النصّ إلى الشعر الجاهلي، فوجد أنّ الفكرة العامة الواردة في النصّ لا تشير إلى أنّ النصّ ينتمي إلى مكونين قديمين إحداهما جاهلي والآخر إسلامي، فالنصّ إسلامي يمثّل حركة الفتح وطبيعته، ويجسّد شخصية الشاعر العربي المشارك في الفتح من جيل المخضرمين، أمّا ما ورد فيه من احتفال بالفتوة، ومغامرة اللذة فتأتي في سياق نصّي منسجم تتوالى فيه أبنية المغامرات بدءا من مغامرة وافتراع جوف الصحراء وقت الهجير، ثمّ مغامرة الفروسية، وهي مغامرات فنّية تأتي في سياق التذكّر، ولا تبدو هذه الجزئية نشازا في بنيته النصّية.

من أسرار العدالة الإلهية؛ وليس الذكر كالأنثى

د. باحمد بن محمد رفيس
جامعة غرداية

الملخّص:

قد توحي النظرة التجزيئية إلى أحكام الشرع لأربابها بأن الشريعة امتهنت المرأة وحرمتها حقوقها؛ فألزمتها القرار في بيتها للقيام بزوجها وأولادها، وغمطتها حقّها في الميراث، وفضلت عليها الرجل في كثير من الميادين.

لكن الدارس لطبيعة الرجل والمرأة، والفروقِ الجسمية والوظيفية التي تؤهل كلاً منهما لأداء المهامّ المنوطة به؛ تتبين له بجلاء عدالة الله تعالى وإنصافه للمرأة وللرجل على السواء.

فالعدالة لا تعني المساواة في كلّ شيء بقدر ما هي إعطاء كلّ ذي حقّ حقّه، وتكليفُ كلّ واحد بما يُسِّر له من واجبات. وقد أسهمت الكشوفات العلمية الحديثة، خاصّة ما تعلّق منها بعلم الأعصاب الوظيفي والدراسات السوسيوسيكولوجية في إجلاء تلك الحكمة الربانية حتّى لم يعد خافيا على ذي بصيرة أن المرأة لم تنل يوما حقوقها كاملة إلا في كنف الإسلام.

الكلمات المفتاحية: عدالة، مساواة، قوامة، تحرير المرأة، دورة، فروق جسمية.

abstract :
Fractional outlook to the law judgment for certain may suggest to them that the legislation used the woman and deprived her of her rights, and bound her staying home and take care of her husband and children; besides it despised her right in inheritance and preferred man in many fields.
But the thinker in man and woman nature, and their physical and functional differences which qualify each one of them to perform the tasks assigned to them, it clearly discerns to him the justice of God Almighty and His fairness to woman and man alike.
Justice doesn’t mean equality in everything as is it is to give everyone his right, and assign each one the delight of his duties.
The modern scientific discoveries have particularly contributed to what is related to the science of functional nerves and the socio- psychological studies to clear that divine wisdom so that is no longer a secret to a vision that woman hasn’t yet attained her entire rights except in Islam.

لطالما تعالت الأصوات منادية بضرورة تحرير المرأة من ربقة الأديان وتطالب بتحقيق مساواتها بالرجل في كلّ ميدان، **فهل المساواة تعني بالضرورة تحقيق العدالة، وهل تمنح تلك الحرّية المنشودة في جميع الأحوال؟**

هذا هو الإشكال الذي يدور عليه البحث والذي يرتكز أساسا على إبراز الفروق الطبيعية التي ميَّز الله تعالى بها كلاً من الرجل والمرأة فكانت مناط التكاليف والأحكام المتعلّقة بهما.

إنّ المساواة لغة هي المماثلة والمعادلة[1]، "يُقال ساوَيْتُ هذا بذاك إذا رفعته حتّى بلغ قدره ومبلغه"[1].

---

[1])-أحمد الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، (نشر المكتبة العلمية، بيروت، 298/1).

على خلاف التفاوت والاختلال في التوزيع والدرجات.

وهي في الاصطلاح بمعنى أن يتكافأ النّاس جميعاً في الحقوق والواجبات، دون تفرقة بسبب جنس أو طبقة أو مذهب أو حَسَب أو مال.

أمّا العدالة فهي في اللغة القصد في الأمور، والتوسّط بين الإفراط والتفريط، وهي ضِدَّ الجور[(2)]. واصطلاحا لها معانٍ منها: استعمال الأمور في مواضعها ووجوهها ومقاديرها؛ فهي إذن إقامة القسط بإعطاء كلّ ذي حقّ حقّه، وهي "الإنصاف وإعطاء المرء ما له وأخذ ما عليه"[(3)]. وهو المعنى المستفاد من النصوص الشرعية.

يقول الشيخ الغزالي: "إنّ الذي يتدبّر القرآن الكريم يحسّ المساواة العامة في الإنسانية بين الذكور والإناث، وأنّه إذا أعطى الرجل حقّا أكثر فلقاء واجب أثقل، لا لتفضيل طائش"[(4)].

وجاء في كتاب مقاصد الشريعة وقضايا العصر: "إنّ اختلاف المرأة عن الرجل في بعض الأحكام ليس دليلا على أنّها في نظر الشرع أدنى من الرجل، وإنّما يرجع الاختلاف إلى اعتبارات موضوعية يقرُّها العدل، بل يفرضها فرضا. وليس من المقبول عقلا أن تتّهم الشريعة الإسلامية بالتحيُّز للرجل ضدّ المرأة لا لشيء إلا لأنه ذكر وأنها أنثى. ولو صحَّ أن الشريعة تنتصر للرجل على حساب المرأة لأبقت على الأحكام الظالمة التي كانت تنال من حقوقها بل من إنسانيتها في الجاهلية"[(5)].

فالمرأة التي تنتابها الدورة كلّ شهر، مع ما تسبّبه لها من إرهاق ووهن، والتي تحمل، وتضع، وتربي، وترضِعُ في مدّة تزيد على الثلاثين شهراً، لا يمكن زَجُّها في ميادين العمل والجَلَد والكفاح لكسب العيش، ولا تكليفُها بتحمّل أعباء الاكتساب والإنفاق.

وعلاوة على ما هو ظاهر من الفروق الجسمية بين الرّجال والنساء؛ فإنّ العلماء ما يفتأون يكتشفون أسرارً أودعها الله تعالى في كلٍّ من الرَّجل والمرأة ليجعل كلّ واحدٍ منهما أقدر على أداء مهامّه والقيام بواجباته التي فطره عليها سُبحانه[(6)]...

فقد جعل الله تعالى المرأة حاملاً للولد وحاضنة ومربية، وقيّض لها – لتقوم بهذه المهمّة – أجهزة خاصّة، بدءا بالرّحم وما يتصل به من لواحق، ذلك القرار المكين الذي أعده الله تعالى ليتخلّق فيه الجنين

[1])-تاج العروس من جواهر القاموس، محمد الحسيني، (نشر دار الهداية، 325/38).

[2])-محمد المناوي، التوقيف على مهمات التعريف، (نشر دار الفكر العام، بيروت، دار الفكر دمشق، ط1، 1410 تحقيق محمد رضوان الداية، 506/1).

[3])-إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، (نشر دار الدعوة، تحقيق مجمع اللغة العربية، 588/1).

4)-محمد الغزالي: **قضايا المرأة** (دار الهناء، الجزائر، 1422هـ/2001م)، 35.

5)-عوض محمد عوض: **مقصد العدل وصداه في التشريع الجنائي الإسلامي** (مقاصد الشريعة وقضايا العصر، مجموعة بحوث)، نشر مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، القاهرة 2007م، 234.

6)-ينظر مثلا جيرالد هوتر: **الرجل والمرأة أيهما الجنس الأضعف؟ الفروق الفيسيولوجية والنفسية والتربوية** (ترجمة علا عادل و سلمى سليمان، ط1، نشر العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م).

وينمو خلال أشهره الأولى، ثمّ يسر خروجه بعد ذلك إلى الدنيا...

قال تعالى: ﴿قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ (عبس، 20).

ثم أعدّ له لبنا سائغا من ثدي أمّه فيه طعامُه وشرابهُ ومناعة جسمه وتحصينه ضد الآفات والأمراض... وكلّ مقومات حياته. ووهب الأمّ علاوة على ذلك عاطفة جيّاشة ورحمة وشفقة على ولدها، فهي تحنو عليه رغم ضُعفه وهوانه، وكثرة بكائه وإزعاجه، ولا ترضى أن يُمسّ ولو بالحرير كما يُقال.

ففيزيولوجيا يتعرّض جسم المرأة لتقلبات كثيرة حسب مرحلة نموّ الجنين، وتطرأ عليه تغيّرات وظيفية لتلاءم مراحل تكوينه... فإذا خرج إلى الدنيا نشِطت هرمونات الإرضاع فيمتلئ ثدياها لبناً، وارتفعت نسبة هرمون الأوكسيتوسين[1] الذي يُعزّز الرابطة بين الأم والولد...

ومن غريب ما توصّل إليه العلم الحديث وجود قسمٍ من دماغ الأم لا ينشط إلاّ بعد أن تضع مولودها فيبدأ في العمل، ووظيفته متخصصة في فهم إشارات المولود الجديد. فالطفل في أيامه الأولى لا يستطيع أن يعبّر عن أحاسيسه بالحركات ولا بالكلام، إنّما بإيماءات وجهه وعينيه، والأم الوالدة هي وحدها القادرة على فهم تلك الإشارات بفضل ذلك الجزء من الدّماغ[2]. ولعلّ الأغرب من ذلك ما توصّل إليه باحثون من أنّ أجزاء من الحمض النووي للجنين تنتقل إلى دماغ الأم وتبقى قابعة فيه، موثّقة الترابط العضوي بينها وبين مولودها، حتّى غدت المقولة المعروفة: "إن الولد لا يفارق أبدا ذهن أمّه" تفسَّر اليوم عضويا بوجود أقسام من الدنا (ADN) الخاصّة بالولد بين ثنايا دماغ الأم[3]. وهذا يمعن في إعطاء الأم هذه الخصوصية دون غيرها من العالمين، فدماغها مجهز بوسائل استقبال خاصّة تفهم بها إشارات مولودها، وبين خلاياها توجد بصمات وراثية لذلك المولود؛ ما يعزِّز رابطتهما، ويميز علاقتهما عن غيرها من العلاقات...

فالمرأة إذن ليست كالرجل بحال. لقد جهّزها الله تعالى خصّيصا لهذه المهمّة النبيلة السامقة الجليلة، وأعظِم بها مهمَّة؛ جهَّزها لتحمل وتضع، وتربي وتحنو على مولودها، وتحميه من عوادي الزمان، وتنشئه على حسن الأخلاق والتقوى والصلاح...هكذا أراد الله من المرأة بمجرَّد أن جعلها امرأة، واليوم يؤيد العلم الحديث هذا ويبرزه جليا لكلّ ذي بصيرة.

ومن جهة تكوين الدماغ يرى العلماء فروقا جليّة بين الجنسين، فمخّ المرأة في المتوسّط أصغر حجما من

---

1)-يفرز الأكسيتوسين بغزارة في جسم المرأة عند الوضع ليسهم في إحداث التقلصات الرحمية، ثمّ بعد الوضع يقوم هذا الهرمون بدور مهم في إفراز اللبن، وفي الوقت ذاته يعزز الرابطة القوية بين الأم وولدها، ما يجعلها أما حقيقية بكل المقاييس.

ينظر- Ema gauthier: Ocytocine, hormone de l'amour et du reste ; http://fr.lelo.com

2)-تؤكد الباحثة في علم الأعصاب وعلم النفس كاثرين إليسون: أنّ الدماغ لدى المرأة يتطوّر أثناء الحمل ويكتسب وظائف جديدة تمكنها من التواصل مع المولود الجديد. ينظر المزيد من التفصيل في كتاب: katherine Ellison: Le ceveau des mères, ou comment la maternité rend les femmes plus intelligentes ; éd: marabout, mars 2008, France.

3)-ينظر المقال العلمي المنشور في مجلة بلوزوان: William F. N. Et autres: Male Microchimerism in the Human Female Brain; 26 septembre 2012, France, http://www.plosone.org/.

مخّ الرجل[1]، لكن القطعة البينية الرابطة بين نصفي كرة المخ لدى المرأة أكبر حجماً منها لدى الرّجل، وهذه القطعة الوسطى التي تسمّى الجسم الثفني (corpus callosum) هي المسؤولة عن إقامة التواصل بين النّاس، وهي التي تنطلق منها العواطف والمهارات اللفظية... وهذا يفسّر تفوّق المرأة في هذا المجال؛ فالمرأة ميّالة إلى التواصل، جيّاشة العواطف، شديدة الحساسية، تسارع إلى إقامة العلاقات وتهتمّ بالآخرين، وتنتبه لِمشاعر النّاس وأحاسيسهم... على خلاف الرجل الذي تضعف لديه هذه المهارات إلاّ لِماماً[2].

ومن جهة أخرى يلاحظ العلماء طُغيان النصف الأيمن من مخّ المرأة على نشاط الدّماغ... وهو القسم المكلّف بالألوان والأنغام والأشكال، والمخصّص للمشاعر والأحاسيس والجمال... بينما يتكفّل القسم الأيسر بالمنطق والحساب والإنجازات العملية والتّصاميم المكانية، وهو ما يبرع فيه الرّجُل لأنّ قسمه الأيسر هو المهيمن على نشاط دماغه على عكس المرأة[3].

ومن هنا تأتي أهمّ الفروق التي أودعها الله تعالى بالخِلقة في كلّ من الجنسين، فبقدر ما تُولي المرأة الأهمية للتفاصيل الدقيقة وتهتمّ بالجوانب الشّكلية الجمالية، وتُعطي الأولوية للتواصل والحديث مع النّاس، بقدر ما يحبس الرّجل نفسه في إنجازاته ومشاريعه العملية ويهتمّ بوظيفته، ولا يُولي نفس الاهتمام للتواصل والمناحي الفنّية والجمالية.

فالرجل مجهّز ليعمل ويُنجز ويصبر على ذلك ويكتسب، ثمّ ينفق ثمرة جهده على أهله وأولاده، وهو بذلك راضٍ مطمئن مستقر داخليا، لأنه يشعر بأنه يتماشى مع ما جبله الله عليه من فطرة...

أمّا المرأة فحين تقرّ في بيتها وتعتني بأولادها وزوجها فهي تقوم بذلك بِشغف وإخلاص لأنه من صميم مؤهلاتها وطبيعة نفسها.

يقول سُبحانه: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ**﴾ (النساء، 34).

1)-يفوق وزن مخ الرجل مخ المرأة بحوالي 150 غرام، ولم تعرف إلى الآن حكمة ذلك التفاوت.

ينظر- أنور حمدي: الدماغ، إبداع وإعجاز، ط1، نشر دار القلم، دمشق1421هـ/2000م، 159-164. تؤكد الباحثة في علم الأعصاب وعلم النفس أن الدماغ لدى المرأة يتطوّر أثناء الحمل ويكتسب وظائف جديدة تمكنها من التواصل مع المولود الجديد؛

ينظر المقال العلمي المنشور في مجلة بلوزوان:

William F. N. Et autres: Male Microchimerism in the Human Female Brain; 26 septembre 2012, France, http://www.plosone.org/.

-(2Janlou Chaput: Cerveau d'homme et cerveau de femme, le câblage serait différent, http://www.futura-sciences.com/magazines/sante. Sébastien Bohler: Cerveau d'homme, cerveau de femme: les différences observées au scanner ; http://www.scilogs.fr/

3)-من محاضرة ألقاها الدكتور سيرج جانجر في عدة بلدان أوروبية وأمريكية بين 2001 و2002 ونشرت في:

la Gazette des Psychothérapêutes professionnels, N° 2-3, juill. 2002, Moscou (en russe);
-la revue Cultures en mouvement (Sciences de l'Homme) N° 53, déc-. 2002-jan. 2003, Antibes;
-le magazine Psychologies, N° 221, ju ill-août 2003, Paris;
-l'International Journal of Psychotherapy, Vol. 8, Nr 2, July 2003, UK, (en anglais);
-Psychodrama and Modern Psychotherapy N° 3-4, July-Sept. 2003, Kiev (en russe);
-Forum of Psychiatry & Psychotherapy, tome 5, 2004, Lviv (en russe).
Serge Ginger: Cerveau féminin / Cerveau masculin, http://www.psycho-ressources.com/bibli/index.html

لكن تنظيم العلاقة بينهما لا بدّ أن يخضع للتشريع الإلهي لئلا يتعرَّض للشَّطط أو الغلُوّ.

فما حقيقة القوامة؟ وما ضوابطها؟

مِلاك الأمر - والله أعلم - قوله تعالى: ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكُيمٌ**﴾ (البقرة، 228).

إذن للمرأة مثل ما للرجل، وبالمعروف أي بالإحسان أو بما يتعارف عليه الناس من الحقوق؛ ما لم يحلُّوا حراما أو يحرِّموا حلالا.

يقول الشيخ الشعراوي في تفسيره للآية[1]: " فكلّ منهما له حقّ على الآخر حسب طبيعته، الزوج يقدّم للزوجة بعضاً من خدمات، والزوجة تقدّم له خدمات مقابلة؛ لأن الحياة الزوجية مبنية على توزيع المسئوليات. إنّ الرجل عليه مسئوليات تقتضيها طبيعته كرجل، والمرأة عليها مسئوليات تحتمها طبيعتها كأنثى. والرجل مطالب بالكدح والسعي من أجل الإنفاق. والمرأة مطالبة بأن توفر للرجل البيت المناسب ليسكن إليها عندما يعود من مهمّته في الحياة. ولذلك يقول الله عز وجل: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لتسكنوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ (الروم، 21).

والسكن إلى شيء هو نقيض التحرك، ومعنى ﴿**لتسكنوا إِلَيْهَا**﴾ أي إنكم تتحركون من أجل الرزق طوال النهار ثمّ تعودون للراحة عند زوجاتكم. فالرجل عليه الحركة، والمرأة عليها أن تهيئ له حسن الإقامة، وجمال العشرة وحنان وعطف المعاملة. فالمسئوليات موزّعة توزيعاً عادلاً. فهناك حقّ لك هو واجب على غيرك، وهناك حقّ لغيرك وهو واجب عليك".

والله سبحانه خاطب النساء بالإيمان والمعرفة والأعمال الصالحة، وجعل لهن ما عليهن، وقد بايع النبي ﷺ المؤمنات كما بايع المؤمنين، وأمرهنَّ الله بتعلّم الكتاب والحكمة، ولا فرق بين إنسانية الرجل والمرأة ابتداء. ﴿**فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ**﴾ (آل عمران 195). ﴿**وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً**﴾ (النساء، 124).ولكن للرجال عليهن درجة...

والدرجة تفسَّر بقوله تعالى: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ**﴾ (النساء 34).

يقول الإمام الرازي[2]: "إنّ الزوج اختصّ بأنواع من حقوق الزوجة، وهي التزام المهر والنفقة، والذب عنها، والقيام بمصالحها، ومنعها عن مواقع الآفات، فكان قيام المرأة بخدمة الرجل آكد وجوباً، رعاية لهذه الحقوق الزائدة. وهذا كما قال تعالى: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَآ**

1)-الشعراوي: التفسير (مراجعة أحمد عمر هاشم، نشر أخبار اليوم، 1991م) 2/ 987.

2)-محمد بن عمر بن الحسين الرازي: تفسير الفخر الرازي، نشر دار إحياء التراث العربي، 917/1.

أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ (النساء: 34)". فلها الحقّ في عدم التكسّب والإنفاق، أمّا الرجل فإن مؤهلاته تجعله مكلّفا بالكسب والإنفاق لهذا قال تعالى: "وبما أنفقوا من أموالهم".

والقوَّام هو الذي يقوم على شأن شيء ويصلحه، وهي كلمة مشتقة من القيام المجازي الذي هو مجاز مرسل أو استعارة تمثيلية، لأنه شأن الذي يهتم بالأمر ويعتني به أي يقف ليدبّر أمره. وقوَّام: فعال للمبالغة من القيام على الشيء والنظر فيه وحفظه بالاجتهاد، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً**﴾ (آل عمران، 75). "لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً"، أي حريصا ملازما مواظبا... ومنه القَوَام: العدل، كما في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً**﴾ (الفرقان، 67)[(1)].

وقد أناط الله سبحانه هذه القِوامة التي هي غُرم وتكليف بالرجل لأمور:

- "بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ"، لم يقل: "بما فضل الله الرجال على النساء"، لأن التفضيل متبادل، لكن طبيعة البشر خلقها الله هكذا: خلق للمرأة جسما غير جسم الرجل، واستعدادات غير استعدادات الرجل... لذا لم يكلِّفها بالإنفاق بعدما كلّفها بالحمل والوضع والحضانة.

وهذا التخصيص لم يكن وليد اتفاق ولا نتيجة تغلُّب أحدهما على الآخر وقهره، بل نتيجة ما خلق الله تعالى في الرجال والنساء من مقومات ووظائف واستعدادات، فالرجل لا يمكن أن يختص بوظائف الأمومة، والمرأة لا يمكنها القيام بكلّ ما يقوم به الرجل: ﴿**وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً**﴾ (النساء، 32).

وقد قيل إنّ هذه الآية نزلت في أمّنا أمّ سلمة رضي الله عنها لما قالت: "أيغزو الرجال ولا نغزو ولنا نصف الميراث"[(2)]، فبين الله تعالى أنّ لكلّ نصيبا من عمله، فقد يكون ميراث المرأة النصف، لكنَّها تقبض المهر ولا تكلَّف بالإنفاق...

وما ورد في القرآن من إعطاء الرجل ضعفَ نصيب المرأة ليس على إطلاقه، فعند استقراء حالات ميراث المرأة يتبين أنّ الحالات التي ترث فيها نصفَ نصيب الرجل أقلّ من الحالات التي ترث فيها مثل نصيب الرجل أو أزيد منه[(3)].

---

1)-ينظر- ابن منظور: لسان العرب، ط1، نشر دار صادر، بيروت؛ 496/12. ابن الأثير: النهاية في غريب الأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، نشر المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ/ 1979م؛ 207/4.

2)-ينظر- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، ط2، نشر دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ /1999م، 286/2. ابن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، نشر مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ /2000 م، 262/8.

3)-ينظر البحث القيم للأستاذ محند عزوق: **معايير التمايز في الميراث بين الذكر والأنثى**، رسالة المسجد (مجلة محكمة تصدرها وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، السنة التاسعة، العدد الثالث، ربيع الأول 1432هـ/ مارس 2011م) -70- 82.

فالحكم إذن منوط بالمؤهلات والتكاليف، والله تعالى جعل القوامة لأن الحياة الزوجية مؤسّسة اجتماعية، وما من مؤسّسة إلا ولها مسؤول.

يقول الشيخ الغزالي: "إذا كان البيت مؤسّسة تربوية أو شركة اقتصادية، فلا بدّ له من رئيس. والرئاسة لا تلغي البتة الشورى والتفاهم وتبادل الرأي والبحث المخلص عن المصلحة. إنّ هذا قانون مطرد في شؤون الحياة كلّها، فلماذا يستثنى منه البيت؟"(1).

ومن أوكد مهامّ القوامة الإنفاق؛ فالمرأة نفقتها على أبيها، كما قال سبحانه: ﴿**وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ (البقرة، 233).

وبعد الزواج على زوجها: ﴿**أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى**﴾ (الطلاق، 6). ﴿**لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً**﴾ (الطلاق، 7). ﴿**وَآتُواْ النِّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَّرِيئاً**﴾ (النساء، 4). ﴿**فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً**﴾ (النساء، 24).

وقد جاءت الآية بصيغة: "وبما أنفقوا" للدلالة على أن الإنفاق كان من شأن الرجال منذ القديم، فهو مما تقتضيه الفطرة السليمة.

ولقد رتب الله تعالى أجرا على الإنفاق على الأهل، كما بين الرسول صلى الله عليه وسلم: "دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ"(2). لأنَّ البيت المسلم هو الذي يبني العقائد وينشئ الفضائل، والإنفاقُ عليه أبرك مشروع استثماري. ولذلك يذهب بعض الفقهاء إلى إثبات حق الفسخ بالإعسار للزوجة(3).

---

1)-محمد الغزالي: قضايا المرأة (دار الهناء، الجزائر، 1422ه/2001م)، 155.

2)مسلم: صحيح مسلم، حديث رقم 995 (بترقيم عبد الباقي). أبو نعيم الأصبهاني: المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم (نشر دار الكتب العلمية، بيروت،1417ه/1996م)، 80/3، حديث رقم 2241.

3)وهو مذهب الأئمة مالك والشافعي والظاهر من مذهب الإمام أحمد، خلافا لأبي حنيفة؛ ينظر- ابن نجيم: البحر الرائق شرح كنز الدقائق، نشر دار المعرفة بيروت، 202/4. ابن عابدين: حاشية رد المختار على الدر المختار، (نشر دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1421ه/2000م)، 590/3. أبو الحسن التسولي: البهجة في شرح التحفة، (تحقيق:محمد عبد القادر شاهين، ط1، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، 1418 ه/1998م)، 633/1.أبو محمد عبد الوهاب البغدادي: التلقين في الفقة المالكي (تحقيق: أبو أويس محمد التطواني، ط1، نشر دار الكتب العلمية، 1425ه-2004م)، 119/1. أبو بكر الدمياطي: حاشية إعانة الطالبين، (نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت)، 336/3. الكتاب: أبو زكريا النووي: المجموع شرح المهذب، (من موقع مكتبة المسجد النبوي الشريف http://www.mktaba.org)، 267/18. الكتاب: ابن تيمية: المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل (نشر مكتبة المعارف، الرياض، ط2، 1404ه -1984م)، 116/2. ابن قدامة المقدسي: المغني في فقه الإمام أحمد (نشر دار الفكر، بيروت، ط1، 1405ه)، 374/7.

إذن ليس الذّكر كالأنثى بحال...

ولقد أجرى العلماء تجارب جميلة ليبرزوا هذه الحقيقة الفطرية التي أقرّها الله تعالى في خلقه، فالأطفال في مراحل حياتهم الأولى وحتّى قبل أن يتلقّوا أيّ تعليم؛ يعرفون جنسهم جيدا، ويميّزون تمام التمييز بين رغباتهم المختلفة، فتجد الذّكور يفضّلون اللُّعب التي تعزّز الرجولة والقوة في أنفسهم، وتجد الإناث يفضّلن الدمى، ويُمضين الساعات الطوال وهنّ يُلاطفنها ويُحادثنها ويعتنين بها في تعبير واضح عن ذلك الميول إلى التواصل والعاطفة التي أودعها الله فيهنّ.

من هذه التجارب أنّهم ألبسوا بناتٍ لباس الذكور وألبسوا صبيانا لباس البنات ثمّ تركوهم مع مربيات دون إعلامهنّ بحقيقة جنس أولئك الأطفال، فكانت المربية عندما تقدّم للطفل – وهي تظنّه بنتا – دميةً، يرميها بعيدا ويصرخ باكيا، وبالمقابل كانت البنات يرفضن اللّعِب بلُعب الصبيان...

ومن أجمل التّجارب أنّهم طلبوا من جمعٍ غفير من رجالٍ ونساء، وأطفالٍ وبنات، جمعٍ يربو على مائتي شخص بأن يرسم كلّ واحدٍ منهم درّاجة... فكُلُّ النساء تقريبًا -اللائي كُنَّ حضرن في التجربة- رسمن درَّاجة ناقصة التصميم، إمَّا ينقصها المقود أو الدوَّاسات... ينقصها شيء لا يُمكن أن تعمل الدرّاجة بدونه. ولكن كلُّهن أيضًا رسمن شخصًا يركب الدراجة.

أمَّا الرجال فعلى العكس؛ لا أحد منهم رسم شخصًا على دراجته، لكنهم في الغالب رسموا دراجة تصلح للسير وفيها كلُّ المعدَّات. وكانت الفكرة التي استنبطها العلماء من هذه التجربة تبرز مدى اهتمام المرأة بالعواطف والتواصل، أمّا الرجل فيهتمُّ بالعمل والإنجاز.

من هنا يكتسي الموضوع أهمّيته، فالله تعالى خلق الزوجين الذّكر والأنثى وأعطى لكلٍّ مقوّماته ومؤهلاته وقدراته... فجعل على الرّجل العمل والإنفاق وقوامة البيت، وعلى المرأة حفظ بيتها ورعاية زوجها وتربية أولادها، ونحن نرى اليوم كيف انخدع ناسٌ كثيرون بدعاوى تسعى لإخراج المرأة من بيتها وإقحامها في ميادين العمل بجانب الرّجل، مع ما يُسبب لها ذلك من عنتٍ ومآسي، وما يُحدِث من اختلال توازنٍ في الأسر وفي المجتمعات بالتّبع. والواقع يشهد اليوم كوارث ناجمة عن المكابرة في هذا المجال.

عندما ترجع المرأة إلى بيتها منهوكة القِوى، فإنه لن يكون سهلاً عليها أن تصبر على أبنائها ومتطلّباتهم، وأن تتحمّل شكاواهم ونزاعاتهم... وكم من حادث تعرّض فيها الأبناء إلى التعنيف والضرب والقهر من قِبَل أمَّهات تعرّضن في عملهن لضغوط ففرَّغْنَ شحنة الغضب على أولادهنّ. هذا علاوة على الإهمال والضياع الذي يتعرض له الأولاد ببُعد المربي الحقيقي الذي لا يمكن أن يعوض بغيره؛ الأم.

وكم من بيت تَقوّض بسبب الخلافات الزوجية نتيجة معاكسة هذه الفطرة الربّانية... ومجال الأمثلة يطول.

إنّ الطفل يحتاج إلى والديه، ولن يقوم أحدٌ مقامهما؛ فلا خادمة، ولا مربّية، ولا مدرسة، إذا فقد الولد أمّه، وهذا لا يماري فيه إلاّ من كابر عقله وكذّب حسَّهُ.

حين ندرك هذه الأسرار البديعة التي أودعها الله تعالى في كلٍّ من الجنسين تتجلّى لنا حِكمته، ويتبين لنا ما في أحكام الله وتشريعاته من عدالة مطلقة. فهو لا يكلّف بما لا يطاق: ﴿**لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾ (البقرة، 286)، ﴿**لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ مَا آتَاهَا**﴾ (الطلاق، 7). وهو من جهة أخرى سيسأل كلّ راعٍ عمَّا استرعاه، ذلك لأنه قبل أن يُحمِّله مسؤولية رعايته منحه كلّ الآلات الضرورية للقيام بواجبه أحسن قِيامٍ.ولا بدّ أن يستفيق النّاس من غيّهم وأن يرجعوا إلى جادة الصواب، وينأوا بأنفسهم عن الانسياق الأهوج وراء كلّ ناعق بدعوى التمدّن والعصرنة والتقدّم والحضارة وما إلى ذلك من مصطلحات توضع في غير موضعها...

ألقاب مملكة في غير موطنها كالهرّ يحكي انتفاخاً صولة الأسد

إنّ النّاس في الغرب بدأوا ينتبهون لهذا، وأخذت الأصوات تتعالى بضرورة ردّ الأمور إلى نصابها، وإرجاع المرأة إلى بيتها لتقوم بوظيفتها، بخاصّة لما بدا الخلل واضحا عندهم في مجال التربية والعناية بالأولاد وتركهم لأحضانِ مربيات أجنبيات عنهم، أو إسلامهم للشوارع والملاجئ، وما ينجرُّ عنها من آفات وشرور.

ونحن من خلال قرآننا وتعاليم ديننا بإمكاننا أن نقدّم للعالم التائه أنموذجا حيّا يردّ الشارد إلى الحوض، ويُرجع الأمور إلى نصابها كما أراده الله لها، فهو الخالق سبحانه وهو أدرى بما خلق.

﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ (الملك، 14). والحمد لله رب العالمين.

تصوّر مقترح لتجويد المباني والتجهيزات التربوية برياض الأطفال الجزائرية في ضوء المعايير الدولية

د.علي عون
كلّية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة عمار ثليجي بالأغواط

الملخّص:

هدفت الدراسة إلى تقديم تصوّر مقترح لتجويد المباني والتجهيزات التربوية برياض الأطفال الجزائرية في ضوء المعايير الدولية المعمول بها في العالم العربي والعالم الغربي من أجل النهوض بهذه المؤسّسة التي تعتبر اللبنة الأولى في تكوين شخصية الطفل وتنمية مواهبه وقدراته، خاصّة أنّ نموّ هذه المواهب والقدرات يبلغ مداه في هذه المرحلة المبكرة من حياته، الأمر الأساس والأوّل والأهمّ في بناء شخصية الفرد ورسم خطوط مستقبله.

ولما للبيئة المادّية لرياض الأطفال من أثر على دافعيتهم، وانطلاقهم لتنمية اهتماماتهم، والكشف عن مواهبهم وقدراتهم، أكّد المربون على ضرورة توفير بيئة مناسبة في الروضة تعمل على إثارتهم وتلبية احتياجاتهم، و تعمل على كشف ميولهم وقدراتهم، و ليمارس فيها كلّ منهم الخبرة الني تناسبه، والنشاط الذي يلبي احتياجاته، و ميوله في جوّ من الحرّية والأمن.

الكلمات المفتاحية: تجويد المباني والتجهيزات التربوية، رياض الأطفال، المعايير الدولية، معلّمات الرياض

Summary

The study aimed to provide a concrete proposal buildings educational facilities in kindergartens and Algerian children in the light of established international standards in the Arab world and the Western world for the advancement of this institution, which is considered the first step in the formation of a child's personality and the development of their talents and abilities, in particular the growth of such talent and building a range at this early stage of his life, the basis and the first and most important in building the individual personality and draw the lines of their future.

Since the physical environment kindergartens impact on motivation, is readily offered for the development of their interests, and disclosure of their talents and capacities, educators confirmed the need to provide a suitable environment at the kindergarten to agitate and meet their needs, and to detect and orientation of their abilities, and in the exercise of their respective expertise and proportionality of the partie civile, activity that meets their needs, and tendencies in an atmosphere of freedom and security

Keywords (quality buildings educational facilities, kindergartens, international standards, Riyadh parameters)

تحظى مرحلة رياض الأطفال اليوم باهتمامٍ بالغ, وعناية فائقة من دول العالم, إدراكاً لما لهذه المرحلة

العمرية من دورٍ أساس في تنشئة الفرد وبناء شخصيته من مختلف جوانبها, ويتجلى هذا الاهتمام بإقدام العديد من الأنظمة التربوية على إنشاء المؤسّسات المتخصصة, وإيجاد الأبنية الملائمة, وتجهيزها بالوسائل والأدوات المناسبة والمناهج المطلوبة. ويعود الاهتمام بالطفولة إلى قرونٍ مضت, حينما أنشئت روضة فردريك فروبل (Fredreck Frobel) في ألمانيا في النصف الأوّل من القرن التاسع عشر الميلادي, وعلى وجه التحديد عام 1840م, وأطلق على تلك الروضة مسمى: "حديقة الطفل", إذ إنه شبّه نشأة الطفل فيها أو نموّه كنموّ الزهور والنباتات في الروضة الغنّاء. أمّا في بريطانيا فكان افتتاح أول روضة للأطفال عام 1854م. أمّا في إيطاليا فتعتبر ماريا منتسوري (Maria Mentosory) من الرواد الأوائل لتعليم أطفال الروضة من خلال نظامها المعروف بمدارس منتسوري, وقد أطلقت اسم "بيت الأطفال" على روضة الأطفال التي أنشئت في الأحياء الفقيرة في روما عام 1907م.

أمّا الولايات المتحدة الأمريكية فقد انتقلت إليها رياض الأطفال عن طريق اللاجئين الألمان, حيث أنشئت أول روضة للأطفال في مدينة ويسكونسين(Wisconsin) عام 1855م, وكانت منشئتها سيدة ألمانية تدعى شواز (Shwaz**)**, بعدها أصبحت رياض الأطفال في بعض الولايات الأمريكية جزءاً من النظام التعليمي العام **(الحريري, 2002، ص 20).**

ومع نهاية القرن الماضي تمّ تحديد الأهداف الوطنية للتعليم في أمريكا عام 1999م, وكان على رأس هذه الأهداف بمرحلة رياض الأطفال وهو "الاستعداد للتعلّم" بمعنى: أن كلّ الأطفال سيصلون المدرسة ولديهم الاستعداد للتعلّم, إذ أكد هذا الهدف على حقّ كلّ طفل بدخول برامج ذات جودة عالية تعدهم للمدرسة **(Edwards, 2000 p,52).**

ونتيجة لهذا الاهتمام العالمي, بادرت الدول العربيّة المختلفة بإدخال نظام رياض الأطفال كجزء من برامجها التعليمية. ففي مصر تأسست أول روضة للأطفال عام 1918م. وفي عام 1926م افتتحت في العراق روضتان في مدينة بغداد. وفي سوريا أنشئت أول روضتين للأطفال عام 1914م. أمّا في لبنان فكان افتتاح أول روضة أطفال حكومية عام 1965م.

وفي الجزائر كانت رياض الأطفال موجودة خلال الحقبة الاستعمارية، وكان نشاطها يقتصر على أبناء المستعمر وبعض من أبناء الخونة وكانت تشرف عليها الراهبات، كما كان لجمعية علماء المسلمين دور كبير في تربية الأطفال قبل سن التمدرس، وأسست مدارس عبر بعض ولايات الوطن عرفت بدور الحديث، بعد الاستقلال لم يدم نشاط رياض الأطفال طويلا ومن تمّ إلغاء الرياض بموجب القرار الوزاري المؤرخ بتاريخ 1965/09/23 حيث تمّ تحويلها إلى المدارس الابتدائية لاستيعاب أطفال المدارس الابتدائية بعدها جاءت عدّة مراسم تهتم برياض الأطفال لكن النشاط اقتصر على القطاع الخاصّ والجمعوي فقط، بينما تكفلت الدولة فقط بالأقسام التحضيرية في المدارس الابتدائية، ومن الجمعيات المهتمة بقطاع رياض الأطفال في الجزائر جمعية الإرشاد والإصلاح الوطني حيث تهتم فروعها عبر التراب الوطني بهذا النشاط.

مشكلة الدارسة:

أفادت فريدة جبالي، رئيسة لجنة الشؤون الاجتماعية والثقافية بالمجلس الشعبي الولائي لولاية الجزائر، أن أغلبية رياض الأطفال بالعاصمة لا تخضع للشروط الأساسية والصحية المخصصة للأطفال، حيث تحولت في الآونة الأخيرة إلى تجارة من دون مراعاة صحّة الأطفال وسلامتهم، بالرغم من أن ثمن الدخول إلى هذه الرياض لا يقل عن 10 آلاف دينار شهريا، والذي وصل في بعض الأحيان إلى 22 ألف دينار شهريا، خاصّة أن أغلبها تنشط من دون اعتماد، مشيرة إلى أن ضعف الرقابة من قبل مديرية النشاط الاجتماعي وراء تفشي انتشار هذه الرياض.وقالت جبالي، خلال الزيارة التفقدية التي قادتها رفقة أعضاء المجلس الولائي إلى رياض الأطفال بالمقاطعة الإدارية للشراقة، إنه تمّ تسجيل العديد من النقائص برياض الأطفال بالعاصمة سواء كانت تابعة للخواصّ أو لمؤسّسة «بريسكو»، والتي من شأنها تهديد صحّتهم وجعلهم في خطر، نظرا لانعدام التهوية بها خاصّة رياض الأطفال الخاصّة، بالإضافة إلى انعدام المساحات الخضراء وعدم توفرها على وسائل لعب مريحة للأطفال، ناهيك عن انعدام شروط السلامة الصحّية في المطابخ، مضيفة أن أغلبيتها تحتوي على مقرات ضيقة، كما أن الوجبات التي تقدّمها غير صحّية في غالبيتها.وأشارت ذات المتحدثة إلى أنه من خلال الزيارات التفقدية السابقة لرياض الأطفال، تمّ الوقوف عند أشياء سلبية للغاية، كانعدام كاميرات المراقبة بهذه الأخيرة، والتي من شأنها المساعدة كثيرا في حماية الأطفال من الاختطافات التي انتشرت بكثرة في الآونة الأخيرة، وكذا حمايتهم من الاعتداءات فيما بينهم أو من المربين، خاصّة أن العديد من مديري الرياض يشتكون من قلة العمال المؤهلين لتربية وتعليم الأطفال والتعامل معهم، نظرا لنقص التكوين والخبرة في هذا المجال، مفيدة أنه قد تمّ دق ناقوس الخطر في هذا المجال، وسيتم إعداد تقرير سيرفع إلى مديرية النشاط الاجتماعي من أجل الوقوف عند هذه الأوضاع.التي لم تقتصر على العاصمة فقط فحتّى في ولايات الوطن كذلك لدى لا بدّ من إعادة النظر في واقع المباني والتجهيزات التربوية لرياض الأطفال الخاصّة منها والعمومية ومحاولة تجويدها بناء مع المعايير الدولية لرياض.(**جريدة النهار، 2015/11/01.**)

إنّ خصائص طفل الروضة لاسيّما في حبّه للحركة والاستكشاف والتجريب، وحاجاته النمائية جسدياً ومعرفياً وعاطفياً واجتماعياً، تتطلّب وجوده في بيئة تسمح بحرّية الحركة من جهة، وتثير التفكير من جهة أخرى، إلى جانب مساعدتها على زيادة التفاعل الوجداني والاجتماعي، وذلك من خلال اتصافها بمواصفات بنائية ونمائية وجمالية، معيّنة وتزويدها بتجهيزات ووسائل وأثاث يتناسب وتلك المتطلّبات من جهة أخرى. وهذا يعني أنه لا بدّ من وجود تصور معماري لبناء الروضة يتمتع بمعايير تجود العمل التربوي، ومزودة بمواصفات خاصّة من حيث التجهيزات والأثاث، بحيث تقدّم هذه المواصفات خدمات أفضل للمستفيدين من جهة، وترقى بالعملية التربوية من جهة أخرى، وأنه بغياب تلك المعايير أو المواصفات تبقى الروضة عبارة عن تجمع تقليدي يتكون من غرف متلاصقة، تحتوي على أثاث يشبه المدارس الابتدائية التقليدية، لا يساعد المعلّمة على القيام بعملها من جهة، ولا يحقّق الأهداف النمائية المرجوة في مرحلة رياض الأطفال .ويسعى البحث إلى اقتراح مجموعة من المعايير لتجويد المباني والتجهيزات التربوية في رياض الأطفال الجزائرية بما يتناسب والحاجات النمائية للطفل من جهة، والمعايير الجمالية والاقتصادية والصحّية للطفل. كما يتناول دراسة واقع المباني والتجهيزات التربوية في رياض ومقاربة هذا الواقع مع معايير الجودة العالمية. وطرح أهمّ

المعوقات التي تحول دون تطبيق جودة المباني والتجهيزات التربوية في رياض الأطفال الجزائرية حسب رأي المعلّمات. وتجلت مشكلة البحث الحالي في التساؤلات التالية:

تساؤلات الدراسة:

1. ما التصور المقترح لمعايير جودة المباني والتجهيزات التربوية بما يتناسب مع حاجات المجتمع الجزائري وظروفه وإمكانياته؟

2 ـ ما هو واقع المباني والتجهيزات التربوية في مؤسّسات رياض الأطفال في الجزائر، مقارنة بالمعايير الدولية؟

3 ـ ما أهمّ معوقات تطبيق جودة المباني والتجهيزات التربوية في رياض الأطفال الجزائري حسب رأي المعلّمات؟

أهمّية الدراسة :

تبرز أهمّية هذه الدراسة من ناحيتين(النظرية والتطبقية):

الأهمّية النظرية:

1. إلقاء الضوء على واقع المباني والتجهيزات التربوية في رياض الأطفال الجزائرية لتشخيص حالتها والوقوف على جو انب الضعف ومعرفة احتياجاتها كخطوة أولى للحث على زيادة الدعم والاهتمام بها.

2. تعد هذه الدراسة امتداد لدراسات الباحثين الذين قاموا بدراسة واقع المباني والتجهيزات التربوية لرياض الأطفال أثرها في تكوين شخصية الطفل من النواحي النفسية والتربوية والاجتماعية....الخ.

الأهمّية التطبيقية:

1. التعرّف على تجارب بعض الدول فيما يتعلّق بتجويد المباني والتجهيزات التربوية والاستفادة من تجاربها في وضع أسس تضمن جودة التربية في رياض الأطفال بالجزائر.
2. قد يصل البحث إلى أسس وقواعد تساعد في ضمان جودة المباني والتجهيزات في رياض الأطفال.
3. قد يصل البحث إلى مجموعة من المقترحات التي قد تساهم في مساعدة المسؤولين على وضع أسس تتعلّق بجودة المباني والتجهيزات في مؤسّسات رياض الأطفال .
4. تقدّم أداة لتقييم المباني والتجهيزات التربوية في مؤسّسات رياض الأطفال بناء على عدّة أدوات من دراسات سابقة.
5. تسهم في التطوير المستقبلي لمواصفات تصميم المباني والتجهيزات التربوية بمؤسّسات رياض الأطفال.

أهداف البحث :

يهدف البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف من أهمّها ما يلي:

1. اقتراح مجموعة من المعايير التي تضمن جودة المباني والتجهيزات التربوية في رياض الأطفال,

2. دراسة واقع المباني والتجهيزات التربوية في رياض الأطفال الجزائرية، ودراسة مدى مقاربة هذا الواقع مع معايير الجودة العالمية.

3 . التعرّف على الصعوبات والأسباب التي تحول دون تحقيق جودة المباني والتجهيزات في رياض الأطفال الجزائرية.

المفاهيم الإجرائية للدراسة :

تجويد المباني والتجهيزات التربوية في رياض الأطفال: تحسين مخرجات رياض الأطفال الجزائرية وفق المعايير الدولية والمتمثّلة في ما يلي:(معايير مكونات مبنى الروضة، معايير الموقع الجغرافي للروضة، معايير الجانب الصحّي لمكونات الروضة، معايير تتعلّق بسلامة الصحّية للأطفال، معايير تتعلّق بالأقسام والمساحة، معايير تتعلّق بالمواصفات الجمالية لمكونات مبنى الروضة، معايير تتعلّق بالناحية الاقتصادي لتجهيزات الروضة، معايير تتعلّق بالخصائص النمائية للطفل، معايير تتعلّق بمتطلّبات المنهاج)

رياض الأطفال: يقصد بها في هذه الدراسة الروضات الخاصّة (المعتمدة من طرف الدولة) والعامة بمدينة الأغواط للموسم الدراسي 2016/2015

المعايير الدولية: المواصفات التي تتبعها الدول العربية والغربية والتي أحرزت تقدّم في تحسين المباني والتجهيزات التربوية والتوجهات المستقبلية في تطوير رياض الأطفال.

الدراسات السابقة :

1. دراسة (سرحان،2002) بعنوان" **المعايير التخطيطية في تطوير المدارس: (حالة دراسية لمحافظة رام اهلل والبيرة**)هدف الدراسة: دراسة واقع المدارس في محافظة رام اهلل والبيرة، ومقارنة المعايير المتبعة في تلك المدارس مع المعايير الأجنبية والعربية .منهج الدراسة: المنهج الوصفي التحليلي .عيّنة الدراسة: جميع مدارس رام اهلل والبيرة .أداة الدارسة: المسح الميداني .نتائج الدراسة: 1.9% من المدارس الثانوية و1.3% من المدارس الأساسية مطابقة لمعيار الجمالية الرياض المدرسة، 2.6% من المدارس الثانوية و11.2 % من المدارس الأساسية مطابقة لمعيار المساحة المخصصة للطالب من ارض المدرسة، 9.8% من المدارس الثانوية و77.9 % من المدارس الأساسية مطابقة لمعيار نصيب الطالب من الغرفة الصفية، ومعظم المدارس مطابقة احتياجات تطوير البيئة المادّية في المدارس الابتدائية بمحافظات غزة في ضوء المعايير الدولية 11 الفصل الثاني الدراسات السابقة لمعيار عدد الطالب في المدرسة،89.8% من المدارس الثانوية و81.3% من المدارس الأساسية يسير الطالب أكثر من المسافة المحددة .ضرورة الاهتمام بالبنية المدرسية وتأهيل المدارس القائمة حاليا والاهتمام بالصيانة التوصيات :الدورية وتخصيص الميزانيات المناسبة.

1- دراسة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1989 .عنوان الدراسة: **واقع البرامج التربوية لرياض الأطفال بالوطن العربي**

.أهداف الدراسة: دراسة واقع تنفيذ البرامج التربوية وتحيق أهدافها في رياض الأطفال في بعض الدول العربية .نتائج الدراسة: من أهمّ النتائج أظهرت أن تنفيذ البرامج يتم بالطريقة التقليدية التي تعتمد على الحفظ والتلقين، ولا يوجد توازن في نسب تحقيق الأهداف، حيث يتم الاهتمام بالأهداف المعرفية على حساب الأهداف الوجدانية والجسمية والحركية والاجتماعية، ومن أهمّ أسباب ذلك كما بينت الدراسة:

افتقار الرياض إلى المعلّمات المؤهلات تربوياً، وافتقار العمل وتجهيز الرياض وفق نظام الأركان والأنشطة، وقلة التجهيزات والوسائل التعليمية التي تعين المعلّمة على ممارسة عملها.

2. دراسة: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1991 عنوان الدراسة: **مباني رياض الأطفال وتجهيزاتها في الوطن العربي**

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى تعرّف واقع مباني رياض الأطفال وتجهيزاتها في مجموعة من الدول العربية .نتائج الدراسة: من أهمّ نتائج الدراسة أن يوجد تفاوت ما بين الدول العربية من حيث مواصفات البناء والتجهيزات في الروضة، فبعض الدول مثل الكويت والبحرين ولبنان تقترب الرياض فيها من المواصفات النموذجية في البناء والتجهيزات، بينما تقع مصر وسوريا ضمن البلدان المتوسطة، أمّا السودان والصومال فتفتقر الرياض فيها إلى المواصفات الجيدة في البناء، وتعاني من نقصٍ في التمويل والوسائل والتجهيزات.

3. دراسة: إبراهيم الحسين، 2002 عنوان الدراسة: **دراسة تحليلية تقويمية لواقع رياض الأطفال في الجمهورية العربية السورية**

.أهداف الدراسة: بيان واقع رياض الأطفال في الجمهورية العربية السورية في ضوء الإستراتيجية العربية للتربية السابقة للمرحلة الابتدائية نتائج الدراسة: بينت الدراسة أن غالبية الأبنية غير مناسبة لرياض الأطفال وغير مطابقة لمواصفات الإستراتيجية، أمّا من حيث تطبيق توصية الإستراتيجية لتعريب أفلام الأطفال وإنتاج برامج ووسائل عربية وتزويد مكتبات الروضة بقصص مناسبة فإنها غير مطبّقة.

4. دراسة: أمل مسعود، 2005م عنوان الدراسة: **رياض الأطفال في مصر دراسة تقويمية** .

أهداف الدراسة: بيان واقع مؤسّسات رياض الأطفال في جمهورية مصر العربية نتائج الدراسة: من أهمّ النتائج المتعلّقة بالبناء والتجهيزات في الروضة بينت الدراسة وجود عجز في الإمكانات المادّية والتجهيزات والوسائل في الرياض، التأثير السلبي للبيئة الخارجية على الأداء في الروضة، ازدحام الروضة والفصول بالأعداد الكبيرة من الأطفال وصغر المساحة المخصصة للأطفال، وبعامة يفتقر المبنى إلى الأقسام والتجهيزات والوسائل الكافية

5. دراسة: سناء أبو دقة، وآخرون، 2007م عنوان الدراسة: **دراسة تقويمية لجودة التعليم في رياض الأطفال بقطاع غزة** .

أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة التقييمية إلى تشخيص جودة التعليم في رياض الأطفال في قطاع غزة، من خلال:

1) تعرّف واقع رياض الأطفال في محافظات غزة من حيث جودة التعليم وخاصّة في المجالات التالية: المنهج، كفاءة المعلّمات، المواد التربوية المستخدمة في الرياض، مشاركة أولياء الأمور.

2) تحديد معوقات جودة التعليم في رياض الأطفال

نتائج الدراسة: بينت النتائج استخدام الرياض نظام الصف التقليدي، واعتماد نظام الحصص، وهيمنة البعدين الاجتماعي والمعرفي كأهداف رئيسه للروضة، أمّا بالنسبة لكفاءة المعلّمات فقد بينت النتائج أن جميعهن لديهن شهادة الثانوية العامة، وثلث أفراد العيّنة لديهن مؤهل جامعي، والمواد التربوية غير متوافرة بشكل كاف في رياض الأطفال، أمّا مشاركة أولياء الأمور لا تتعدى دفع الرسوم وحضور بعض

الاجتماعات والندوات. أمّا المعوقات فأهمّها تلك المتعلّقة بعدم دفع الرسوم، والمشاكل السلوكية من قبل الأطفال، وضعف تفاعل الأهالي إلى جانب تدني راتب المعلّمات وقلة خبرتهن في مجال الطفولة المبكرة .

دراسة: أحمد علي كنعان، 2007 .عنوان الدراسة: **رؤية لإعداد معلّم رياض الأطفال وتأهيله وفق متطلّبات أنظمة الجودة** .

هدف الدراسة: وضع تصور لإعداد معلّم رياض الأطفال وفقاً لمتطلّبات الجودة، ودراسة واقع إعداد معلّم رياض الأطفال في قسم رياض الأطفال في التعليم المفتوح في جامعة دمشق.

نتائج الدراسة: بينت نتائج الدراسة التي طبّقت على عيّنة من طلاب قسم رياض الأطفال في التعليم المفتوح بجامعة دمشق ضرورة وضع مقياس لإعداد معلّم رياض الأطفال، يبدأ بمناهج إعداد المعلّم أولاً والتي ينبغي أن تتصف بالوضوح من جهة، وبمواكبتها لمعايير الجودة من جهة أخرى، كما بينت النتائج وجود جوانب قصور واضحة في عملية إعداد المعلّم في ذلك القسم، من أهمّها عدم ملائمة المنشآت، وعدم توافر الوسائل التعليمية والمخابر اللغوية، ومراكز تطبيق الأنشطة، كما أن البرنامج يعاني الكثير من الخلل والقصور، وذلك وفق معايير متطلّبات أنظمة الجودة الشاملة، وقد يعود ذلك إلى حداثة التجربة التي لم تتجاوز أعوامها الأربعة، وقد طال هذا القصور واقع إعداد معلّم الرياض برمته، ابتداء بالأهداف والمحتوى ومروراً بالطرائق والتقنيات وانتهاء بالمنشآت والتقويم .

التعليق على الدراسات السابقة: ومكانة الدراسة الحالية منها :تتشابه الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في رصد واقع بناء وتجهيزات الرياض في بعض البنود، وتختلف عنها قي إضافة بنود جديدة تتناول معايير الجودة والمواصفات التربوية، وفقاً لمتطلّبات البرامج الحديثة، وقد إستفاد الباحث من الدراسات السابقة في بناء استبيان البحث، وذلك بالاطلاع على البنود المتعلّقة بخصائص المبنى والتجهيزات، كما إستفاد من دراسة كنعان ومحرز في تفسير نتائج البحث، والتي أكدت قصور إعداد معلّمات رياض الأطفال، ومن دراسة أبو دقة ومسعود في تفسير واقع الرياض ومعوقات تطبيق الأنشطة التربوية، وتشابهت الدراسة في النتائج التي تمّ التوصّل إليها مع الدراسات السابقة فيما يتعلّق بقصور مباني وتجهيزات الروضة في تحقيق المعايير والخصائص التربوية المناسبة لطفل الروضة والمتطلّبات الحديثة، كما تمّ الاستفاد من دراسة سرحان حول المعايير التخطيطية في تطوير المدارس من خلال إعطاء الأفاق المستقبلية للمدرسة من خلال قاعة رياض الأطفال النموذجية وينفرد البحث الحالي في وضع تصور مقترح لمعايير جودة البناء والتجهيزات المطلوب توافرها في الروضة، والتعرّف أهمّ معوقات التي تؤثر بعمل المعلّمات

أدبيات الدراسة:

الجودة: تعني أن تكون تلك المخرجات متفقة مع أهداف ذلك النظام، كما يرى آخرون أن الجودة تعني الكفاءة والفعالية معاً، أي الاستخدام الأمثل للمدخلات من أجل الحصول على نواتج ومخرجات تربوية معيّنة أو الحصول على مقدار معيّن من المخرجات بأدنى قدر من المدخلات، **(Egbert.Wali,1996p,58)**.

ومن هنا الجودة الشاملة في مؤسّسات رياض الأطفال تعني جودة المدخلات من كوادر بشرية من معلّمات مؤهلات للعمل مع الأطفال وإدارة تتبنى التطوير والتجديد وأولياء متعاونون، وكوادر مادّية من بناء وأثاث وتجهيزات ومرافق وتشريعات وقوانين تنظم العمل في الروضة، أمّا العمليات فيقصد بها الخطط

والاستراتيجيات والأنشطة المقامة في الروضة، وطبيعة العلاقة والتفاعل ما بين الإدارة والمعلّمات والعاملين في الروضة والأطفال وأولياء الأمور والجهات والأجهزة المشرفة على الرياض، أمّا المخرجات فتتناول تخرج أطفال الرياض بمواصفات تنطبق مع الأهداف التربوية الموضوعة لتلك المرحلة، وتتماشى مع التصورات والتوقعات التي يطمح إليها النظام التربوي والاجتماعي. ومن الممكن أن تلخّص أهمّية الجودة التربوية الشاملة في رياض الأطفال بالنقاط التالية:

1- تحقيق النتائج المتوقعة بأقلّ تكلفة وأقلّ جهد وأقصر وقت ممكن، والنتائج المتوقعة في الروضة إكساب أطفال الروضة خبرات تتناول معارف الطفل ومهاراته وعواطفه.

2- تحقيق أهداف الرياض النمائية بما يتماشى مع الظروف المادّية والإمكانات البشرية بشكل تفاعلي وتعاوني.

3- فتح أبواب التعاون مابين الروضة والمجتمع المحلي بما يحقّق مبدأ ربط الروضة بالمجتمع

4- تفادي الوقوع بالأخطاء بدلاً من معالجتها، وذلك بفضل التعاون والمشاركة،ووضع الخطط والاستراتيجيات والتحقّق منها قبل التنفيذ.

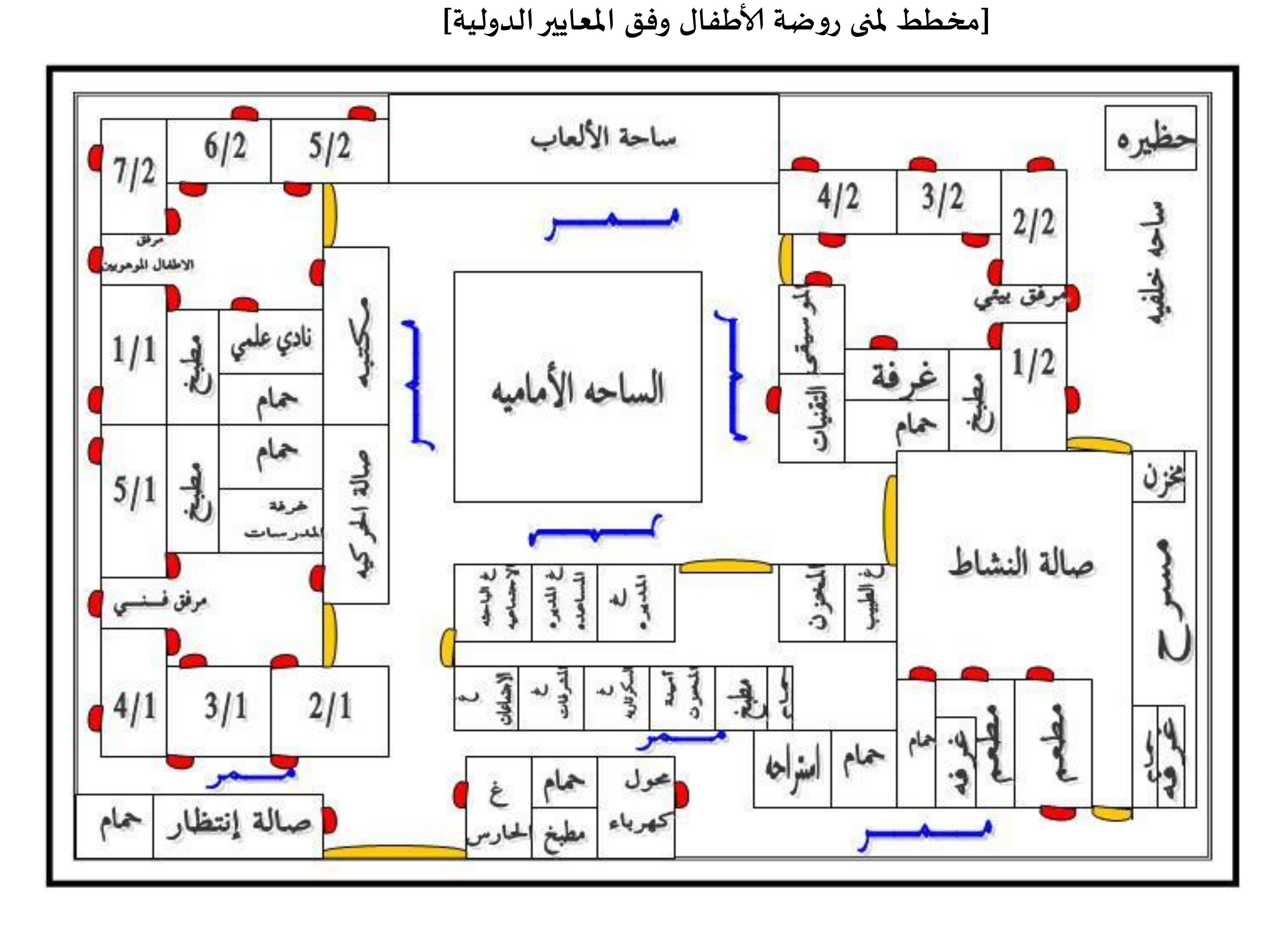
5- تحقيق التطوير المستمر للإمكانات المادّية والبشرية العاملة في الروضة من خلال التدريب والتقويم المستمر، ومن خلال تبني مفاهيم مثل: تجويد التجويد، وتطوير التجويد، وتحسين التجويد، وتفعيل التجويد.المباني والتجهيزات في مؤسّسات رياض الأطفال: **(اليونسكو،1991 ، ص ص 14 . 34)** يتعلّق بالبناء في رياض الأطفال معايير تتناول موقع الروضة، والخصائص العمرانية ومكونات البناء، أمّا تجهيزات الروضة فتتناول المعايير المتعلّقة بالأجهزة والوسائل والألعاب والأثاث، وسنتناول فيما يلي كلّ مجال من هذه المجالات :

أ ـ معايير موقع الروضة: من أهمّ معايير مبنى الروضة الهدوء وبعده عن الضوضاء والضجيج مما يحمي الطفل من التلوث السمعي أو ما يسمى بتلوث البيئة بالضجيج، أمّا المعيار الثاني يهتم بضرورة وجود بناء الروضة في مكان يتصف بالهواء النقي، وهذا يعني أن يتواجد المبنى في مكان تحيط به الأشجار أو أن يتواجد المبنى في أحضان الطبيعة، مما يوفر نقاء الهواء وجودة التهوية، أمّا المعيار الثالث فيؤكد على ضرورة بناء الروضة ضمن مكان قريب من التجمع السكاني، وبعيداً عن الشوارع الرئيسة مما يضمن سلامة الطفل من مخاطر الشوارع، ويجعل من السهولة أن يزور أهالي الأطفال الروضة بصورة متكررة وسهلة من جهة، ويصل الأطفال إليها دون أن يتكبدوا عناء ومشقة الطرقات البعيدة عن بيوتهم من جهة أخرى .**(خليل، 1994، ص10.)**

ب.معايير مكونات مبنى الروضة: أول معايير مكونات المبنى أن يتألف من أقسام عدّة تشمل (الإدارة، غرفة المعلّمات، الفصول، المكتبة، المطعم، المسرح، قاعة النشاط الحر، قاعة الألعاب الحركية، غرفة تحضير الوسائل وتخزينها، الحديقة وتشمل أركان للبيئة والعلوم، قاعة الحاسب والألعاب التعليمية، دورات المياه والمرافق الصحّية (ثاني معايير مكونات المبنى ضرورة توافر بعض المواصفات الفنّية مثل (جودة الإضاءة والتهوية، هدوء الألوان في طلاء الجدران، الأناقة والترتيب في مواقع اللوحات والمعروضات والأثاث، لا يصعد فيها الأطفال الدرج للوصول إلى القاعات والأنشطة)، أمّا ثالث المعايير فيتناول المساحة المحدّدة لكلّ طفل ضمن بناء الروضة، وقد أكدت الدراسات الحديثة أن تكون المساحة المخصصة لكلّ طفل ضمن ساحة

النشاط لا تقل عن (105متر)، ولا تزيد عن (4أمتار)، لأن هذه المساحة تزيد من فرص التفاعل الاجتماعي بين الأطفال من جهة، وتسمح بحرّية الحركة والنشاط للطفل من جهة خرى **(Lowenthal, 1996, p138)**.

[مخطط لمنى روضة الأطفال وفق المعايير الدولية]





النموذج 1:[التجهيزات التربوية للأطفال وفق المعايير الدولية]



النموذج 2:[التجهيزات التربوية للأطفال وفق المعايير الدولية]



النموذج 3:[التجهيزات التربوية للأطفال وفق المعايير الدولية]

ج . المعايير المتعلّقة بالتجهيزات والوسائل والألعاب والأثاث: وأهمّ هذه المعايير تناسبها مع خصائص نموّ الطفل من قدرات نفسية وحسية وحركية واجتماعية، تناسبها مع الأهداف التربوية في رياض الأطفال، وأهمّها تحقيق نموّ الطفل، وتطوير قدراته، إضافةً إلى تحقيق أهداف المنهاج، مراعاتها لعوامل السلامة والأمان، وصحّة الطفل كأن تكون مصنوعة من مواد صحّية ولا تحوي أطرافاً حادة ومؤذية، وأن تكون ذات مواصفات اقتصادية كأن تكون قابلة للاستعمال لفترة طويلة دون أن تتعرض للتلف أو الكسر بسهولة، وأن تكون ذات مواصفات جمالية من حيث الحجم والشكل والألوان ومكان وضعها وقابلية تغيير مكانها .وقد أكد "مصلح" أن لأدوات اللعب في رياض الأطفال خصائص تتناسب مع كلّ فئة عمرية، ومبنية على مجموعة من الأسس السيكولوجية والتربوية، ومن أهمّ الخصائص **(مجلة جامعة دمشق – المجلد 26- العدد الثالث - 2010 رانية صاصيلا 259)**

التي ينبغي مراعاتها عند اختيار أدوات اللعب والوسائل التعليمية في الروضة ما يلي.

1. أن يكون حجمها ووزنها مناسباً للقدرات الجسدية في تلك المرحلة مما يمكنه من مسكها وحملها ونقلها بسهولة.
2. أن تلبي حاجة الطفل إلى الحركة والاكتشاف وغيرها من الحاجات النمائية.
3. أن توفر فرصاً متنوعة لممارسة الوظائف النفسية والعقلية المختلفة.
4. أن تكون متعددة الاستخدامات والوظائف، وتسمح باللعب الفردي والجماعي والحر والموجه.

5. أن تكون متينة وغير قابلة للتلف بسرعة وسهولة.

6. أن تكون جذابة وجميلة مع خلوها من التعقيدات. **(مصلح، 1990، ص179)**



النموذج 4:[التجهيزات التربوية للأطفال وفق المعايير الدولية]



النموذج 5:[الألعاب التربوية للأطفال وفق المعايير الدولية]

نستنتج مما سبق أن المعايير المتعلّقة ببناء الروضة وتجهيزاتها تقسم إلى:

1ـ معايير تتعلّق بسلامة الأطفال: يجب أن يصمم مبنى الروضة بحيث يؤمن المساحة الواسعة، والاعتماد على الأدوار الأرضية التي لا تتطلّب من الأطفال صعود السلالم، وتأمين تهوية مستمرة للغرف التعليمية والأنشطة، وهذا يعتمد على التصميم بحيث يمكن تحديد جهة الرياح في المنطقة ومناسبة النوافذ مع اتجاهها، والاعتماد على التكييف الطبيعي بدلاً من الصناعي ما أمكن، وأن تكون الصفوف خالية من الأتربة والغبار ومختلف الأشياء التي يمكن أن تؤذي الطفل، وتجنب الألعاب التي تحوي مواد سامة كالألعاب المصنوعة من البلاستيك الرديء، أو التي تحتوي مادّة الرصاص أو الزئبق، أو التي تحتوي أطرافاً حادة، وإبعاد المواد الخطرة كالمنظفات والأدوية عن متناول يد الأطفال، وأن تكون اللوحات والمعلّقات الجدارية مصنوعة من مواد خفيفة الوزن، والأسلاك الكهربائية مخفية، ولا يظهر منها للطفل ما يمكن أن يعبث به، وأن يكون هناك عوازل للمآخذ الكهربائي، وأن يكون للنوافذ شبكة من الأسلاك المعدنية بحيث تشكّل حماية للأطفال في حال استطاع الوصول إليها، كما يجب أن تكون بيئة الروضة خالية من الحيوانات والحشرات الضارة، وهذا يتطلّب اتخاذ إجراءات تمنع دخول الحشرات إلى المبنى، والقيام بالصيانة المستمرة لما يتلف من تلك الاحتياطات، أمّا الأرضيات المفروشة بالسجاد والموكيت تعمل على حماية الطفل من الانزلاق ومخاطره، وتخفف من أثره، بشرط أن تكون من النوع قصير الوبر وسهل التنظيف ويجف بسرعة، لأن السجاد الكثيف والطويل الوبر يؤذي الجهاز التنفسي كالإصابة بالسعال المستمر أو يعرض الطفل لحالات التحسس الصدرية، كما يعد ملاذاً للحشرات والجراثيم، ولأنه يختزن الرطوبة بشكل أكبر مما يزيد من تلك المخاطر.



النموذج:6:[الألعاب التربوية للأطفال وفق المعايير الدولية]



النموذج 7:[الألعاب التربوية للأطفال وفق المعايير الدولية]

2. معايير تتعلّق بالأقسام والمساحة والتصميم: يفضل اختيار الموقع في مكان هادئ بعيد عن الأماكن التي تنتشر فيها أعمال تسبب الضوضاء مثل الأسواق والمطارات والمصانع، ومن الممكن حماية الروضة من الضوضاء بإنشاء سور من الأشجار التي تقلل مستوى الضوضاء إلى أكبر درجة ممكنة مثل الأشجار ذات الأوراق الصغيرة التي تعمل على تكسير الموجات الصوتية وتخفض أثرها، وأن يكون الموقع بعيداً عن أسباب التلوث الهوائي مثل المصانع التي تنبعث منها الغازات والروائح الكريهة وأماكن معالجة النفايات أو مقالب القمامة، والبعد عن الشوارع العامة ما أمكن، أو اتخاذ مسافات حماية بحيث لا يكون مدخل الروضة على الشارع مباشرةً، وأن يراعى في التصميم اختيار النمط الأفقي في حال توافر المساحة الواسعة للمبنى، أمّا في حالة المساحة الضيقة كما هو الحال في المدن الكثيفة والمتلاصقة عمرانياً فيتبع التوسع العمودي للمبنى بشرط اتخاذ الأدوار الأولى لأنشطة أطفال الروضة، وأن تشمل الروضة أركان نشاط متنوعة، وأن يراعى في تصميم المكان المرونة بحيث نستطيع التعديل أو الإضافة فيما بعد .**(مجلة جامعة دمشق – المجلد 26-العدد الثالث - 2010 رانية صاصيلا3 261)**

3. معايير تتعلّق بالمواصفات الجمالية: تعد المعايير الجمالية من المواصفات التي يصعب إدراك تأثيرها مباشرةً على أطفال الرياض، وتعد المواصفات الجمالية مسألة نسبية إلى حدّ ما، لكن ما هو مهمّ في المعايير الجمالية البساطة والخلو من التعقيدات، والابتعاد عن تكديس الممرات والقاعات والصالات بأثاث أو مواد لا

تفيد الطفل تربوياً، كما ينصح بالاعتماد على التنوع في تزيين الروضة كالجدران الملونة بألوان هادئة، والنباتات الطبيعية، والديكورات البسيطة.

4 .. معايير تتعلّق بالناحية الاقتصادية: ويقصد بها توافر عدد مناسب من الألعاب مع أعداد الأطفال، ومتانة الألعاب ومقاومتها للتلف، والتعدد الوظيفي للوسيلة، ومرونة الاستخدام، وإمكانية استخدامها مع الفئات العمرية الثلاث.

5- معايير تتعلّق بالخصائص النمائية للطفل: يقصد بالمعايير النمائية للبيئة والتجهيزات، أن تسمح بحرّية الحركة، وتثير الاستطلاع والرغبة في الاكتشاف، وتشجع على السلوك الاجتماعي، وتنمي المشاعر الإيجابية، وتدرب القدرات الفردية كالاعتماد على الذات وإدراكها.

6 .. معايير تتعلّق بمتطلّبات المنهاج: يقصد بها تلبية التصميم لأهداف المنهاج وفلسفته، فالمنهاج القائم على برامج النشاط المفتوح ونظام الأركان يتطلّب تنظيماً عمرانياً مفتوحاً خالياً من الحواجز والفواصل وقاعات متعددة الوظائف، أمّا البرامج القائمة على أساس النشاط الحر فقوامها يعتمد على توفير أعداد كبيرة من الألعاب والتجهيزات، وموضوعة في رفوف قريبة من متناول يد الطفل، في حين أن المناهج القائمة على أساس البرنامج الأكاديمي فطبيعة التجهيزات فيه قريبة إلى حدّ ما للصفوف الدراسية، أو ذات طاولات وكراسي تتيح ممارسة التدريبات الفكرية والتعليمية.

منهج الدراسة: اعتمد البحث على المنهج المسحي التحليلي من أجل الاطلاع على الدراسات التي تناول مسألة التجويد التربوي في رياض الأطفال عامة، والتي اهتمت بالبيئة المادّية التربوية خاصّة، كما اعتمد على المنهج الوصفي التحليلي الذي يرصد الواقع ويتناول جوانبه بدراسة علمية منهجية، وذلك من أجل الوقوف على ما توفره البيئة التربوية في الروضة من إمكانات مادّية وتجهيزات، ودراسة مدى مقاربة هذا الواقع لمعايير الدولية في جودة المباني والتجهيزات التربوية، والتعرّف على أهمّ الصعوبات التي تحول دون تحقيقها حسب رأي المعلّمات.

عيّنة الدراسة:

بلغت عيّنة الدراسة (40) معلّمة من معلّمات رياض الأطفال الخاصّة والعامة بمدينة الأغواط، وتم اختيارهن بصورة شاملة (طريقة الحصر الشامل)، من (11) روضة خاصّة وعامة لرياض بمدينة الأغواط

والجدول التالي يوضح ذلك:

مجموع رياض الأطفال بمدينة الأغواط		عدد المربيات	
11	%100	40	%100

حدود الدراسة :

الحدود الزمنية: في بداية الفصل الدراسي الثاني من العام الأكاديمي 2016:2015 .

الحدود المكانية: رياض الأطفال الخاصّة والعامة في مدينة الأغواط

الحدود البشرية: معلّمات رياض الأطفال بالمؤسّسات الخاصّة والعامة بالاغواط

أدوات الدراسة :

استبيان مقدّم إلى معلّمات رياض الأطفال، تهدف هدا الاستبيان إلى التعرّف على واقع التجهيزات والبناء في الروضة برأي المعلّمات، كونهن أكثر العناصر البشرية تفاعلاً مع تلك البيئة، والأكثر دراية بسلبياتها وإيجابياتها، ومن ثمّ تعرّف آرائهن في الصعوبات التي تواجههن في أثناء تطبيق الأنشطة التربوية .تتألف هذه الاستبيان من ثلاثة محاور :المحور الأوّل: يتناول بناء الروضة وأقسامها، ويشمل هذا المحور أربعة أقسام، القسم الأوّل يتعلّق بمكونات المبنى ويشمل (14) بنداً، والقسم الثاني يتعلّق بموقع الروضة، ويشمل (5) بنود، والقسم الثالث يتعلّق بالجانب الصحّي لمكونات المبنى، ويشمل (8) بنود، والقسم الرابع يتعلّق بالجانب الجمالي لمكونات المبنى، ويشمل (3) بنود أما .المحور الثاني: يتناول التجهيزات والوسائل والأثاث في الروضة، ويشمل هذا المحور أربعة أقسام أيضاً، القسم الأوّل يتعلّق بالجانب الاقتصادي للتجهيزات، ويشمل (9) بنود، والقسم الثاني يتعلّق بخصائص نموّ طفل الروضة وأهداف المنهاج، ويشمل (12) بنداً، والقسم الثالث يتعلّق بالجانب الصحّي والسلامة، ويشمل (6) بنود، والقسم الرابع يتعلّق بالجانب الجمالي للأثاث والتجهيزات، ويشمل (5) بنود ويقابل كلّ فقرة من فقرات الاستبيان البدائل التالية(نعم) أو (لا)

وقد تمّ إعطاء كلّ فقرة من فقرات السابقة درجة لتتم معالجتها إحصائياً على النحو التالي: نعم (2) ولا (1)

كما تمّ تقسيم درجة الممارسة إلى ثلاثة مستويات على النحو التالي:

مستوى منخفض إذا تراوحت المتوسطات الحسابية بين(1_ 1,33)

مستوى متوسط إذا تراوحت المتوسطات الحسابية بين (1,34_ 1,67)

مستوى مرتفع إذا تراوحت المتوسطات الحسابية بين (1,68_ 2)

وقد تمّ استخدام المقياس الأتي في تحديد البيانات:

الحدّ الأعلى للمقياس _ الحد الأدنى للمقياس / عدد الفئات

2_ 1/ 3= 1/3 = 0,33 طول الفئة وبهذا تصبح الفئات على النحو الاتي:

من (1إلى 1,33) مستوى منخفض، من (1,34إلى 1,67) مستوى متوسط، من (1,68 إلى 2) مستوى مرتفع.

.المحور الثالث: يتناول بنود معوقات تطبيق جودة المباني والتجهيزات التربوية في رياض الأطفال برأي المعلّمات، وبلغ عدد البنود (13) بنداً، تراوحت ما بين معوقات فنّية وإدارية وتواصلية، حيث طلب ترتيب تلك البنود حسب أهمّيتها برأيهن.

صدق وثبات أدوات الدراسة:

الصدق:

تم التحقّق من الصدق الأوّلي للدراسة وذلك من خلال عرضها على مجموعة من المحكمين والمختصين في علوم التربية وعلم النفس والبالغ عددهم (7) وقد تمّ اعتماد ما نسبته (80%) للحكم على صلاحية الفقرة أو التعديل أو الحذف أو الإضافة

الثبات:

استخدم الباحث طريقة ألفا كرونباخ وذلك لإيجاد معامل ثبات الاستبيان، حيث حصلت على قيمة معامل ألفا (α) لكلّ بعد من أبعاد الاستبيان وكذلك للاستبيان ككلّ والجدول التالي يوضح ذلك:

الأبعاد	عدد الفقرات	معامل ألفا كرونباخ (α)
القسم المتعلّق بمكونات المبنى	14	0,78
القسم المتعلّق بموقع الروضة	5	0,71
القسم المتعلّق بالجانب الصحّي والسلامة	7	0,84
القسم المتعلّق بالجانب الجمالي	3	0,81
الاستبيان ككلّ	29	0,78

يتضح من الجدول أن معاملات ألفا كرونباخ (α)جميعها فوق (0,60) وأن معامل الثبات الكلّي (0,78) وهذا يدل على أن الاستبيان يتمتع بدرجة عالية من الثبات تطمئن الباحث إلى تطبيقها على عيّنة الدراسة.

نتائج الدراسة:

أولاً ــ الإجابة عن السؤال الأوّل1 .: ما التصور المقترح لمعايير جودة المباني والتجهيزات التربوية بما يتناسب مع حاجات المجتمع الجزائري وظروفه وإمكانيته؟ بينت الدراسات السابقة والأدبيات التي شملت مواصفات مبنى رياض الأطفال للبحث ضرورة توافر مجموعة من الخصائص والمعايير للمبنى والتجهيزات التربوية، من أهمّها

1. معايير مكونات مبنى الروضة
2. معايير الموقع الجغرافي للروضة
3. معايير الجانب الصحّي لمكونات الروضة
4. معايير تتعلّق بسلامة الأطفال
5. معايير تتعلّق بالأقسام والمساحة
6. معايير تتعلّق بالمواصفات الجمالية لمكونات مبنى الروضة
7. معايير تتعلّق بالناحية الاقتصادي لتجهيزات الروضة

8. معايير تتعلّق بالخصائص النمائية للطفل
9. معايير تتعلّق بمتطلّبات المنهاج

ويقدّم البحث تصوراً مقترحاً لمعايير جودة البناء والتجهيزات في الروضة كما هو مبين في الجدول التالي :

جدول رقم (1) مجالات التصور المقترح لمعايير جودة البناء والتجهيزات في الروضة.

البند	معايير بناء الروضة	معايير تجهيزات الروضة
01	قسم الإدارة	تجهيزات متعلّقة لوازم إدارية ولوازم الأمن والسلامة من مخاطر الحريق والمخاطر الطبيعية.
02	غرفة المعلّمات	خزن لحفظ حاجات المعلّمات الخاصّة وسجلات الأطفال وملفاتهم، ومكان مناسب لمقابلة أولياء الأطفال
03	غرفة صنع الوسائل التعليمية وحفظها	لوازم لصنع الوسائل التعليمية مثل كرتون وأجهزة القص وأدوات النجارة، أدوات الرسم والتلوين وغيرها من الأدوات المعيّنة على صنع الوسائل التعليمية.
04	قسم النشاط الحر	ألعاب الرمل، وألعاب الماء، ألعاب المعجون، مكعبات، ألعاب التركيب، أجهزة عرض، وسائل سمعية وبصرية
05	غرفة تمريض واستراحة الطفل	سرير أو فراش لاستراحة الطفل المريض وأدوات الإسعافات الأوّلية، وخزانة أدوية وتمريض أولية
07	المطبخ، قسم أنشطة الطعام	طاولة طعام وكراسي وأدوات طهي ومغسلة وبراد لحفظ الطعام، ومشرب ماء مبرد
08	قسم الحاسب والألعاب التعليمية	حواسب وألعاب تعليمية كافية
09	حديقة الروضة	نباتات ووسائل في الحديقة وقسم البيئة والعلوم,
10	قسم الألعاب الحركية	ألعاب حركية كافية ومنوعة، مثل ألعاب التزحلق والتأرجح والدفع والقفز.
11	قسم المرافقة الصحّية والنفسية	مكتب الطبيب والممرض والأخصائي النفسي
12	قسم المكتبة والمطالعة	قصص مصورة وملونة ضمن مكتبات قريبة من متناول يد الطفل، ووسائل سمعية بصرية مثل التلفاز والمسجل وفيديو مرفق بأفلام تعليمية وترفيهية
13	قسم المسرح والألعاب التمثيلية	ألبسة وأقنعة ووسائل مناسبة للعمل المسرحي، منصة وكراسي وغيرها.

ثانياً ـ الإجابة عن السؤال الثاني2 : ما واقع المباني والتجهيزات التربوية في مؤسّسات رياض الأطفال في الجزائر، مقارنة بمعايير الجودة العالمية؟

تمّ تقسيم نتائج البحث التي تتناول واقع المباني والتجهيزات التربوية في رياض الأطفال في الجزائر إلى قسمين:

القسم الأوّل يشمل النتائج المتعلّقة ببناء الروضة بمحاوره الأربعة وهي: القسم المتعلّق بمكونات المبنى، القسم المتعلّق بموقع الروضة، القسم المتعلّق بالجانب الصحّي والسلامة، القسم المتعلّق بالجانب الجمالي للمبنى أمّا القسم الثاني يتناول تجهيزات الروضة بمحاورها الأربعة وهي: القسم المتعلّق بالجانب الاقتصادي للتجهيزات القسم المتعلّق بخصائص نموّ الطفل وأهداف المنهاج، القسم المتعلّق بالجانب الصحّي والسلامة،

القسم المتعلّق بالجانب الجمالي للتجهيزات ويبين الجدول رقم (2) نتائج القسم الأوّل، والجدول رقم (3) نتائج القسم الثاني كما هو مبين فيما يلي

1 : النتائج المتعلّقة ببناء الروضة :جدول رقم (2) النتائج المتعلّقة ببناء الروضة

رقم الفقرة	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المرتبة	درجة التطبيق
أولاً/ القسم المتعلّق بمكونات المبنى					
1	يوجد في الروضة مكان للطبيب والممرض والأخصائي النفسي	1,45	0,50	6	متوسط
2	يوجد في الروضة مسرح	1,00	0,00	8	منخفض
3	يوجد في الروضة مكتبة	1,40	0,49	7	متوسط
4	يوجد في الروضة فناء مغلق	2,00	0,00	1	مرتفع
5	يوجد في الروضة فناء مفتوح	1,52	0,50	5	متوسط
6	يوجد في الروضة حديقة	1,00	0,00	9	منخفض
7	يوجد في حديقة الروضة أركان للبيئة والعلوم	1,00	0,00	10	منخفض
8	يوجد في الروضة أقسام لممارسة الأنشطة الحرة	1,67	0,47	3	متوسط
9	يوجد في الروضة قسم للحاسب والألعاب التعليمية	1,00	0,00	11	منخفض
10	يوجد في الروضة مكان لصنع الوسائل التعليمية وحفظها	1,00	0,00	12	منخفض
11	يوجد في الروضة مكان خاصّ لتناول الطعام (المطبخ)	1,00	0,00	13	منخفض
12	بناء الروضة مجهز بقاعات واسعة تتناسب مع أركان النشاط	1,57	0,50	4	متوسط
13	بناء الروضة يتألف من فصول دراسية	2,00	0,00	2	مرتفع
14	يوجد في الروضة مكان خاصّ بالمرافق الصحّية	1,00	0,00	14	منخفض
	القسم ككلّ	**1,32**	**0,17**		**منخفض**
ثانياً/ القسم المتعلّق بموقع الروضة					
15	الروضة بعيدة عن مصادر التلوث	1,55	0,50	3	متوسط
16	الروضة بعيدة عن الضوضاء	1,15	0,36	5	منخفض
17	الروضة قريبة من الأحياء السكنية	1,55	0,50	2	متوسط
18	تحيط بالروضة مساحة نباتية مشجرة	1,17	0,38	4	منخفض
19	الروضة بعيد عن الطرق السريعة والشوارع الرئيسية	1,82	0,38	1	مرتفع
	القسم ككلّ	**1,44**	**0,42**		**متوسط**
ثالثاً/ القسم المتعلّق بالجانب الصحّي والسلامة					
20	يوجد في الروضة أدراج وسلالم تؤدي للوصول إلى القاعات المختلفة	2,00	0,00	1	مرتفع
21	توفر الروضة إجراءات لتفادي الحريق	1,90	0,30	5	مرتفع
22	مبنى الروضة جيد التهوية	2,00	0,00	3	مرتفع

23	يوجد في الروضة سور يحمي الأطفال من مخاطر الطريق	1,67	0,47	6	متوسط
24	المساحة المخصصة للطفل كافية لحركته ونشاطه	2,00	0,00	4	مرتفع
25	الممرات واسعة وعريضة	1,47	0,50	7	متوسط
26	مبنى الروضة جيد الإنارة	2,00	0,00	2	مرتفع
القسم ككلّ		**1,86**	**0,18**		**مرتفع**
رابعاً/ القسم المتعلّق بالجانب الجمالي					
27	يشمل البناء ديكورات فنّية جميلة	1,60	0,49	3	متوسط
28	المنظر العام للروضة يتميز بالجمال وتناسق التوزيع الهندسي للقاعات	2,00	0,00	1	مرتفع
29	الجدران مطلية بألوان هادئة وجذابة	2,00	0,00	2	مرتفع
القسم ككلّ		**1,86**	**0,16**		**مرتفع**

توضح نتائج الجدول رقم (2) المتوسطات والانحرافات المعيارية حيث تراوحت المتوسطات الحسابية لها في القسم المتعلّق بمكونات المبنى بين (2,00 _ 1,00) بالمقارنة مع المتوسط الحسابي العام للقسم البالغ (1,32) فقد جاءت الفقرة (4) التي تنصّ على " يوجد في الروضة فناء مغلق" في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (2,00) وانحراف معياري (0,00)، وجاءت الفقرة (13) " بناء الروضة يتألف من فصول دراسية" في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (2,00) وانحراف معياري (0,00)، وجاءت الفقرة(8) " يوجد في الروضة أقسام لممارسة الأنشطة الحرة" في المرتبة الثالثة بمتوسط حسابي (1,67) وانحراف معياري(0,47)، وجاءت الفقرة(12)" بناء الروضة مجهز بقاعات واسعة تتناسب مع أركان النشاط" في المرتبة الرابعة بمتوسط حسابي (1,57) وانحراف معياري(0,50)، وجاءت الفقرة(5) " يوجد في الروضة فناء مفتوح" في المرتبة الخامسة بمتوسط حسابي (1,52) وانحراف معياري(0,50)، وجاءت الفقر(1)" يوجد في الروضة مكان للطبيب والممرض والأخصائي النفسي" في المرتبة السادسة بمتوسط حسابي (1,45) وانحراف معياري(0,50)، وجاءت الفقرة (3) " يوجد في الروضة مكتبة" في المرتبة السابعة بمتوسط حسابي (1,40) وانحراف معياري(0,49)، وجاءت الفقرة(2) " يوجد في الروضة مسرح" في المرتبة الثامنة بمتوسط حسابي (1,00) وانحراف معياري(0,00)، وجاءت الفقرة(6) " يوجد في الروضة حديقة" في المرتبة التاسعة بمتوسط حسابي (1,00) وانحراف معياري(0,00)، وجاءت الفقرة(7) " يوجد في حديقة الروضة أركان للبيئة والعلوم" في المرتبة العاشرة بمتوسط حسابي (1,00) وانحراف معياري(0,00)، وجاءت الفقرة(9) " يوجد في الروضة قسم للحاسب والألعاب التعليمية" في المرتبة الحادي عشرة بمتوسط حسابي (1,00) وانحراف معياري(0,00)، وجاءت الفقرة(10) " يوجد في الروضة مكان لصنع الوسائل التعليمية وحفظها" في المرتبة الثانية عشرة بمتوسط حسابي (1,00) وانحراف معياري(0,00)، وجاءت الفقرة(11) "يوجد في الروضة مكان خاصّ لتناول الطعام (المطبخ)" في المرتبة الثالثة عشرة بمتوسط حسابي (1,00) وانحراف معياري(0,00)، وجاءت الفقرة(14) " يوجد في الروضة مكان خاصّ بالمرافق الصحّية" في المرتبة الثالثة عشرة بمتوسط حسابي (1,00) وانحراف معياري(0,00) وبمجموع القسم ككلّ بمتوسط حسابي (1,32) وانحراف معياري (0,17) بمستوى منخفض.

أمّا في القسم المتعلّق بموقع الروضة فقد تراوح المتوسط الحسابي بين(2,00 _ 1,47) بالمقارنة مع المتوسط الحسابي العام للقسم البالغ (1,44) فقد جاءت الفقرة (19)" الروضة بعيد عن الطرق السريعة والشوارع الرئيسية "في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (1,82) وانحراف معياري(0,38)،فقد جاءت الفقرة(17) " الروضة قريبة من الأحياء السكنية" في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (1,55) وانحراف معياري(0,50)، وجاءت الفقرة (15)" الروضة بعيدة عن مصادر التلوث" في المرتبة الثالثة بمتوسط حسابي (1,55) وانحراف معياري(0,50)، فقد جاءت الفقرة (18) " تحيط بالروضة مساحة نباتية مشجرة " في المرتبة الرابعة بمتوسط حسابي (1,17) وانحراف معياري(0,38)، فقد جاءت الفقرة (16)" الروضة بعيدة عن الضوضاء" في المرتبة الخامسة بمتوسط حسابي (1,15) وانحراف معياري(0,36) وبمجموع القسم ككلّ بمتوسط حسابي (1,44) وانحراف معياري (0,42) بمستوى متوسط.

أمّا القسم الثالث المتعلّق بالجانب الصحّي والسلامة فقد تراوح المتوسط الحسابي بين (2,00 _ 1,47) بالمقارنة مع المتوسط الحسابي العام للقسم البالغ (1,86) فقد جاءت الفقرة (20) " يوجد في الروضة أدراج وسلالم تؤدي للوصول إلى القاعات المختلفة" في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (2,00) وانحراف معياري(0,00)، فقد جاءت الفقرة (26) "مبنى الروضة جيد الإنارة" في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (2,00) وانحراف معياري(0,00)، فقد جاءت الفقرة (22)" مبنى الروضة جيد التهوية" في المرتبة الثالثة بمتوسط حسابي (2,00) وانحراف معياري(0,00)، فقد جاءت الفقرة (24)" المساحة المخصصة للطفل كافية لحركته ونشاطه"في المرتبة الرابعة بمتوسط حسابي (2,00) وانحراف معياري(0,00)، فقد جاءت الفقرة (21) " توفر الروضة إجراءات لتفادي الحريق" في المرتبة الخامسة بمتوسط حسابي (1,90) وانحراف معياري(0,30)، فقد جاءت الفقرة (23)" يوجد في الروضة سور يحمي الأطفال من مخاطر الطريق" في المرتبة السادسة بمتوسط حسابي (1,67) وانحراف معياري(0,47)، فقد جاءت الفقرة (25)" الممرات واسعة وعريضة" في المرتبة السابعة بمتوسط حسابي (1,47) وانحراف معياري(0,50)، وبمجموع القسم ككلّ بمتوسط حسابي (1,86) وانحراف معياري (0,18) بمستوى مرتفع.

أمّا القسم الرابع المتعلّق بالجانب الجمالي للروضة فقد تراوح المتوسط الحسابي بين (2,00_ 1,60) بالمقارنة مع المتوسط الحسابي العام للقسم البالغ (1,86)، فقد جاءت الفقرة (28) " المنظر العام للروضة يتميز بالجمال وتناسق التوزيع الهندسي" بمتوسط حسابي (2,00) وانحراف معياري(0,00)، فقد جاءت الفقرة (29)" الجدران مطلية بألوان هادئة وجذابة" بمتوسط حسابي (2,00) وانحراف معياري(0,00)، فقد جاءت الفقرة (27) " يشمل البناء ديكورات فنّية جميلة" بمتوسط حسابي (1,60) وانحراف معياري(0,49)، وبمجموع القسم ككلّ بمتوسط حسابي (1,86) وانحراف معياري (0,16) بمستوى مرتفع.

فمن خلا ل ترتيب الفقرات والأقسام تبين ما يلي:

أن أقسام الرياض غير كافية، ولا تتلاءم مع المعايير إذ تفتقر بعض الروضات إلى مكان مخصص لتمريض الأطفال وراحتهم،وهذا يحرم الطفل من جانب هام من حقوقه في الرعاية والحماية، وبعد الاستفسار عن السبب بينت بعض المعلّمات أن هذه الرياض لا يوجد فيها طبيب ولا ممرضة والأخصائي

النفسي لرعاية الطفل، كما أن ظروف المساحة في الروضة تحول دون تخصيص غرفة خاصّة لذلك، وأنه في حال حدوث خطر ينقل الطفل إلى غرفة المديرة (وهي غرفة متعددة الاستخدامات) ريثما يتم استدعاء الأولياء أو إسعافه، ومن هذه النتيجة يقترح البحث ضرورة تدريب معلّمات الروضة على الإسعافات الأوّلية، وتمريض الأطفال، لأنّها حاجة ملحة وهامة في الروضة. كما بينت النتائج إهمال الروضة للجانب الفنّي والثقافي للطفل إذ تهمل معظم الرياض تخصيص مكان للمسرح والمكتبة والموسيقى، وبينت المديرات والمعلّمات أنهن يقمن بتعويض هذا التقصير بقراءة المعلّمة للقصص، ويرى الباحث أن هذا لا يعوض عن ضرورة وجود مكتبة تسمح للطفل بالتعود على ارتياد المكتبات منذ نعومة أظفاره وتصفح القصص ولمسها وترتيبها والعناية بها، كما أن افتقار الروضة لمكان خاصّ بالمسرح يفقد الأطفال الكثير من الفائدة والمتعة التي ترجى من الرياض، لاسيّما وأن الدراسات الحديثة أكدت أهمّية المسرح في تحقيق أهداف المنهاج، كما أن حرمان الطفل من الجانب الموسيقي يحرمه الكثير من الفوائد المتعلّقة بالحس الجمالي والفنّي، ولا يسهم في تحقيق الأهداف النمائية المتعلّقة بحاسة السمع وحاسة اللمس، وما يرافقهما من تعبيرات حركية وجسدية إلى جانب المتعة والترفيه، ومن هذه النتيجة يقترح الباحث تأكيد التشريعات المتعلّقة بمواصفات مبنى الروضة على ضرورة وجود قسم خاصّ بالمكتبة والمسرح، إضافة إلى التأكيد على ضرورة إعداد معلّمة الروضة وتدريبها على استخدام الآلات الموسيقية، وهذا يتطلّب العناية ببرامج إعداد معلّمات رياض الأطفال، والتأكيد على مادّة التربية الفنّية والتدريبات العملية المرافقة لها في مسألة إعداد معلّمات رياض الأطفال، وإن تطلّب الأمر أن تميل برامج إعداد المعلّمات إلى ما يسمى بمسألة التخصص في عملية الإعداد المهني والأكاديمي، وهذا ما أكدته (**الشريف، 2006، ص 22**) في مسألة معايير إعداد معلّمة الروضة في كلّية رياض الأطفال بالقاهرة، حيث بينت ضرورة تحديد معايير تتناول برنامج إعداد معلّمة الروضة تهتم بالجانب المهني في الإعداد والجانب التخصصي منه، حيث تختص كلّ معلّمة في جانب من الأنشطة. كما تفتقر الروضات إلى مكان مجهز بالحواسب الكافية، وترى المسيرات والمعلّمات أن توفير قسم خاصّ بالحاسب لا يمكن في ظروف المساحة الصغيرة والضيقة في الروضات، ويفضلن تخصيص فصول للأطفال، وافتتاح شعب في تلك الأماكن بدلاً من تخصيصها للحاسب، كما أن نسبة كبيرة من الرياض تميل إلى البناء الذي يقسم الروضة إلى شعب دراسية بدلاً من البناء الحديث الذي يهتم بنظام الأركان وتخصيص قاعات كبيرة وواسعة لممارسة الأنشطة المختلفة كما في برنامج التعليم المفتوح والنشاط الحر، ويرى الباحث أن عدم وجود معلّمات مؤهلات تربوياً للعمل في الرياض، وافتقار مديرات المدارس للمعرفة بالبرامج التربوية المناسبة والحديثة في رياض الأطفال، والنظرة المادّية من وراء افتتاح الرياض يحول دون الاهتمام بالجانب التربوي، وبالتالي يحرم الأطفال الكثير من المسائل الواجب توافرها، وبالتالي يتم السعي وراء تكديس أطفال الرياض في فصول وشعب شبيهة لما هو قائم في المدارس الابتدائية، وهنا يدعو الباحث إلى المناداة بضرورة أن يكون ضمن شروط ترخيص افتتاح الرياض أن تكون المعلّمات والمسيرات من المجازات في تخصص علم النفس وعلوم التربية، وأن تعمل الوزارة بشكل دوري بتحري سجلات العاملات في الرياض لمتابعة استمرار العمل ضمن ذلك الشرط، كما يدعو الباحث إلى إعادة النظر في شروط ومواصفات البناء لتصبح أكثر مواءمة مع معايير الجودة الحديثة، والتي تبنى وفقاً لبرامج التعليم المفتوح وبرامج النشاط الحر، والتأكيد في تشريعات الرياض على قاعات الأركان والأنشطة

وتخصيص قاعات واسعة مفروشة بالموكيت والسجاد تسمح بحرّية الحركة والنشاط، وتتيح للطفل اختيار الألعاب التعليمية والحركية المناسبة لميوله ورغباته، إضافةً إلى التأكيد على تقييد عدد الأطفال في الرياض بما لا يتجاوز (15) طفل في الشعبة الواحدة أي ما يعادل تخصيص مساحة(2) متر مربع للطفل الواحد، وهذا يعني بالتقريب أن تكون قاعة النشاط الواحدة ذات مساحة (30 متر مربع) تقريباً، أمّا في أماكن النشاط الحركي فيجب أن تكون ضعف المساحة المخصصة في قاعات النشاط الحر، أي ما يعادل (4 متر مربع) للطفل الواحد، وهذا يفرض على الرياض الاهتمام بالجانب التربوي للطفل بدلاً من الاهتمام بالجانب الكمي وزيادة عدد الأطفال، وهذا يتطلّب إلى جانب التشريعات المحددة لعدد الأطفال من جانب الجهات المعنية دعماً مادّياً لتلك الرياض حتّى لا تسعى تلك الرياض إلى رفع الأقساط، لاسيّما وأن الأقساط المرتفعة في الرياض التي تصنف ضمن الروضات النموذجية يحول دون استطاعة الأولياء لتسجيل أبنائهم مما يجعل نسبة كبيرة من الأطفال محرومين من دخول الروضات والاستفادة منها .**(محرز،1999، ص240)**، كما تفتقر الروضات إلى اتخاذ إجراءات لتفادي أخطار الحرائق والزلازل والكوارث المختلفة، وهذا برأي الباحث يعود إلى تقصير التشريعات المتعلّقة بتراخيص الرياض في مسألة تأكيد ضرورة توفير إجراءات متعلّقة بالسلامة، إضافة إلى إهمال المديرات لمثل هذه المسألة الهامة، ومن جانب آخر بينت النتائج افتقار معظم الرياض لمكان خاصّ لأنشطة الطعام وتناوله، أو لقسم المطبخ في الروضة أو عدم العناية الجيدة به في حال وجوده في الرياض الأخرى على الرغم من أهمّية هذا القسم في تحقيق المتعة والفائدة، وتحقيق أهداف المنهاج، حيث بينت مرتضى أن أنشطة الطعام في الروضة تكسب الطفل المهارات العلمية التي يصعب إكسابها للطفل بالأساليب الأخرى التي تعتمدها معلّمة الروضة، **(مرتضى، 2006، ص102)**، كما يحرم الأطفال اكتساب عادات صحّية وآداب الطعام الضرورية، وذلك من خلال تخصيص مكان نظيف ومحدّد وتوجيهات المعلّمة للأطفال في أثناء تناولهم للطعام

2 .. النتائج المتعلّقة بتجهيزات الروضة :

جدول رقم (3) النتائج المتعلّقة بتجهيزات الروضة

رقم الفقرة	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المرتبة	درجة التطبيق
أولاً. القسم المتعلّق بالجانب الاقتصادي للتجهيزات					
1	الوسائل السمعية البصرية كافية	1,00	0,00	7	منخفض
2	الوسائل التعليمية كافية	1,67	0,47	1	متوسط
3	عدد الحواسب في قاعة الحاسب مناسبة لعدد الأطفال	1,00	0,00	8	منخفض
4	الألعاب الحركية كافية	1,55	0,50	2	متوسط
5	التجهيزات مصنوعة من مادّة غير قابلة للكسر	1,17	0,38	6	منخفض
6	التجهيزات في ركن العلوم كافية	1,00	0,00	9	منخفض

7	التجهيزات الفنّية والموسيقية كافية	1,40	0,49	4	منخفض
8	القصص والتجهيزات في قسم المكتبة كافية	1,52	0,50	3	متوسط
9	القصص والمطبوعات مصنوعة من مادّة غير قابلة للتلف بسرعة	1,40	0,49	5	متوسط
القسم ككلّ		**1,30**	**0,02**		**منخفض**
ثانياً. القسم المتعلّق بخصائص نموّ الطفل وأهداف المنهاج					
10	توفر الروضة وسائل مناسبة للمسرح والألعاب التمثيلية	1,40	0,49	8	متوسط
11	تتوافر في الروضة وسائل تساعد على الاستفادة من خامات البيئة	1,67	0,47	6	متوسط
12	التجهيزات في قسم الاستنبات في الحديقة تشجع على تحقيق أهداف المنهاج	1,67	0,47	5	متوسط
13	يوجد قاعة خاصّة مفروشة بالموكيت تسمح بحرّية الحركة واللعب الحر	1,60	0,49	7	متوسط
14	القصص المتوافرة تناسب خصائص الأطفال وميولهم	1,67	0,47	4	متوسط
15	الوسائل التعليمية مناسبة لتحقيق أهداف المنهاج	1,67	0,47	3	متوسط
16	تتوافر وسائل سمعية وبصرية محققة لأهداف المنهاج	1,00	0,00	11	منخفض
17	التجهيزات في الروضة مصنفة لتنفيذ برامج الأركان	1,67	0,47	2	متوسط
18	الألعاب الحركية منوعة	1,30	0,30	10	منخفض
19	حجم الكراسي وشكلها مناسب للطفل	2,00	0,00	1	مرتفع
20	تعرض في اللوحات رسومات من إنتاج الأطفال ولوحات توجيهية تربوية	1,40	0,49	9	متوسط
القسم ككلّ		**1,67**	**0,37**		**متوسط**
ثالثاً. القسم المتعلّق بالجانب الصحّي والسلامة					
21	التجهيزات مصنوعة من مادّة صحّية	1,67	0,47	3	متوسط
22	التجهيزات لا تعرض الطفل للخطر	1,00	0,00	6	منخفض
23	اللوحات المعروضة مصنوعة من مادّة خفيفة الوزن كالفلين	1,55	0,50	4	متوسط
24	الأدوات في ركن المطبخ وركن الفنون مصنوعة من مادّة غير حادة	1,17	0,38	5	منخفض
25	تتوافر صيدلية مدرسية تحتوي أدوات تمريض وإسعاف ضرورية	1,90	0,30	1	مرتفع
26	تتوافر أجهزة مناسبة لتفادي خطر الحريق	1,67	0,47	2	متوسط
القسم ككلّ		**1,49**	**0,35**		متوسط
رابعاً. القسم المتعلّق بالجانب الجمالي					
27	الأثاث المستخدم ملون بألوان زاهية وجذابة بالنسبة للطفل	1,00	0,00	4	منخفض

29	تتوافر في الروضة أحواض لأزهار ونباتات زينة طبيعية تزين أركان الروضة ولوحات جميلة ومعروضة بشكل مرتب	1,55	0,50	1	متوسط
30	تتوافر في الروضة لوحات فنّية جميلة وبسيطة معروضة بشكل مرتب	1,17	0,38	3	منخفض
31	الأركان منظمة ومرتبة بشكل جميل	1,55	0,50	2	متوسط
32	تعرض في اللوحات أشغال ورسومات وأعمال فنّية جميلة من إنتاج الأطفال	1,00	0,00	5	منخفض
القسم ككلّ		**1,45**	**0,87**		**متوسط**

توضح نتائج الجدول رقم (3) نتائج المتعلّقة بتجهيزات الروضة المتوسطات والانحرافات المعيارية حيث تراوحت المتوسطات الحسابية لها في القسم الأولى المتعلّق بالجانب الاقتصادي للتجهيزات بين (1,67 _ 1,00) أي بين (متوسط ومنخفض) وبالمقارنة مع المتوسط الحسابي العام الأولى للقسم البالغ (1,30) عند انحراف معياري (0,02) بدرجة تطبيق (منخفض)

أمّا القسم الثاني المتعلّق بخصائص نموّ الطفل وأهداف المنهاج تراوحت المتوسطات الحسابية له بين (2,00_ 1,00) أي بين (منخفض ومتوسط ومرتفع) وبالمقارنة مع المتوسط الحسابي العام للقسم الثاني البالغ (1,67) عند انحراف معياري (0,37) بدرجة تطبيق (متوسط)

أمّا القسم الثالث المتعلّق بالجانب الصحّي والسلامة تراوحت المتوسطات الحسابية له بين (1,90_ 1,00) أي بين (منخفض ومتوسط) وبالمقارنة مع المتوسط الحسابي العام للقسم الثالث البالغ (1,49) عند انحراف معياري (0,35) بدرجة تطبيق (متوسط)

أمّا القسم الرابع المتعلّق بالجانب الجمالي تراوحت المتوسطات الحسابية له بين (1,00_ 1,55) أي بين (منخفض ومتوسط) وبالمقارنة مع المتوسط الحسابي العام للقسم الرابع البالغ (1,67) عند انحراف معياري (0,37) بدرجة تطبيق (متوسط)

من دراسة نتائج الجدول رقم (3) يظهر بوضوح ضعف الإمكانات والتجهيزات الموجودة في الرياض، وقد عللت المعلّمات ذلك بضعف الإمكانات المادّية، وأن تعويض ذلك يتطلّب الحصول على أقساط كبيرة من الأولياء توفر إمكانات مالية تساعد المسيرات على شراء تلك الوسائل والتجهيزات، ويرى الباحث أن رفع أقساط الرياض يحول دون تسجيل الكثير من الأولياء لأبنائهم في الرياض كما بينت **(محرز، 1999 ، ص 20)**في دراستها، لذا يرى الباحث أن تدعم الوزارة الرياض بتخصيص جانب مالي لكلّ روضة تسمح بشراء تلك الوسائل والتجهيزات، والطلب إلى الجهات المختصة والمعنية رفع الرسوم الجمركية عن ألعاب وتجهيزات الأطفال لتصبح أقلّ سعراً، إضافةً إلى التشجيع على إقامة معارض واحتفالات في الروضة تسهم في توفير مردود مادّي مناسب يسمح بشراء التجهيزات والألعاب، كما بينت النتائج أن هناك ضعفاً في عدد الوسائل التعليمية ونوعيتها في الرياض مما يحول دون تحقيق أهداف المنهاج، إضافةً إلى عدم وجود مكان مخصص لصنع تلك الوسائل وحفظها، وإن وجدت بعض الوسائل البسيطة، فإنها تحفظ في الإدارة، مما يفقد الرياض

الجانب الجمالي في الإدارة والتنظيم من جهة، ويحول دون الاستخدام الأمثل للبناء لخامات البيئة من جهة أخرى، ومن هنا يؤكد الباحث ضرورة وجود معلّمة متدربة على صنع الوسائل التعليمية لاسيّما التدرب على استخدام خامات البيئة وتوظيفها، مما يسهم في توفير الوسائل التعليمية بتكاليف بسيطة ومن خامات البيئة، وتدعو إلى تخصيص مكان مناسب لصنع الوسائل وحفظها، وهذا يدعو مجدداً إلى ضرورة إعداد معلّمة الروضة على صنع تلك الوسائل، والتأكيد على التدريب العملي على صنع تلك الوسائل ضمن مقرر وسائل وتقنيات التعليم في برامج إعداد معلّمات رياض الأطفال، كما بينت النتائج أن الأثاث المستخدم لا يتناسب مع طفل الروضة حيث تستخدم معظم الرياض المقعد الدراسي ضمن فصول دراسية، وهذا لا يتفق مع خصائص طفل الروضة لاسيّما أن مونتسوري أكدت أن المقعد ألد أعداء الطفل لأنه يحرمه من حرّية الحركة والنشاط، كما أن تنظيم الجلوس ضمن مقاعد يجعل من الروضة مكاناً شبيهاً لما هو سائد في فصول الدراسة في التعليم الأساسي والمراحل اللاحقة، وهذا يتعارض مع أهداف الرياض من جهة، ولا يتوافق مع برامج الأنشطة وبرامج الأركان وبرامج التعليم المفتوح التي تتبناها الرياض الحديثة المتوافقة مع معايير الجودة المتفق عليها، كما بينت النتائج ضعف توفر وسائل مناسبة للمسرح والتمثيل، وعدم كفاية الحواسب، وقلة القصص الملونة والمصورة الموضوعة في متناول يد الأطفال، وقد بينت نتائج الجدول (3) أن التقصير يشمل عدم تخصيص أماكن لتلك الأنشطة أيضاً، وهذا يعود بالأصل لإهمال هذا النوع من النشاط، وسببه جهل المسيرات والمعلّمات لأهمّيتها، ولضعف إعدادهم من جهة أخرى، ومن جانب آخر بينت النتائج إهمال الرياض لركن العلوم ولقسم البيئة والاستنبات في الروضة، وتعود الأسباب برأي الباحث إلى عدم وجود حدائق في معظم الرياض، لأن معظم الرياض ومنذ الأساس كانت مبان سكنية حولها أصحابها إلى رياض، وأن الكثافة السكانية وضيق العمران يحول دون توفير حدائق نموذجية وفق المعايير المطلوبة، وهذا يدعو إلى إعادة النظر في تلك الرياض ومدى جدواها في توفير بيئة صحّية للطفل وموفرة للهواء النقي، ومحقّقة لأهداف المنهاج استناداً إلى الأساليب الحديثة والمعايير الجيدة، ويرى الباحث أنه من الممكن تعويض هذا التقصير جزئياً من خلال الأنشطة التي تتم داخل الفصل وخارجه، مثل الاستنبات في أصيص وأحواض نباتية ومتابعة مراحل نموّ النبات داخل فصل النشاط، وتزيين الروضة وإضافة أحواض استنبات ضمن حديقة الروضة وممراتها، والاعتماد على النباتات والأزهار الطبيعية بدلاً من التزيين بالنباتات الصناعية، وتوجيه الأطفال بصورة مستمرة إلى العناية بها والمحافظة عليها، إضافةً إلى القيام برحلات لحدائق الحيوان ومتابعة مراحل نموّ الحيوانات والعناية بها مما يساهم في تحقيق أهداف المنهاج.

ثالثاً ـ الإجابة عن السؤال الثالث3 :. ما أهمّ معوقات تطبيق جودة المباني والتجهيزات التربوية في رياض الأطفال الجزائري برأي المعلّمات؟ بينت نتائج الأسئلة المفتوحة للمعلّمات في أثناء تطبيق استبيان واقع المباني والتجهيزات التربوية في رياض الأطفال، وأن المعلّمات يواجهن مجموعة من الصعوبات التي تحول دون قيامهن بتطبيق الأنشطة التربوية في رياض الأطفال، ومن أهمّ هذه الصعوبات ما يلي:

1 :. عدم كفاية الوسائل التعليمية.

2 .. عدم كفاية الألعاب التعليمية.

3 .. عدم كفاية الموارد المالية المتوافرة لشراء الوسائل والألعاب.
4 .. ضعف التعاون ما بين الأولياء والروضة في تحقيق أهداف المنهاج.
5 .. عدم توفر أدلة عمل ترشد المعلّمة إلى أساليب تنفيذ بعض الخبرات.
6 .. عدم كفاية الدورات التدريبية التي تشارك فيها الروضة لتدريب معلّماتها على الأساليب الحديثة في تربية طفل الروضة.
7 .. عدم تناسب تنظيم بناء الروضة مع نظام الأركان وبرامج التعليم المفتوح التي تنادي بها المناهج الحديثة في رياض الأطفال.
8 .. عدم تناسب الوسائل والتجهيزات مع أساليب التعلّم التعاوني في الروضة.
9 .. عدم تشجيع المرافق الصحّية على المتطلّبات النمائية للطفل.
10 .. عدم كفاية أقسام المبنى لتحقيق الأهداف النمائية للطفل.
11. عدم التعاون والتنسيق ما بين الإدارة والمعلّمات في بعض الرياض.
12 .. عدم تناسب المرافق والتجهيزات مع ذوي الحاجات الخاصّة (الإعاقات البسيطة).
13 .. كثرة عدد الأطفال في غرفة النشاط .

وقد تمّ حصر تلك المعوقات وترتيبها حسب الأهمّية برأي المعلّمات حسب التسلسل، كما هو مبين في الجدول التالي :جدول رقم (4) ترتيب البنود المتعلّقة بمعوقات تطبيق جودة المباني والتجهيزات التربوية في رياض الأطفال

رقم العبارة	العبارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المرتبة	درجة التطبيق
1	عدم كفاية الموارد المالية المتوافرة لشراء الوسائل والألعاب	2,00	0,00	1	مرتفع
2	عدم كفاية الألعاب التعليمية	2,00	0,00	2	مرتفع
3	عدم كفاية الوسائل التعليمية	2,00	0,00	3	مرتفع
4	عدم تناسب الوسائل والتجهيزات مع أساليب التعلّم التعاوني في الروضة	1,90	0,30	5	مرتفع
5	عدم تناسب تنظيم بناء الروضة مع نظام الأركان وبرامج التعليم المفتوح	2,00	0,00	4	مرتفع
6	عدم كفاية أقسام المبنى لتحقيق الأهداف النمائية للطفل.	1,67	0,47	6	متوسط
7	عدم توافر أدلة عمل ترشد المعلّمة إلى أساليب تنفيذ بعض الخبرات	1,67	0,47	7	متوسط
8	عدم تشجيع المرافق الصحّية على المتطلّبات النمائية للطفل	1,67	0,47	8	متوسط
9	عدم كفاية الدورات التدريبية التي تشارك فيها الروضة	1,67	0,47	9	متوسط
10	كثرة عدد الأطفال في غرفة النشاط	1,55	0,50	10	متوسط
11	عدم تناسب المرافق والتجهيزات مع ذوي الحاجات الخاصّة	1,17	0,38	11	منخفض

12	ضعف التعاون ما بين الأولياء والروضة في تحقيق أهداف المنهاج	1,00	0,00	12	منخفض
13	عدم التعاون والتنسيق ما بين الإدارة والمعلّمات في بعض الرياض	1,00	0,00	13	منخفض

تبين من الجدول السابق أن الصعوبات التي تواجهها المعلّمة في أثناء توظيف البيئة التربوية لتحقيق الأنشطة في رياض الأطفال متنوعة، واتفقت معظم المعلّمات على وجود ضعفٍ ماديٍ في الرياض وضعفٍ في توافر الوسائل والألعاب التي تساعدهن على عملهن، كما أكدن عدم مساعدة الأركان والتنظيم البنائي للروضة في تشجيع التعلّم التعاوني والتعلّم وفق الأركان، حيث حصل البند المتعلّق بضعف الإمكانات المادّية على الترتيب الأوّل من حيث الأهمّية ويليه مسألة عدم كفاية الوسائل والألعاب، 2 وهذا التقصير يرتبط بضعف الإمكانات المادّية التي حظيت على الترتيب الأوّل، وسببه يعود إلى مسألة الإنفاق على رياض الأطفال الخاصّة في الجزائر، حيث تعتمد الرياض في الإنفاق على الأقساط المقدّمة من الأولياء، وهذا المورد غير كافٍ، وهذا ما جعل الرياض في الآونة الأخيرة ترفع من الأقساط بشكل ملحوظ، ويرى الباحث ضرورة حل مشكلة الصعوبة المالية بتنويع مصادر الإنفاق في الرياض من الجهات الخاصّة والأولياء والدولة بعتبرها معتمد من طرفها، والمساهمة في تغطية تكاليف شراء الوسائل، ورفع الرسوم عن استيراد الوسائل السمعية البصرية والألعاب الإلكترونية المخصصة للرياض، ومما يلفت الانتباه أنّ المعلّمات لم يبدين اهتماماً واضحاً بالمعايير الجمالية للبناء والتجهيزات فيما يتعلّق بالصعوبات، وربما يعود ذلك إلى اهتمام المعلّمات بالمعايير الاقتصادية بشكل أوضح كضرورة توافر أعداد كافية من الوسائل تتمتع بالمتانة ومقاومة التلف، ومن ثمّ الاهتمام أكثر بالمعايير المتعلّقة بأساليب التصميم العمراني التي تتوافق مع متطلّبات النموّ من جهة، ومع الأساليب الحديثة في مناهج رياض الأطفال من جهة أخرى، وربما لأن المعلّمات يعتقدن أنّ المعايير الجمالية من المسائل الشكلية، وذلك لكون المعايير الجمالية من الخصائص التي يصعب إدراك تأثيرها على الطفل مباشرة وبصورة واضحة، كما عبرت المعلّمات عن شعورهن بصعوبة ضبط غرفة النشاط، وبالتالي عدم القدرة على تطبيق الأنشطة وتوجيهها بشكل جدي، وعدم القدرة على مراعاة الفروق الفردية نتيجة لكثرة عدد الأطفال في غرفة النشاط، وهذا يتفق مع نتائج دراسة **(سناء أبو دقة في غزة،2007 م)** ودراسة **(أمل مسعود في مصر، 2005م)**، كما حظي البند المتعلّق بعدم مناسبة المبنى وتجهيزاته للتربية حسب برنامج الأركان والنشاط الحر بالترتيب الخامس، وهذا يتفق مع دراسة مردان التي بين فيها عدم مناسبة أبنية رياض الأطفال للتربية الحديثة، حيث يتألف معظمها من صفوف تشبه ما يتم في المدارس الابتدائية التي تكتظ بالمقاعد الضيقة، والمعيقة للحركة والنشاط، وأخيراً حظيت البنود المتعلّقة **(مجلة جامعة دمشق – المجلد 26- العدد الثالث - 2010 رانية صاصيلا 275)** بالتعاون ما بين الإدارة والمعلّمة، وضعف التعاون ما بين الأولياء والروضة في تحقيق أهداف المنهاج على الترتيب الأخير، مما يدل على إعطاء المعلّمات الأهمّية الكبرى في تحقيق المنهاج على عاتق الوسائل وجهدهن ونشاطهن أكثر من اهتمامهن بالصعوبات المتعلّقة بالعلاقات التفاعلية .نستنتج من النتائج السابقة التي تناولتها محاور الدراسة العملية مجموعة من المسائل تلخّص أهمّها في:

1 .: افتقار معظم رياض الأطفال في مدينة دمشق إلى المعايير الجيدة المتعلّقة بمواصفات بناء الروضة

2 .. افتقار معظم رياض الأطفال في مدينة دمشق إلى المعايير الجيدة المتعلّقة بمواصفات تجهيزات الروضة .تعود معظم أسباب هذا التقصير إلى أسباب كثيرة من أهمّها ما يلي:

1 .: ضعف الإمكانات المادّية للرياض. 2 .. عدم وجود مديرات مؤهلات للعمل في بعض رياض الأطفال.

3 .. تجاوز التشريعات المتعلّقة بالرياض الكثير من المسائل للعديد من التفاصيل المتعلّقة بشروط البناء وتجهيزاته والعاملين في الروضة.

مقترحات الدراسة :

يقدّم البحث تصوراً لمجموعة من المقترحات من المتوقع أن تسهم في جودة المباني في رياض الأطفال بصفة عامة، والبيئة المادّية المتعلّقة بتجهيزاتها التربوية بصفة خاصّة، ومن أهمّ هذه المقترحات ما يلي:

1 .: توفير إمكانات مادّية تسهم في الدعم المالي للرياض، وذلك من عدّة مصادر أهمّها :

أ ـــ أن يكون هناك بند من ميزانية التعليم مخصص لتلك المرحلة، وذلك أسوة بالعديد من الدول المتقدّمة، والواقع يبين أنه تمّ إصدار قرار منذ عام 1974 يحمل الرقم /183 وف / ينصّ على إلغاء منح المدارس الخاصّة مساعدات مالية أو معلّمات منتدبات.

.ب . تشجيع تبرعات الأولياء. للرياض.

.ج -تشجيع الجمعيات والمجتمع المحلي ورجال الأعمال بالتبرع لميزانية الرياض.

.د تشجيع إقامة المعارض والمسرحيات والاحتفالات في الرياض ومداخليها لصالح ميزانية الروضة.

.هـ . إزالة القيود المفروضة على استيراد الوسائل التعليمية وألعاب الأطفال وتجهيزات الروضة.

. و. دعم أصحاب المؤهلات التربوية والمختصين بمجال رياض الأطفال الراغبين بإنشاء رياض أطفال مادّياً، وذلك من خلال توفير قروض مادّية دون فوائد تساعدهم على ذلك، ومن خلال المساعدة في توفير مساحات وأراض بأسعار تشجيعية لبناء الروضة وفق المعايير العالمية كشرط أساسي.

2 .تأكيد تشريعات بناء الروضة وتجهيزاتها ضمن شروط ترخيص الرياض على معايير جودة البناء والتجهيزات، ومن أهمّها :

أ . مراعاة المعايير النمائية للطفل. ب . مراعاة معايير المنهاج .ج . مراعاة معايير السلامة والأمان. د . مراعاة المعايير المعمارية .هـ . مراعاة المعايير الجمالية. و. مراعاة المعايير الاقتصادية.

3 .. أن تتناول التشريعات المتعلّقة بتراخيص الروضة مجموعة من المعايير المتعلّقة باختيار مديرات الرياض ومعلّماتها :**(رانية صاصيلا، مجلة جامعة دمشق 2010، ص277)**

أ . أن تكون مديرات الرياض ومعلّماتها من المجازات برياض الأطفال.

.ب – أن يميل العمل في رياض الأطفال للأداء ضمن التخصص الأكاديمي التربوي، حيث تختص كلّ معلّمة في مجال من مجالات أنشطة الطفل، كوجود معلّمة خاصّة بالتربية الفنّية، ومعلّمة الحاسب، ومعلّمة المسرح والدمى، وهكذا

.ج . أن يتم العمل في الروضة ضمن فريق، حيث تشترك معلّمتان أو أكثر في تنفيذ الأنشطة، كما هو في برنامج التعليم المفتوح.

.د . أن تتلقى معلّمات رياض الأطفال إعداداً تربوياً مناسباً وتدريبات مستمرة على مجموعة من المسائل الهامة من أهمّها: الإسعافات الأولية، صنع الدمى والوسائل التعليمية، وممارسة العمل وفق برنامج التعليم المفتوح والنشاط الحر ونظام الأركان، والتعامل مع الأنشطة الفنّية والمسرحية والحاسب .

مراجع البحث

·أبو دقة، سناء وآخرون، 2007م، **دراسة تقويمية لجودة التعليم في رياض الأطفال بقطاع غزة**، مجلة الجامعة، الدراسات الإنسانية، المجلد الخامس عشر، العدد الثاني .

·أحمد، إبراهيم أحمد، 2007، **تطبيق الجودة والاعتماد في المدارس**، دار الفكر العربي، القاهرة ·.

الببلاوي، فيولا، 1999، فهم المتعلّم، مجلة الطفولة العربية، الكويت

.بهادر، سعدية،2004، **برامج تربية أطفال ما قبل المدرسة بين النظرية والتطبيق**، الخدمات للطباعة، القاهرة · .الحسين، إبراهيم، 2002، **دراسة تحليلية تقويمية لواقع رياض الأطفال في الجمهورية العربية السورية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، كلية التربية ·.

-خليل، عزة، 1994، **روضة الأطفال (مواصفاتها وبناؤها وتأثيثها وأسلوب العمل فيها)**، دار الفكر العربي، القاهرة · .زيتون، محيا، 2005، **التعليم في الوطن العربي في ظل العولمة وثقافة السوق**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ·.

-الشريف، نادية، 2006، **معايير إعداد معلّمة الروضة**، ورقة عمل قدّمت إلى ورشة عمل المعايير الأكاديمية لمعلّمات رياض الأطفال، كلّية رياض الأطفال، جامعة القاهرة .مجلة جامعة دمشق – المجلد 26- العدد الثالث - 2010 رانية صاصيلا · 279

-عليمات، صالح ناصر، 2004، **إدارة الجودة الشاملة في المؤسّسات التربوية**، دار الشروق للنشر، عمان

-عابدين، محمود عباس، 1992، **الجودة واقتصادياتها في التربية، دراسة نقدية**، مجلة دراسات تربوية، القاهرة، رابطة التربية الحديثة، المجلد السابع، الجزء(44)

-كنعان، أحمد، 2007، **رؤية لإعداد معلّم رياض الأطفال وتأهيله وفق متطلّبات أنظمة الجودة**، ندوة رياض الأطفال " واقع وآفاق مناهج رياض الأطفال ومعايير الجودة والعلوم النفسية لإعداد معلّم الروضة وأدواره ومهامّه"، حمص.م2223/10/2007 ·

-مرتضى، سلوى، 2006، **فاعلية برنامج مقترح لإكساب الأطفال بعض المهارات العلمية**، مجلة جامعة دمشق للعلوم التربوية، المجلد 22، العدد الثاني ·.

-محرز، نجاح، 1999، **العوامل المؤثّرة في إدخال الآباء أطفالهم إلى رياض الأطفال**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، كلّية التربية٠.

-مردان، نجم الدين علي، 1989، **واقع البرامج التربوية في الوطن العربي**، اليونسكو٠.

-مسعود، أمل سيد، 2005، **رياض الأطفال في مصر بين الواقع والمأمول**، مجلة مستقبل التربية العربية، المجلد الحادي عشر، العدد37٠.

-مصلح، عدنان عارف، 1990، **التربية في رياض الأطفال**، دار الفكر، عمان٠.

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1989، **واقع البرامج التربوية لرياض الأطفال**، تونس، اليونسكو٠.

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1991، **مباني رياض الأطفال وتجهيزاتها في الوطن العربي**، تونس، اليونسكو

تصور مقترح لضمان جودة البيئة التربوية في رياض الأطفال في الجمهورية العربية السورية٠ 280 المكتب المركزي للإحصاء "2007"م تعداد السكان٠.وزارة التربية "200 .2007"م إحصاءات منشورة٠.وزارة التربية، تعميم رقم 1413/843 بتاريخ: 4/6/2006م .

المراجع الأجنبية:

- Egbert,Wali,1996,analysis of Quality Assessment, Higher Education, vol19,no1.

--Hendrick,J, 1996, Total learning,curriculum for the Young Children, Ohio,Merrill _puplishing co. -

_Lowenthal, Barbara,1996, Teaching Social Skills to Preschoolers , Child and Education, spring..

أثر البيئة الاجتماعية والنفسية على الصحة النفسية للعامل
دراسة تحليلية لسبل تعزيز الصحة النفسية في أماكن العمل وتوصيات عملية

د. محمد بوفاتح - أ.عبد الباقي بن بوقرين
قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا
جامعة عمار ثليجي بالأغواط.

الملخّص:

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة تقييم واقع الصحّة النفسية في بيئتين مختلفتين من الناحية الاجتماعية والاقتصادية: البيئة العربية والبيئة الغربية على أساس عوامل البيئة النفسية الاجتماعية المحدّدة في نموذجي DLS لـ Karasek ونموذج DER لـ Seigrist. تمّ في هذه الدراسة استخدام دراستين عربيتين ودراستين غربيتين، بحيث تمّ تحليل هذه الدراسات على أساس أهمّ العوامل المشتركة التي تؤثر في الصحّة النفسية للعمال.

أهمّ النتائج التي خلصت لها هذه الدراسة هي: تعزيز جودة الصحّة النفسية لدى العاملين من خلال التركيز على استراتيجية تطوير بيئة نفسية اجتماعية تدعم الرفاه في العمل عوض التركيز على تقليل المعاناة والضيق النفسي.

الكلمات المفتاحية: بيئة العمل، العوامل النفسية والاجتماعية، الصحّة النفسية، دراسة تحليل ومقارنة

Abstract

This study aims at trying an assessment of the reality of the mental health in two different social and economic environments: Arabic and occidental environments on the basis of social and psychological environment factors that have been developed in DLS model of Karasek and DER model of Seigrist. For this purpose, two Arabic and two occidental studies have been used. An analysis has been carried out on the basis of common factors which affect the mental health of workers.

The main result of this study was: the necessity of reinforcing the quality of mental health among workers through the focus on the strategy of developing social and psychological environment backing up well-being rather than the focus on reducing distress and psychological ill-being.

Keywords: work environment, social and psychological factors, mental health, study of analysis and comparison.

تعتبر الصحّة النفسية في أي منظمة من الجوانب والمقومات المهمّة لنجاح وضمان استمرارها وتحقيق أهدافها، وتحظى حاليا باهتمام متزايد، على اعتبار أنّ رضا العاملين في بيئة العمل ينعكس على كفاءتهم وأدائهم وصحّتهم النفسية. من دون بيئة عمل صحّية داخل المنظمة ستفشل إدارة المنظمة في تحقيق أهدافها على المدى القريب أو البعيد، وهناك علاقة واضحة بين الصحّة النفسية وبيئة العمل. لاشك أنّ الفشل أو الإحباط في العمل قد يؤدي إلى اضطراب الاتزان النفسي لدى الأفراد الذين يكونون قبل تأثير بيئة العمل عليهم، لديهم مستوى مقبول من الرضا عن أنفسهم (فهمي،1995، ص.27).

لقد أدّت الزيادة في التكاليف المباشرة وغير المباشرة المرتبطة بمشاكل الصحّة النفسية إلى تنبيه الكثير من المسؤولين في المنظمات على التحرك بسرعة اتجاه حل هذه المشاكل. كما بينت العديد من الدراسات أنّ العمال الذين يعيشون توازنا على مستوى صحّتهم النفسية هم الأحسن أداء وهم الأكثر استقلالية في العمل حسب العديد من الباحثين أمثال .Stawet al (1994)؛ ودراسات أخرى حسب.Harteret al (2002) بينت مدى التأثير الإيجابي للصحّة النفسية الجيدة للعاملين على انخفاض معدلات ترك الخدمة وارتفاع الرضا الوظيفي وولاء العملاء والأمن داخل العمل وارتفاع الإنتاجية(Dagenais et Privé, 2010, p.69).

وعلى النقيض من ذلك، يؤدي تدهور الصحّة النفسية لدى العاملين إلى نتائج وخيمة على الأداء والرضا الوظيفي والصحّة العضوية كذلك. في أحد تقارير المعهد الوطني الأمريكي للأمن الوظيفي the national Institute for occupationnalsafety يبين فيه أنّ مهنة التمريض مثلا من بين 40 وظيفة يتعرض فيها الموظّفون إلى اضطرابات نفسية عالية بسبب الضغوط المصاحبة لهذه الوظيفة. في نفس الإطار موظّفو الصحّة خصوصا المرضين منهم يعانون أكثر من غيرهم من ظاهرة الانتحار والإنهاك الوظيفي ومن معدلات كبيرة في استهلاك الكحول والمخدرات ويعانون كذلك من معدلات مرتفعة من الاستشفاء بسبب الاضطرابات النفسية(Bordonnais et al., 1997, p. 1). في دراسات أخرى، اتضح أيضا أنّ بيئة العمل لديها ميزات تؤدي إلى تآكل الصحّة النفسية(Ndjaboué et al., 2012, p. 23).

تشكّل عوامل البيئة النفسية الاجتماعية من بين جملة الأبعاد المهمّة في التأثير على الصحّة النفسية لدى العاملين (عبء العمل، ومطالب معرفية، وضيق الوقت، تنمية المهارات، وسلطة اتخاذ القرار، المساعدة المقدّمة من زملاء العمل و/ أو رؤسائه، التعاون في العمل،...).

تنطلق أهمّية هذه الدراسة من كون الدراسات السابقة لدى البيئات الغربية هي المرجعية الرئيسة للقيام بدراسات في البيئات العربية لعدّة أسباب نذكر منها على سبيل المثال: الخلفيات النظرية المطورة في هذه البيئات والنماذج المستخدمة كما وأيضا لطبيعة البيئة التنظيمية التي تتميز بمستوى عال من الظروف المادّية والمعنوية والأساليب الإدارية المساعدة على رفع جودة بيئة العمل وانعكاسها على الصحّة النفسية. في هذه الدراسة التحليلية سنعتمد على أسلوب مراجعة أدبية لدراسات سابقة في مجال الصحّة النفسية في البيئات الغربية والبيئات العربية، وسنعتمد على بعض العوامل النفسية والاجتماعية المؤثّرة في جودة الصحّة النفسية والمدى الذي يمكن فيه الحكم على تأثير هذه العوامل في الرفع من جودة الصحّة النفسية أو انخفاضها بسبب بيئة العمل.

هذه الإشكالية الأساسية ستتفرع إلى عدّة عناصر أهمّها:

-ما هي الصحّة النفسية؟

-النماذج النظرية التي طورت علاقة عوامل بيئة العمل بالصحّة النفسية.

-مراجعة عيّنة من الدراسات الغربية والعربية بخصوص الصحّة النفسية.

-نتائج مراجعة البيئتين الغربية والعربية بخصوص الصحّة النفسية.

-توصيات عملية.

1. مفهوم الصحّة النفسية:

باتت الصحّة النفسية في السنوات الأخيرة في مكان العمل مصدر قلق كبير بالنسبة لأرباب العمل والنقابات والجمعيات المهنية، وبالنظر إلى عدد الأفراد المتزايد سوف يكون التوقف عن العمل لأسباب تتعلّق بالصحّة العقلية على نحو متزايد،.تنشأ الاضطرابات النفسية ليس من خلال التصرفات الشخصية أو من سوء الظروف المعيشية فقط، ولكن أيضا من أوضاع العمل الضارة وعدم وجود أخلاقيات العمل، والسلوكيات الضارة وإنهاك مرتبط بزيادة عبء العمل أو عبء العمل غير المناسب، وعدم الاعتراف، والظلم في مكان العمل أو سوء العلاقات المهنية(Estelle, 2010, p. 13).

تعرّف الصحّة النفسية وفق منظمة الصحّة العالمية على أنّها: "الصحّة هي حالة من اكتمال السلامة بدنياً وعقلياً واجتماعياً، لا مجرّد انعدام المرض أو العجز". ومن أهمّ آثار هذا التعريف أنّ شرح الصحّة النفسية يتجاوز مفهوم انعدام الاضطرابات أو حالات العجز النفسية، والجدير بالذكر أنّ الصحّة النفسية جزء أساسي لا يتجزّأ من الصحّة*.

وفق تعريف للقوصي، الصحّة النفسية هي: " "هي التوافق التام أو التكامل بين الوظائف النفسية المختلفة، مع القدرة على مواجهة الأزمات النفسية العادية التي تطرأ عادة على الإنسان، ومع الإحساس الإيجابيبالسعادة والكفاية (القوصي، 1952، ص 6). حسب هذا التعريف، الصحّة النفسية عبارة عن حالة من العافية يمكن فيها للفرد تكريس قدراته الخاصّة والتكيّف مع أنواع الإجهاد العادية والعمل بإتقان وفعالية.

كما يعرفها أدولف مايو " تكيف الشخص مع العالم الخارجي المحيط به بطريقة تكفل له الشعور بالرضا، كما تجعل الفرد قادرا على مواجهة المشكلات المختلفة (الداهري، 2005، ص25).

لذا يمكن أن نخلص إلى أنّ الفرد يتمتع بصحّة نفسية جيدة عندما يتمكن من بناء علاقاته الاجتماعية بشكل فعال، ويتمكن من التوافق والاندماج مع أفراد مجتمعه، وعندما يستطيع تكييف حياته الخاصّة مع الظروف المعقدة والمتنوعة للمحيط، وعندما يتمكن فضلاً عن ذلك من تقرير مصيره وتحقيق التوازن بين إمكانياته البيولوجية الوراثية والنفسية والجسدية ومتطلّبات البيئة التي ينشأ فيها أو يوجد فيها علاقات اجتماعية كبيئة العمل مثلا (رضوان، 2002، ص. 22).

من هذه التعاريف يمكن أن نستنتج بعض النقاط الآتية:

- الصحّة النفسية جزء لا يتجزّأ من الصحّة؛ وبالفعل، لا تكتمل الصحّة بدون الصحّة النفسية.
- الصحّة النفسية ليست مجرّد انعدام الاضطرابات النفسية.
- الصحّة النفسية تتأثّر بالعوامل النفسية والاجتماعية والبيئية.

2. عوامل بيئة العمل النفسية والاجتماعية وعلاقتها بالصحّة النفسية

أغلب الدراسات التي جاءت على بحث الصحّة النفسية والعوامل التي تؤثر فيها، تفضل استخدام نموذجين معروفين هما نموذج DLS لـ Karasek (1979) المعتمد على المتطلّب النفسي-الموقف القراري-السند او الدعم. أمّا النموذج الثاني DER فهو لـ Seigrist (1996) المعتمد على عدم التوازن-الجهد-الاعتراف (Ndjabouéet al., 2012, p. 23 ;Bourbonnais et al., 2004, p. 28).

يدعى النموذج DLS نموذج Job strain model ويحتوي على مركبتين هما: المتطلّب النفسي والموقف القراري. يتناول المتطلّب النفسي عبء العمل والمتطلّبات الذهنية وقيود الزمن؛ بينما يتناول الموقف القراري جزئين هما تطوّر الكفاءات وسلطة اتخاذ القرار. ينطلق هذا النموذج من افتراض أنّ المتطلّب النفسي المرتفع والموقف القراري الضعيف هو الذي يشكّل عامل خطر على الصحّة النفسية للعامل. بينما يشكّل الدعم ممثّلا في المساعدة التي يقدّمها الزملاء والرؤساء والتعاون في مكان العمل المركبة الثالثة لهذا النموذج والتي أدخلها Johnson et al. (1989). يقيس هذا النموذج خصائص بيئة العمل مثل بيئة تنظيم العمل وعليه يكون هذا النموذج هو الأمثل لقياس المظاهر المتغيرة والثابتة في بيئة العمل والأفراد (Ndjaboué et al., 2012, p. 24).

في المقابل، يرى مطورو النموذج الثاني DER أنّ نموذج DLS لم يستوف كلّ عوامل البيئة وعليه تمّ استحداث نموذج DER من طرف Seigrist(1996) والمركب من مفهوم عدم التوازن بين الجهد- الاعتراف. ينطلق النموذج من مفهوم "المعاملة الاجتماعية بالمثل" (réciprocité sociale) والتي تعني توقع إمكانية الحصول على مزايا شرعية من خلالها يتمكن الفرد من الحصول على مقابل للجهد المبذول. إذا كان هذا التوقع غير مُرضي يحدث في هذه اللحظة اختلالا بين الجهد المبذول والاعتراف المتوقع. يتمثّل هذا الاعتراف في ثلاث مركبات هي: الأجر، التعاطف الاجتماعي (التقدير والاحترام) ووضعيته المهنية (ممثّلة في آفاق الترقية والأمن الوظيفي). حسب هذا النموذج، عندما يعكس العمل حالة من الاعتراف الضعيف والجهد المبذول المرتفع يحدث هذا الواقع ردود فعل مَرضية على المستوى العاطفي والمستوى النفسي. فمثلًا تمّ التوصّل في ثلاث دراسات اعتمد عليها النموذج إلى وقوع أمراض القلب والضغط الدموي وعلى ارتفاع معدلات التغيب لدى عيّنات الدراسات المعتمدة (Bourbonnais et al., 2004, p. 28).

3. واقع الصحّة النفسية في بعض الدراسات الغربية

أخذنا كعيّنة من الدراسات الغربية تقريرا حول تأثير المحيط النفسي الاجتماعي في العمل على الصحّة النفسية للممرضات في مركز استشفائي بمقاطعة الكبيك الكندية Quebec. ودراسة أخرى حول ترقية الصحّة النفسية من خلال مفهوم العمل لدى العاملين في مجموعة من التحقيقات التي قامت بها وزارة الصحّة الكندية في هذا القطاع.

3. 1. الدراسة الأولى[1]

أ. تحاول هذه الدراسة الوقوف على العلاقة بين خصائص البيئة النفسية الاجتماعية والصحّة النفسية لعيّنة من الممرضات في ستة مستشفيات بمقاطعة الكبيك في كندا. تمت الدراسة على مرحلتين باستعمال استبيان تضمن في أبعاده لقياس الصحّة النفسية ثلاث أبعاد هي: الضيق النفسي، الإنهاك الوظيفي، وتناول أدوية نفسية. خصص حيز في الدراسة يتناول قيود البيئة النفسية الاجتماعية وارتباطها بمعدلات الغياب المرضية الملاحظة في مدة 20 شهرا.

في المرحلة الأولى، كانت نسبة المشاركة في الدراسة تقدر بـ 62% (1891) مفردة. كانت نتائج هذه الدراسة على النحو الآتي: 28.3% من الممرضات يعانين من ارتفاع المعاناة النفسية، 35% منهن لم تظهر لديهن أي علامات الإنهاك الوظيفي، بينما البقية أظهرن استجابة قوية لكلّ أو لأحد مكونات بعد الإنهاك الوظيفي. أمّا بعد تناول الأدوية النفسية فقد أجابت نسبة 4.4% منهن أنهن تناولن الأدوية في اليومين السابقين قبل الإجابة عن الاستبيان؛ بينما تناولت هاته الأدوية نسبة 9.6% من المستجوبات قبل شهر من الدراسة. لكن في نفس الوقت تبين أنّه لا علاقة ذات دلالة إحصائية بين تناول الأدوية النفسية والمتطلّبات النفسية المرتفعة والموقف القراري الضعيف.

في المرحلة الثانية، تمّ استرجاع 1378 استبيانا، تبين من خلال تحليلها أنّ هناك ارتفع طفيف في تأثير قيود البيئة النفسية الاجتماعية بأبعادها الثلاث على الصحّة النفسية. تبين كذلك أنّ السند الاجتماعي والمعاناة النفسية مرتبطان لكن السند الاجتماعي لا يغير من العلاقة بين ضغوط العمل والاضطرابات النفسية؛ كما تؤثر الضغوط على ارتفاع معدلات التغيب القصيرة، بينما لا تؤثر في المعدلات الطويلة.

ب. وكانت النتائج على النحو الآتي:

نتائج البحث تدعم العلاقة بين الإنهاك الوظيفي والضغوطات النفسية والإجهاد النفسي بين الممرضات، حتّى بعد الأخذ في الاعتبار العوامل التي يحتمل تدخلها. ويرتبط الدعم الاجتماعي في العمل مع الضغوطات النفسية والإجهاد النفسي، لكنه لا يغير من العلاقة بين الإنهاك الوظيفي وهذه الاضطرابات النفسية بين الممرضات في المستشفى في كيبيك. يرتبط ضغط العمل مع حالات الغياب المرضية على المدى القصير ولكن لا يرتبط مع الإصابة المبررة بشهادة غياب مرضية أو استخدام الأدوية النفسية. وأكد التحليل الكيفي لهذه الدراسة وجود مطالب نفسية غير محققة، وهي عدم المشاركة في القرارات التي تؤثر في العمل وكيفية انجاز المهامّ. فضلا عن ذلك، ضعف الدعم الاجتماعي، لا سيما أنّ هذه العناصر تسهم بشكل كبير في تحسين الحالة النفسية حسب شهادات الممرضات المستجوبات.

تم التوصّل كذلك إلى أنّ القيود المحدّدة لبيئة العمل النفسية والاجتماعية تؤثر على الصحّة النفسية ودعمت التعليقات والاقتراحات التي ضمنتها الممرضات في الاستبيانات تحسين ظروف العمل. كما أوصين

[1]. Bourbonnais, R.et al. (1997). « **Impact de l'environnement psychosocial de travail sur la santé mentale des infirmières en centres hospitaliers au Québec** », Université Laval.

أيضا بضرورة التفكير بتدخلات لتغيير الجوانب المسببة للأمراض في العمل في وحدات الرعاية الصحّية في المستشفيات.

3. 2.الدراسة الثانية

أ. بناء على ستة استطلاعات، قام Estelle M. Morin et Jacques Forest بعملية مسح بوزارة الصحّة الكندية على عيّنة بلغت 582 إطارا.[1]

افترض الباحثان أنّ خصائص العمل قد يكون لها تأثير على الصحّة النفسية. تكشف التحاليل أيضا أنّ الخصائص التي تحدّد حالة من الضيق النفسي ليست هي نفسها التي تحدّد الرفاه النفسي. تكشف هذه الدراسة عن بعض الآثار المترتبة على الإدارة السليمة للعمل في المنظمات لمنع ظهور أعراض الضيق النفسي وكشفت نتائج الدراسة ما يأتي:

إذا اشتمل عمل موظّف أعباء تتناسب مع قدرته، ويتيح له الشعور بالاعتراف ويجلب له الدعم من رئيسه، والنتيجة انه يتحصل على مؤشر يميل إلى الانخفاض في مقياس الضيق النفسي، وهذا يعني أنّ خطر المعاناة النفسية منخفض. هذه الملاحظة تؤكد نتائج موجودة من قبل باحثين آخرين، بما في ذلك Karasekو Theorell (1990).على العكس من ذلك، إذا كان الموظّف يشعر بالمتعة في القيام بعمله، ويجد فرص للتعلّم والنموّ، ويشعر بالاستقلالية للقيام بذلك، وله علاقات جيدة مع الآخرين، فإنه يحصل على المؤشر يميل إلى أن يكون مرتفعا في مقياس الرفاه النفسي، وهذا يعني أنّ فرص تقدّم حالة الرفاه النفسي لديه مرتفعة. هذه النتيجة مثيرة للاهتمام، بحيث يتطلّب تعزيز الرفاه النفسي في العمل تدخلات مختلفة بشأن إثراء الوظيفة والعمل.

ب. توصيات الدراسة الثانية: يتعيّن على المديرين أن:

- يعطوا توجيهات واضحة للموظّفين وأهداف محفزة ومتسقة فيما يتعلّق بإستراتيجية المنظمة؛
- الاعتراف بجهود ونتائج عمل الأفراد؛
- التعرّف على مهارات وكفاءات الموظّفين؛
- ضبط قدرات الأفراد وعبء العمل وموارد كلّ منهما؛
- تقديم الدعم للعاملين ولفريق العمل بشكل ملموس.

يمكن لهذه الممارسات أن تخفض الضغوط النفسية التي يعاني منها الموظّفون إلى مستوى مقبول، لكنها لا تحفز مشاركتهم في العمل. للقيام بذلك يُعمل على تعزيز الرفاه النفسي للموظّفين ويتعيّن أيضا على المديرين:

- التأكد من أنّ كلّ فرد لديه فرص للتعلّم والنموّ في أداء عمله، مما يتيح له المتعة في العمل؛

[1]. Estelle ,M. et Jacques, F. (2007/2). « Promouvoir la santé mentale au travail: donner un sens au travail », *Gestion*, Vol. 32, p. 31-36.

- إعطاء فريقهم المرونة الكافية لتمكينهم من تنظيم العمل بالطريقة التي يبدو لهم فيها العمل أكثر سهولة؛
- تمكين الموظّفين من اتخاذ مزيد من القرارات بخصوص تنظيم عملهم؛
- تسهيل إقامة علاقات مهنية إيجابية وفعالة؛
- تحديد المسؤوليات للموظّفين وتسهيل تطوّرهم المهني.

4. واقع الصحّة النفسية في بعض الدراسات العربية

أخذنا كعيّنة من الدراسات العربية تقريرا حول واقع الصحّة النفسية لدى العاملين في مجال التمريض وتأثيرها على مستوى أدائهم بمحافظة غزة ودراسة أخرى حول علاقة جودة علاقات العمل الاجتماعية (العلاقة بين الزملاء والعلاقة مع الرؤساء) بمستوى الالتزام الوظيفي ومستوى شعور الموظّف بالرفاه النفسي في العمل.

1.4.الدراسة الأولى[1]

في دراسة بعنوان " علاقة الضغوط الوظيفية بالآثار النفسية والجسدية لدى العاملين ". في محافظات غزة على عيّنة من 220 مفردة. هدفت الدراسة إلى تحديد أهمّ مصادر الضغوط الوظيفية في بيئة العمل (صراع الدور، غموض الدور، العبء الوظيفي، وبيئة العمل الوظيفي، العلاقات)، والبحث عن أهمّ الآثار النفسية ممثّلة في الرضا، القلق، الاكتئاب، الإحباط، اللامبالاة والضيق النفسي؛ والجسدية ممثّلة في صداع الرأس، ارتفاع ضغط الدم، القرحة المعدية، أزمات القلب، مرض السكري على مستوى صحّة العاملين.

وكانت أهمّ النتائج كما يلي:

-توجد علاقة بين الضغوط الوظيفية والآثار النفسية والجسدية لدى العاملين؛

- أدت الضغوط الوظيفة إلى أثار نفسية سلبية على مستوى الفرد مثل انخفاض الرضا الوظيفي، القلق، الاكتئاب، الإحباط، واللامبالاة؛

- أدت الضغوط الوظيفية إلى أثار جسمية سلبية على مستوى الفرد مثل صداع الرأس، ارتفاع ضغط الدم، القرحة المعدية، أزمات القلب، مرض السكري.

وقد تمّ تقديم مجموعة من التوصيات في ضوء معطيات الجانب التطبيقي للبحث، أهمّ هذه التوصيات وأبرزها هي:

- على الإدارة العلية للمنظمة تحسين بيئة العمل بطرق علمية مدروسة لتخفيف من ضغوط العمل؛

[1]. عبد عابدين، إبراهيم (2010)، **علاقة الضغوط الوظيفية بالآثار النفسية والجسدية لدى العاملين**، رسالة ماجيستير غير منشورة، كلية الاقتصاد، جامعة الأزهر، غزة.

-الاهتمام بالنشاطات الرياضية، وإقامة الرحلات والحفلات الترفيهية، هذا من شأنه أن يحسّن علاقات العمل ويخفف من ضغوط العمل.

4. 2. الدراسة الثانية[1]

هدفت هذه الدراسة (هذه الدراسة كانت جزءاً من مشروع أكبر هدف إلى تحسين ظروف العمل) إلى بحث علاقة جودة علاقات العمل الاجتماعية (العلاقة بين الزملاء والعلاقة مع الرؤساء) لمستوى الالتزام الوظيفي ومستوى شعور الموظّف بالرفاه النفسي في العمل تمّ قياس هذا البعد من خلال أحد المقاييس التي طورها Warr (2002). على عيّنة تتكون من 159 فردا، افترض الباحث مايلي:

-ترتبط جودة العلاقة بين زملاء العمل إيجابيا بمستوى شعور العاملين بالرفاه النفسي داخل العمل (Job related wellbeing).

-ترتبط جودة العلاقة بين المشرفين والعاملين إيجابيا بمستوى شعور العاملين بالرفاه النفسي في العمل.

أهمّ النتائج هي:

- أشار تحليل الانحدار إلى وجود علاقة إيجابية بين المستوى المرتفع للعلاقات الاجتماعية في العمل والشعور بالرفاه النفسي في العمل على مستوى العلاقة مع الرؤساء والعلاقة مع الزملاء على النحو الآتي:

-سوء العلاقة مع الرؤساء ترتبط بمستوى شعور العاملين بالرفاه النفسي في العمل، بحيث يوجد ارتباط إيجابي بين مستوى العلاقة مع الرؤساء ومستوى الشعور بالاكتئاب- الحماس؛ وبكلمات أخرى، كلّما كانت العلاقة جيدة مع الرؤساء شعر الموظّف بالحماس بشكل أعلى وانخفض عنده الشعور بالاكتئاب والخمول.

-أمّا علاقة الموظّف بزملاء هو على خلاف المتوقع، لا توجد علاقة إيجابية بين نوعية العلاقات بين الزملاء ومستوى الرفاه النفسي للموظّفين بالرغم من أنّ الدراسات السابقة أشارت إلى وجود علاقة إيجابية. التفسير المحتمل لهذه النتيجة يكمن في طريقة قياس العلاقات الاجتماعية بين الزملاء. كان المقياس المستخدم في هذه الدراسة مقياسًا عامًّا يدور حول وجود علاقة زمالة إيجابية متوسطة الجودة.

5.النتائج العامة من تحليل الدراسات الأربع.

من خلال تحليل الدراسات الأربع السابقة في البيئتين الغربية والعربية، تمّ التوصّل إلى استنتاج ما يأتي:

✓ الأشخاص الذين يعيشون ضمن علاقات إيجابية يشعرون بالسعادة بشكل أكبر، ولديهم مستويات أقلّ بالإصابة بالاكتئاب والتوتّر؛

---

[1]. الزعبي، مروان طاهر (2009). **جودة علاقات العمل الاجتماعية وعلاقتها بمستوى الالتزام الوظيفي والرفاه النفسي**، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 36، العدد 2، ص 465 – 479.

✓ تنعكس العلاقات الجيدة على الصحّة النفسية وهذه الأخيرة تؤثّر بدورها على جودة الصحّة الجسدية، إصابة بأمراض عضوية أقلّ ومراجعة أقلّ للأطباء؛

✓ العلاقات الجيدة في بيئة العمل هي أحد الأسباب الرئيسة التي تجعل المنظمة تعمل بشكل صحيح.

✓ إضافة إلى ما سبق، فإنّ الموظّفين يتكون عندهم انخراط أعلى في مهمّاتهم اليومية، يزيد ولاءهم للمنظمة والتزامهم الوظيفي؛

✓ نتائج البحث تدعم العلاقة بين الإنهاك الوظيفي والضغوطات النفسية والضيق النفسي في العمل؛

✓ يخفض الدعم الاجتماعي في العمل من مستوى الضغوطات النفسية مما يؤدي إلى خفض مستوى الضيق النفسي؛

✓ يرتبط ضغط العمل مع حالات الغياب المرضية على المدى القصير لكنه لا يرتبط مع معدلات التغيب المرضية الطويلة ومع تناول الأدوية النفسية.

✓ تحقيق المطالب النفسية بالمشاركة في القرارات التي تؤثر في العمل وكيفية انجاز المهامّ يساعد على رفع مستوى الدعم الاجتماعي مما ينعكس على الصحّة النفسية؛

✓ يوجد اختلاف بين إستراتجية التدخل لخفض الضيق النفسي والمعاناة والأخرى التي تُعنى برفع مستوى الرفاه النفسي.

6. توصيات واقتراحات

مما سبق يمكن استنتاج بعض التوصيات المقترحة على المديرين في المنظمات خصوصاً تلك التي تعاني من مستويات عالية من معدلات ترك العمل أو أداء وروح معنوية منخفضة على النحو الآتي:

- أن يعطوا توجيهات واضحة للموظّفين وأهداف محفزة ومتسقة فيما يتعلّق بإستراتيجية المنظمة؛
- الاعتراف بجهود ونتائج عمل الأفراد؛
- التعرّف على مهارات وكفاءات الموظّفين؛
- ضبط قدرات الأفراد وعبء العمل وموارد كلّ منهما؛
- تقديم الدعم للعاملين ولفريق العمل بشكل ملموس.

يمكن لهذه الممارسات أن تخفض الضغوط النفسية التي يعاني منها الموظّفون إلى مستوى مقبول، لكنه لا يحفز مشاركتهم في العمل. للقيام بذلك يُعمل على تعزيز الرفاه النفسي للموظّفين ويتعيّن أيضا على المديرين:

- التأكد من أن كلّ فرد لديه فرص للتعلّم والنموّ في أداء عمله، مما يتيح له المتعة في العمل؛
- إعطاء فريقهم المرونة الكافية لتمكينهم من تنظيم العمل بالطريقة التي يبدو لهم فيها العمل أكثر سهولة؛

- تمكين الموظّفين من اتخاذ مزيد من القرارات بخصوص تنظيم عملهم؛
- تحديد المسؤوليات للموظّفين وتسهيل تطوّرهم المهني؛
- تسهيل إقامة علاقات مهنية إيجابية وفعالة؛
- تحسين العلاقات الاجتماعية في المنظمة، خصوصاً العلاقة بين الرؤساء والموظّفين؛
- على المنظمة تحسين مستوى العلاقة مع الرؤساء، وتعتمد بشكل أكبر على مهارة الرئيس من المرؤوس. تشير أبحاث نظريات القيادة بشكل قاطع إلى أنّ القائد المتوجه نحو الآخرين (People-oriented leadership) هو شخص يقوم بمجموعة من السلوكيات التي تجعله شخصاً محبوباً وقريباً من موظّفيه؛
- تحسين العلاقات يؤدي حتماً إلى تحسين التواصل، تبادل المعلومات، عدم الخوف من إظهار الأخطاء، وانخراط أعلى في المهمّات مما يعود إيجابا على مستوى أداء الموظّف وانخفاض رغبته في ترك العمل؛
- وهناك عدّة وسائل يمكن فيها للمختصين من تحسين مستوى العلاقات في المنظمة مثلا، على مستوى العلاقة بين الزملاء، أشارت بعض الدراسات إلى بعض وسائل زيادة التوافق والتماسك بين زملاء العمل. أشار كلّ من سياس وكاهيلي إلى بعض العوامل من مثل، التقارب المكاني بحيث لا يكون هناك تباعد جغرافي بين الموظّفين أو العمال؛
- وجود مهمّات من النوع الذي يتطلّب تعاون مع زملاء آخرين لانجازها والعمل في فرق؛
- إضافة إلى ما سبق، هناك عامل مهمّ هو تخفيض مستوى التنافس بين العاملين حتّى لا يتحول إلى صراع يؤثر على العلاقات بين الزملاء.
- تكامل المهمّات أو ما يعرف بـ (Task interdependency)هو من العوامل المهمّة التي تزيد من مستوى التآلف بين العاملين.
- أن التدخلات للحدّ من التوتّر أقلّ فعالية عندما كانت معدّة فقط لتعديل على التكيف العمال، بدلا من معالجة الإجهاد ورفع مستوي الرفاه النفسي، وهذه استراتيجية من شأنها أن تسفر عن نتائج أكثر استدامة.

المراجع والهوامش

-القوصي،عبد العزيز (1952).**أسس الصحّة النفسية**، مصر: مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الرابعة.
- الداهري،صالح حسن (2005).**مبادئ الصحّة النفسية**، عمان: دار وائل للنشر، الطبعة الأولى.
- رضوان،سامر جميل (2002). **الصحّة النفسية**، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الأولى، الأردن.
- فهمي،مصطفى (1995). **الصحّة النفسية**، القاهرة: مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية.
- Estelle,M. (2010). « **Promouvoir la santé mentale au travail** », *Gestion*, 35 (3), p. 13-14.

- Bourbonnais, R.et al.(1997). **« Impact de l'environnement psychosocial de travail sur la santé mentale des infirmières en centres hospitaliers au Québec »**, Université Laval.
- Ndjaboué, R. Vézina,M.,Brisson,C.(2012).**« Effets des facteurs psychosociaux au travail sur la santé mentale»***Travail et Emploi*, n° 129, p. 23-34
- Estelle, M. et Forest, J. (2007). « **Promouvoir la santé mentale au travail: donner un sens au travail** », *Gestion*, 32(2), p. 31-36.
- Bourbonnais,R.et al. (2004).**« L'environnement psychosocial du travail et la santé mentale en soins de longue durée, évolution des contraintes et des problèmes de santé entre 2001 et 2003»**, Université Laval.
*http://www.who.int/mediacentre/factsheets/fs220/ar/

درجة ممارسة مديري التعليم المتوسط لمهارات الاتصال الإداري في ضوء مهامهم الإدارية

أ.كتفي عزوز
قسم علم النفس، جامعة المسيلة

ملخّص الدراسة:

أُعدّت هذه الدراسة لفائدة المعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية وتحسين مستواهم بالحراش – الجزائر – قصد الوقوف على أهمّ الحاجات التكوينية التي يحتاجها مديرو التعليم المتوسط أثناء أدائهم لوظائفهم الإدارية على ضوء القرار الوزاري رقم: 175 المؤرخ في 1992/03/02 الذي يحدّد مهامّ مدير المتوسطة، وتركزت على المهارات الاتصالية لمعرفة إمكانية إدراج أو تعديل مقياس الاتصال الإداري أثناء تكوين المديرين.

انطلقت الدراسة خلال الموسم الدراسي 2010-2011 وشملت (22) مديرا بمدينة المسيلة ؛ حيث صمم اختبار لقياس درجة ممارسة المدير للمهارات الاتصالية (الكتابية، الشفهية، الرمزية، التكنولوجية)، وتمت معالجة البيانات باستخدام (SPSS). توصّلت إلى النتائج التالية:

- يمارس مديرو التعليم المتوسط مهارات الاتصال اللفظي الشفهي والمكتوب بدرجة كبيرة.
- يمارس مديرو التعليم المتوسط في مدينة المسيلة مهارات الاتصال الرمزي بدرجة متوسطة كمدعم للاتصال الكتابي والشفهي.
- يمارس مديرو التعليم المتوسط بمدينة المسيلة مهارات الاتصال التكنولوجي بدرجة قليلة.

Abstract:

This study has been prepared for the benefit of the National Institute of Education to create users and improve their level in Algiers - accidentally stand on the most important formative needs required by the average education managers while performing administrative functions in the light of the Ministerial Decree No. 175 dated 02.03.1992 which defines the functions of the middle manager, and focused on communication skills to figure out the possibility of including or modify the administrative contact measure during formation managers.

- The study was launched during the 2010-2011 school year included (22) as director in gas; where the test is designed to measure the degree of director of communication skills (written, oral, Avatar, technological), and has been using the data processing SPSS). With the following results

- Middle school education managers practiced verbal communication skills, verbal and written considerably.

- Middle school education managers practiced in the city m'sila moderately symbolic communication skills as a support written communication and oral average education managers exercised technological communication skills in a low degree.

يعتبر الاتصال من العمليات الاجتماعية الهامة التي لا يمكن أن يعيش أي فرد أو جماعة أو منظمة بدونها ,فهو كما يبدو أساس العلاقات الاجتماعية ,فبعدما كان يتم على مستوى جماهيري فإنّه أيضا أصبح مع تعقد الحاجات الاتصالية يتم على مستوى التنظيمات والمؤسّسات ,فلا تستطيع أي مؤسّسة أن تحقق أهدافها إلا إذا توفر تنظيم فعال للاتصال ؛و الذي يمكن عن طريقه إيصال المعلومات والتوجيهات من عضو في الهيكل التنظيمي إلى عضو آخر , وقد يكون من أعلى السلطة إلى الأسفل أو من الأسفل إلى الأعلى أو في مستوى أفقي بين المرؤوسين ؛ وإذا كانت الاتصالات مهمّة في المؤسّسات غير التعليمية لأنّها تمثّل عملية أساسية من العمليات الإدارية بهذه المؤسّسات , فهي أكثر أهمّية في المؤسّسات التعليمية حيث لا تمثّل عملية إدارية فقط بل إنّها تمثّل الوسيلة التعليمية في المدرسة , بالإضافة إلى أنّها أداة لتحقيق المهامّ الإدارية.

وهذا يمثّل في الحقيقة أساس كلّ جهد ونشاط وقول وعمل وكلّ شيء يحدث داخل المدرسة." لذا تأخذ الاتصالات في المؤسّسات التعليمية طابعا مميزا وخاصّا لا يمكن أن يوجد بصورة مماثلة في أية منظمة أخرى"(محمد حسنين العجمي، 2007، ص141).

وتعتبر الاتصالات من أهمّ جوانب العمل الإداري في جميع المؤسّسات بصفة عامة، والمؤسّسات التعليمية خاصّة. حيث أنّ جميع الجهود والأنشطة المدرسية لا يمكن أن تتم إلا من خلال الاتصالات، فعملية التدريس، وعملية التخطيط، والتوجيه،والإشراف،والتقويم... وغيرها تعتبر في جوهرها عملية اتصالات إدارية في المدرسة.

إن الاتصالات الإدارية تمثّل الدورة الدموية للنظم التعليمية والتربوية في المدرسة، حيث يتوقف تماما تحقيق أهدافها التعليمية والتربوية على عمليات الاتصال، والمدير الناجح في عمله يحتاج من اجل تحقيق أهداف المدرسة إلى اتصال فعال يضمن انسيابية المعلومات واستمراريتها بين المستويات التنظيمية المختلفة في المؤسّسة المدرسية، إذا فالمدير الماهر عليه أن يجيد أساليب الاتصال المختلفة والتسلح بالأدوات المناسبة له، كما أنّ مهارات الاتصال من المداخل الهامة التي لا يمكن لمدير المدرسة أن يتجاهلها أثناء أداء وظيفته بل إنّها من المتطلّبات الرئيسية لنجاحها، وأيّ خطة يعدها المدير لا يمكن أن تؤتي أكلها مهما كانت محكمة إلا إذا صاحبها نظام اتصالي كفيل بنقل البيانات والمعلومات اللازمة لفهمها من جانب القائمين على تنفيذها، لأنّها تشكّل صلب العملية الإدارية.

ومن خلال هذا البحث نسعى إلى تسليط الضوء على ما يجري داخل مؤسّسات التعليم المتوسط من مهارات اتصالية من طرف مدير المؤسّسة في ضوء مهامّه الإدارية ؛من خلال القرار الوزاري 175المؤرخ في 1992/03/02 الذي يحدّد مهامّ مدير المتوسطة. ولتحديد درجة هذه الممارسة تمّ تبني الفرضيات التالية :

الفرضية الأولى: يمارس مديرو التعليم المتوسط مهارات الاتصال الكتابي من خلال بعض مهامّهم الإدارية (التخطيط، التنظيم، اتخاذ القرار، المتابعة والتقويم) بشكل كبير.

الفرضية الثانية: يمارس مديرو التعليم المتوسط مهارات الاتصال الشفهي من خلال بعض مهامّهم الإدارية (التخطيط، التنظيم، اتخاذ القرار، المتابعة والتقويم) بشكل كبير.

الفرضية الثالثة: يمارس مديرو التعليم المتوسط مهارات الاتصال التكنولوجي من خلال بعض مهامّهم الإدارية (التخطيط، التنظيم، اتخاذ القرار، المتابعة والتقويم) بشكل كبير.

الفرضية الرابعة: يمارس مديرو التعليم المتوسط مهارات الاتصال الرمزي من خلال بعض مهامّهم الإدارية (التخطيط، التنظيم، اتخاذ القرار، المتابعة والتقويم) بشكل كبير.

الفرضية الخامسة: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة ممارسة مديري التعليم المتوسط لمهارات الاتصال ؛تعزى لمتغير المؤهل العلمي.

الفرضية السادسة: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة ممارسة مديري التعليم المتوسط لمهارات الاتصال ؛تعزى لمتغير الأقدمية.

2. أهمّية الدراسة:

تعتبر عملية الاتصال أحد الركائز الأساسية التي تقوم فيها فعالية الإدارة المدرسية ويتحقق بها الانسجام في الوسط المدرسي، وتكمن أهمّية هذه الدراسة في كونها تبحث عن درجة ممارسة مديري التعليم المتوسط لمهارات الاتصال المختلفة أثناء أدائهم لمهامّهم الإدارية المختلفة.

وتبرز هذه الدراسة أهمّية الاتصال على مستوى المتوسطات، ومعرفة دوره في تحقيق أهداف الأنشطة المدرسية ؛ خاصّة في مجالات التخطيط والتنظيم واتخاذ القرار وكذا المتابعة والتقييم،وفق المنظومة التشريعية الجزائرية.

كما أنّ تنوع أساليب الاتصال داخل المتوسطات (الشفهي،والكتابي،الرمزي،التكنولوجي) وتفعليه يؤدي إلى وجود علاقة وطيدة وتفاهم بين العاملين،ويساعد على توضيح أدوار الأساتذة والعاملين بما يتماشى وأهداف المنظومة المدرسية خاصّة ؛والسلطة القائمة عامة.

وقياس درجة ممارسة مديري التعليم المتوسط لهذه المهارات؛يساعد على تشخيص حاجاتهم إلى التكوين المعمق في هذا المجال قبل التحاقهم بالخدمة ؛أو تدريبهم عليها خلال أيام التكوين المستمر عل الممارسة الهادفة والمفيدة للاتصال الإداري ؛إن على المستوى الداخلي أو على المستوى الخارجي.بما يرفع من القيمة الاجتماعية للمدرسة الجزائرية،ويحفز العاملين على الأداء الحسن،ويقلل من التداخل في الأدوار. وبذلك يتحقق تطوير عمل مدير المتوسطة أثناء قيامه ببعض المهامّ الإدارية،والتي نحصرها في بحثنا هذا في (التخطيط، التنظيم، اتخاذ القرار، المتابعة والتقويم).

3. أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، أهمّها:

. قياس درجة ممارسة مديرو التعليم المتوسط لمهارات الاتصال في ضوء بعض مهامّهم الإدارية في مدينة المسيلة.

. التعرّف على سبل تطوير المهارات الاتصالية لمدير المتوسطة في ضوء مهامّه الإدارية.

. الكشف عن دور تنوع قنوات الاتصال أثناء قيام مدير المتوسطة بمهامّه الإدارية.

4. الكلمات المفتاحية:

4-1- **مهارات الاتصال:** وهي الآلية التي يتم من خلالها نقل وتبادل المعلومات والأفكار بين طرفين أو أكثر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وباستخدام وسيلة أو عدّة وسائل اتصالية.

وتتحدّد في هذه الدراسة على ضوء استجابات المديرين على استبيان " ممارسة مديري التعليم المتوسط لمهارات الاتصال في ضوء مهامّهم الإدارية " المعد لغرض الدراسة كما يلي:

الدرجة التي يحصل عليها المستجيب(المدير) على أداة الدراسة الخاصّة بمهارات الاتصال الإداري.

4-2-تعريف مدير المتوسطة:

وهو" القائد التربوي ورأس الهرم الإداري لمؤسّسته يتصف بخصائص ومهارات تتطلّبها طبيعة الأدوار التي يتوقع منه ممارستها في إدارته لبلوغ الأهداف المنشودة في أجواء من الأمن والارتياح.

ويمكن القول أنّ المدير هو الذي يمارس وظيفته المخولة له قانونا على رأس المتوسطة ويتم تعيينه وفق نصوص التشريع المدرسي من طرف الهيئة الوصية(مديرية التربية)و يقوم بالأعمال الوظيفية لتنفيذ المهمّات المخولة له عن طريق الاتصال مع العاملين معه.

4-3-تعريف الاتصال الإداري: هو تلك العملية الدينامية التي يؤثر فيها شخص على مدركات شخص آخر من خلال وسائط مستخدمة بأشكال وطرق رمزية أو شفهية أو كتابية.

4-4 -أمّا الاتصال في إدارة المتوسطة فهو: نقل المعلومات والأفكار بصفة مستمرة بين الأفراد وبين بعضهم البعض في كلّ المستويات التنظيمية بين المديرين وبين الإدارة العليا وبين الموظّفين والمفتشين، أي هي شبكة تربط كلّ أعضاء التنظيم ".(حتفي عبد الغفار،2002،ص142) أو هو:

العملية التي يتم عن طريقها انتقال المعرفة من شخص لآخر حتّى تصبح مشاعة بينهما، وتؤدي إلى التفاهم بين هذين الشخصين أو أكثر وبذلك يصبح لهذه العملية عناصر ومكونات واتجاه تسير فيه وهدف تسعى إلى تحقيقه ومجال تعمل فيه وتؤثر فيه".(عبد الحافظ محمد سلامة،1998،ص14)

.5- أهمّية الاتصال في المتوسطة:

ومن خلال هذه التعاريف السابقة ؛ تتضح أهمّية الاتصالات الإدارية في المتوسطات، وبالأخص مع كبر حجمها، وبعدها عن بعضها البعض لكون الاتصال هو عصب العمليات الإدارية وأساسها،و يعتبر من المتطلّبات الحتمية لأي تنظيم مهما كان نوعه، وكذلك فإنّ الاتصالات الإدارية لا بدّ لها من قوانين ومبادئ تحكمها لتسييرها بفعالية نحو الاتجاه الصحيح وتحقيق فعاليتها.

إن لعملية الاتصال أهمّية كبرى في جميع المؤسّسات المختلفة بشكل عام والمؤسّسات التعليمية على وجه الخصوص، لأنّها النواة الأولى لأي مجتمع من المجتمعات، و الاتصالات المدرسية متنوعة فهناك اتصالات داخلية على مستوى المتوسطات ؛ كتلك التي بين المدير والأستاذ، واتصالات خارجية تتم بين مديري

المتوسطات، وبين مديري المدارس الابتدائية وباقي المتوسطات ؛ومديرية التربية،أو بينه وبين أولياء التلاميذ والجماعات المحلية. وترجع أهمّية الاتصال في المتوسطة باعتباره الأداة الرئيسية في أحداث التكامل بين الوظائف الأساسية للموظفين والتنسيق فيما بينها والتي تتجلى فيما يلي:

- إنّ الاتصال يلعب دورا أساسيا في تناول مشكلات داخل المتوسطة ويسهل طرق علاجها.
- إن الاتصال وسيلة فعالة في إحداث التأثير المطلوب على أفراد الأجهزة التنفيذية من اجل انجاز الأهداف المطلوبة.
- إنّ الاتصال يمثّل جزءا رئيسيا من مهامّ جميع المسؤولين في الجهاز الإداري داخل المتوسطة مما ينشأ عنه الحاجة إلى تدريب القيادات الإدارية التي تحتاج إلى تدريب وضمان الكفاية الإدارية المطلوبة. (محمد حسنين العجمي، 2007،ص144)
- تطوير العلاقة بين المتوسطة والمجتمع المحلي ،واتخاذ القرارات الإدارية الرشيدة.
- نقل المعلومات والأوامر والأفكار المتعلّقة بطبيعة العمل.(عبد الحافظ محمد سلامة،1998، ص109)

6-أهداف الاتصال في المتوسطة :

أ- يساعد المدير على نقل أفكاره إلى الأساتذة والموظّفين ،ويساهم في عملية الإعلام , والإقناع.

ب- يساعد على تعلّم واكتساب مهارات جديدة بما يحقق النموّ المهني للموظّفين.

ت- الحصول على معلومات جديدة تساعده على اتخاذ القرارات بشكل مفيد ومقبول.(عبد الحافظ سلامة، 2007،ص-ص16-17)

ث- نقل الأوامر من القادة إلى المرؤوسين.

ج- توصيل المعلومات والبيانات والتقارير المطلوبة إلى القادة كي يتمكنوا ا من اتخاذ القرارات الرشيدة على ضوءها.(محمد حسنين العجمي، 2007،ص146)

7-وظائف الاتصال الإداري في المتوسطة:

يؤدي الاتصال في المتوسطة من الناحية الإدارية والسيكولوجية وظائف عدّة ضمن ما قام به كلّ من "وليام سكوت" و"تيرنس ميتشل" لذلك تصنف وظائف الاتصال الإداري على هذا المبدأ إلى ما يلي:

7-1-الجانب العاطفي: تتكون شبكات الاتصال عادة من أفراد يتناقلون فيما بينهم حاجات وجوانب عاطفية...ويعد الاتصال احد وسائل إشباع لهذه الحاجات، حيث يستطيع العاملون عن طريق الاتصال التعبير عن حالات الشعور بالإحباط والرضا لبعضهم وللأداة، زيادة على ذلك يوفر الاتصال للأفراد إمكانية مقارنة الاتجاهات وعلاج الغموض والالتباس المرتبط بوظائفهم، ومجالات الصراع بين المجموعات والأفراد.

7-2-الدافعية: حيث يساهم الاتصال في عملية دفع وتوجيه وتقويم العاملين في المتوسطة،والاتصال هو الوسيلة الرئيسية المتاحة للدافعية بالنسبة للمديرين وبالتالي تكون كلّ النشاطات القيادية مثل إصدار الأوامر ومكافأة السلوك والأداء ومراجعة وتقويم الأداء وتخصيص المهامّ والوظائف وتدريب وتنمية المهارات الاتصالية. والى الجانب الوظائف العاطفية والدافعية للاتصال يقوم بوظيفة حيوية في مجال المعلومات

بالنسبة لاتخاذ القرارات وهو في هذه الحالة ذو توجه تقني حيث يركز على معالجة المعلومات وسبل تحسين قنوات الاتصال.

7-3 -الرقابة:هناك ارتباط وثيق بين الاتصال والبنية التنظيمية، حيث تحاول المنظمات دائما التحكم في نشاطات الأفراد من خلال استخدام قنوات الاتصال الرسمية. كما أنّ اغلب البرامج أو إجراءات التوظيف المقررة تشمل عنصر الاتصال، أي أنّها تتطلّب أن يتم اتخاذ القرارات وأداء الأعمال عن طريق الاتصالات الرسمية، و على ذلك تمثّل قنوات الاتصال الرسمية وسيلة تنظيمية أساسية للرقابة.(اندرودي سيزلاقي، 1991، ص361)

8-أنواع الاتصال في الإدارة:

إن عملية تبادل الأفكار والمهارات بين الناس عن طريق الاتصال لا تأخذ شكلا واحد بل تأخذ عدّة أشكال وأنواع، وهذه الأخيرة تختلف باختلاف ظروف الاتصال وسنتطرّق إلى هذه الأنواع حسب الاتجاه وحسب درجة التأثير، وهي كالأتي:

8-1- أنواع الاتصال من حيث الوسائل المستخدمة: يستخدم مدير المتوسطة أنواع مختلفة للاتصال ؛ يمكن تقسيمها إلى:

8-1-1- الاتصال اللفظي:

هو استعمال اللغة بأشكالها المختلفة، ويتميز باستخدام الكلمات للتفاعل والتبادل مع الآخرين،ويعتمد هذا النوع من الاتصال على اللفظ والكلمات كوسيلة تمكن المدير من نقل رسالته إلى مستقبله، سواء كانت مكتوبة مثل المذكرات والرسائل أو غير مكتوبة مثل المحاضرات والندوات...الخ. (رضوان زقار2008،ص99)

8-1-2-الاتصال غير اللفظي:

يعتمد الاتصال غير اللفظي على اللغة غير اللفظية وهي تلك المعاني والتعبيرات التي يستخدمها المدير في تعامله مع الآخرين كالرموز والإشارات والإيماءات والمظاهر الانفعالية مثل صفا الوجه والغضب وهز الرأس دلالة على الموافقة وغيرها؛ ويشمل الاتصال الإيمائي والاتصال البصري والوضعي واللمسي، وكلّها تؤكد الاتصال اللفظي أو تناقضه.(رضوان زقار، 2008،ص100)

8-2-الاتصال من حيث درجة رسميته: يمارس مدير المتوسطة الاتصال من حيث رسميته؛بطريقتين:

8-2-1- الاتصال الرسمي:

حيث يعبر الاتصال الرسمي عن الاتصالات التي تتم من خلال قنوات الاتصال المحدّدة في المتوسطة وبالوسائل المحدّدة وفي الوقت المحدّد، وتعتمد على المذكرات والتقارير والاجتماعات الرسمية.

8-2-2- الاتصال غير الرسمي:

الاتصال غير الرسمي هو الاتصال الذي يتم التفاعل فيه بطريقة غير رسمية بين العاملين أثناء تبادل الأفكار ووجهات النظر في الموضوعات التي تهتم وتتصل بعملهم، أو تبادل المعلومات من خارج منافذ الاتصال الرسمي مثل اللقاءات غير الرسمية في أية مناسبة من المناسبات كأن يتقابل زميلان في حفل أو معرض ويتبادلان وجهات النظر في موضع يهمهمّا.(عبد الحميد عطية وآخرون،2004،ص175)

3-8-أنواع الاتصال من حيث اتجاهه:

هناك ثلاثة أنواع للاتصال من حيث اتجاهه، وتبدوا هذا الأنواع واضحة وجلية في مجال الإدارة وهي:

8-3-1-الاتصال الهابط:

يعد الاتصال الهابط من أقدم أنواع الاتصال المنظمي، وتعتبر المدرسة الكلاسيكية هذا النوع من الاتصال وسيلة النظام لنقل أوامر وتعليمات إدارته للعاملين فيه.(هاني عبد الرحمان الطويل،2006،ص234)

يعبر هذا النوع عن اتصال مدير المدرسة بالعاملين، وعادة ما يأخذ شكل النشرات والتعليمات والتوجيهات.

8-3-2-الاتصال الصاعد:

يرتبط الاتصال الصاعد بالاتصالات التي تحدث بين الإدارة والعاملين من خلال المستويات الإدارية المختلفة.(محمد حسنين العجمي،2007،ص152)

8-3-3-الاتصال الأفقي:

يسمى هذا النوع الاتصال الصاعد الهابط،حيث يسير فيه التفاعل في اتجاهين بين شخصين وفي هذا النوع من الاتصال يكون تبادل الأدوار بين المرسل والمستقبل، وتتم عملية نقل المعلومات في شكل اخذ ورد.

وهذا النوع من الاتصالات يوفر الوقت والجهد ويزيد من فاعلية النظام ويوفر دعما اجتماعيا وعاطفيا خاصّة في حالة تلاقي وجهات نظر المتصلين.(هاني عبد الرحمان صالح الطويل،2006، ص236)

9-أساليب الاتصال في إدارة المتوسطة :

تهتم إدارة المتوسطة بالاتصال لأنه يعتبر ضرورة لا غنى عنها لنجاح العمل في الإدارة المدرسية من خلال المهامّ التي يقوم بها المدير.ويمكن تصنيف هذه الوسائل تبعا لطريقتها، وبصفة عامة فإنّ الاتصالات الإدارية متنوعة، باستغلالها لوسيلة أو أكثر من وسائل الإحساس الخمسة (السمع، الرؤية، اللمس،...)، ويمكن تصنيفها إلى أسلوبين:

9-1- أسلوب الاتصالات الشفهية: لا يمكن إغفال أهمّية الاتصالات الشفهية التي تجعل من المدير والأساتذة في تفاعل مباشر وجها لوجه، ومنها: الأحاديث الشفوية المباشرة – الاجتماعات والندوات- المقابلات الشخصية، وهو: أسلوب ضروري لا يستغني عنه مديرو المدارس، حيث تكون الفرصة لتبادل وجهات النظر بين المدير والمرؤوسين، وحتّى تكون الاجتماعات فعالة باعتبارها أكثر رسمية، يجب أن:

يحدد جدول الأعمال مسبقا، ويشاك في إعداده كلّ الأعضاء المعنيين زمنهم المدير.

أن يتناول الاجتماع موضوعات تهم المشاركين.

إن الاجتماعات المدرسية لها أهمّية كبيرة، وتعد من أفضل أنواع الاتصالات داخل المدرسة، نظرا لتعدد العوامل التي تظهر أهمّيتها نذكر منها:

. تعتبر الوسيلة الرئيسة لتنفيذ جميع الجوانب الإدارية والتربوية. فمن خلالها يتم تنفيذ الكثير من جوانب التخطيط.

. تساعد على تنمية العمل الجماعي والمشاركة داخل المدرسة، التي تقوم على تضافر جميع الجهود من اجل تحقيق الأهداف.(إسماعيل محمد دياب، 2001، ص248)

2-9 -أسلوب الاتصالات الكتابية، والتي نذكر منها:المطبوعات – النشرات والأوامر - الشكاوى المكتوبة – السجلات المدرسية...و سنتطرّق إلى أهمّ هذه العناصر وأكثرها شيوعا في مدارسنا، ونذكر منها:

9-2-1- **التقارير**: هي من الأساليب الهامة التي تقوم بدور كبير في نقل المعارف والأفكار والمعلومات إلى المستويات الإدارية العليا، وتختلف أغراضها والهدف منها. فهي عادة يومية أو شهرية مثل التقرير اليومي للمدير، أو التقرير اليومي لأعوان الأمن..(رشيد، اورلسان، 2000،ص23)

9-2-2-**المذكرات:** نوع من التقارير صغيرة الحجم،وهي شائعة الاستخدام في مختلف المؤسّسات الحكومية والتجارية، وعادة ما تعد هذه المذكرات إلى من يشغلون المناصب العليا "الإدارة المركزية"و تهدف إلى توصيل معلومات أو استفسار حول القرارات أو القوانين،أو مجالات تطبيقها...

و المذكرة قد ترفع إلى شخص معيّن (مدير التربية أو وزير التربية)أو إلى جهة معيّنة ا والى لجنة معيّنة،أو إلى تنظيم معيّن له وضع قانوني لمجلس إدارة المؤسّسة.(الطاهر،أجغيم،2006، ص604)

9-2-3-**السجلات:** أهمّها مجالس التعليم، وسجل مجالس التنسيق الإداري، وسجل مجلس التربية والتسيير وسجل الدخول والخروج،....حيث تدون فيها أشغال كلّ هذه المجالس، والتوصيات، ولاقتراحات، والنشاطات التي تقوم بها.

9-2-4-**المراسلات الإدارية**: هي أكثر الوسائل شيوعا، خاصّة بين الإدارة المدرسية والمحيط الخارجي، وتخضع لقواعد أساسية يمكن إدراجها في الجانب القانوني والتنظيمي مثل: احترام السلم الإداري، التقيد بالاختصاص، المحافظة على السرية...،حيث تظهر أهمّية المراسلات الإدارية في كونها تساعد على:

- نقل أو توصيل بيانات أو معلومات معيّنة من مدير المدرسة إلى بقية الموظّفين بصورة كتابية للاطلاع عليها.

(قرارات، توصيات، نتائج الاجتماعات...)

- وسيلة مهمّة لتعريف الجهات الإدارية العليا بالعديد من الأمور والجوانب التعليمية والإدارية

- أداة رئيسية لتسهيل عملية اتخاذ القرارات، وذلك نتيجة لان اغلب التقارير تتضمن العديد من البيانات الهامة وبعض جوانب التقويم للعمليات التعليمية والإدارية.(إسماعيل محمد دياب،2001،ص268)

10- المهارات اللازمة لمدير المتوسطة:

باعتبار مدير المتوسطة قائدا تربويا ولكي ينجح في مهامّه لا بدّ أن تتوفر فيه مجموعة من المهارات الأساسية هي: مهارات فنّية، ومهارات إنسانية؛ ومهارات إدراكية.

1.10- المهارات الفنّية:

وهي بها المعرفة المتخصصة في فرع من فروع العلم، والكفاءة في استخدام هذه المعرفة أفضل استخدام بشكل يحقق الهدف بفعالية (محمد حسين العمايرة، 1999،ص 103). وتتعلّق المهارات الفنّية بالطرائق والأساليب التي يستخدمها المدير في ممارسته لعملة، ومعالجته للمواقف التي يصادفها، أي أنّها ترتبط

بالجانب العملي في الإدارة وما تستند إليه من حقائق ومفاهيم وأصول علمية. ومن الأعمال التي تتطلّب المهارات الفنّية في الإدارة رسم السياسة العامة، وإعداد الميزانية، وتقدير التكلفة، ووضع نظام جيد للاتصال والعلاقات العامة، وتنظيم الاجتماعات، وكتابة التقارير، واختيار العاملين، وتوزيع العمل، وتحديد الاختصاصات، وتنظيم الإشراف الفنّي، والتجديد التربوي، وتطوير العملية التربوية في مجالاتها المختلفة. (محمد منير مرسي،2001،ص161).

وأنّ امتلاك مدير المتوسطة لتلك المهارات سيمكنه من القيام بدوره في متابعة سير العمل وتقديم التغذية الراجعة المناسبة وقيادة المؤسّسة التربوية نحو التحديث والتطوير المستمر ويمكن تمكين القادة التربويين من هذه المهارات عبر برامج تدريبية مصممة خصيصا لتأهيلهم وتهيئتهم للقيام بها.

210- **المهارات الإنسانية:**

وتعني قدرة القائد على التعامل مع مرؤوسيه وتنسيق جهودهم وخلق روح العمل الجماعي بينهم؛ وهذا يتطلّب وجود الفهم المتبادل بينه وبينهم ومعرفته لآرائهم وميولهم واتجاهاتهم، وهذه المهارة تعكس قدرة القائد على التعامل مع الأفراد وهي أكثر صعوبة من المهارة الفنّية التي تعكس رغبة القائد في التعامل مع الأشياء لأن ما دخل في مجال العلاقات الإنسانية هو أكثر تعقيدا وتغييرا وتنوعا من المجالات الفنّية وأن التعامل مع الأفراد أكثر صعوبة في التعامل مع الأشياء. ومن مظاهر هذه المهارات عند القائد التربوي ما يلي:

- الموازنة بين دور القائد تجاه رؤسائه ودوره تجاه مرؤوسيه.
- مراعاة الدوافع والحاجات لدى المرؤوسين.
- احترام قيم الآخرين واتجاهاتهم.
- عدم تحدّي العادات والتقاليد والعمل على تطويرها بطريقة غير مباشرة.
- إجادة الاتصالات مع الآخرين بالتفرغ للاستماع إليهم وتجنب سرعة الاستنتاج والحكم.
- اختيار القنوات المناسبة للاتصال والوقت الملائم لذلك.
- جعل الآخرين يشعرون بانتماء القائد إلى مؤسّسته وإلى العاملين فيها.
- اعتماد نظام من الحوافز بدل التركيز على وسائل القمع وأصناف العقوبات.
- الصبر والترتيب في مواجهة التحديات.
- الالتزام بمبدأ المشاركة واحترام الحرّيات.
- البساطة والوضوح في التعبير والتأني والتفهم في الردود (سلطي عريفج، 2001 ص 102)

ويتصف الإداري المتمتع بمهارات إنسانية متطوّرة بأنّه إنسان يعرف نفسه ويحدّد نقاط ضعفها وقوتها مدرك لاتجاهاته ومسلماته، ويعيش أمنا ذاتيا، واثقا بمقدرته على التعامل مع الأفكار والبدائل المتجددة، إضافة إلى أنه قادر على الإسهام من خلال تعامله الإنساني مع العاملين معه في إحداث تغيير منظم في كلّ من النظام والعاملين فيه (عياصرة، علي أحمد عبد الرحمان، 2006، 28).

ويمكن القول أنّ المهارات الإنسانية مهمّة وضرورية للعمل في كلّ المنظمات، وأنها في الإدارة التعليمية هي الأهمّ، نظرا للتنوع الكبير في طبيعة الأفراد الذين يتعامل معهم رجل الإدارة التعليمية، لذلك ينبغي عليه أن ينمي هذه المهارات لديه، بحيث يصبح قادرا على التعامل مع مرؤوسيه بنجاح، وجعلهم يتعاونون معه، ويخلصون في العمل، فممارسة هذه المهارات من شأنها أن تدفع العاملين إلى العمل بحماس وقوة دون قهر أو إجبار، وهي التي تساهم في بناء الروح المعنوية للعاملين على أساس قوي ومتين، وتحقق لهم الرضا النفسي، وتولد بينهم الثقة والاحترام المتبادل.

-الجانب الميداني:

نستعرض نتائج الدراسة التي توصّلنا إليها ونناقشها في ضوء وتساؤلاتها، والتي كان الهدف منها التعرّف على مدى ممارسة مديري التعليم المتوسط في بلدية المسيلة للمهارات الاتصالية، حيث اعتمد على المنهج الوصفي أسلوبا والاستبيان أداة ؛و تمّ استخدام الحزمة الإحصائية في العلوم الاجتماعية (spss)في معالجة بيانات الدراسة ولتفسير النتائج تمّ تبني المعيار التالي حسب مقياس "ليكرت" الخماسي من:

يمارس المهارة بدرجة عالية جدا(5ن) وبدرجة عالية (4ن) وبدرجة متوسطة (3ن) وبدرجة منخفضة(ن2) و(1ن)بدرجة منخفضة جدا؛ وعليه تمّ اعتماد المقياس التالي: العبارات الحائزة على الدرجات بين (0-20) تعتبر المهارة الاتصالية قليلة جدا،و(20-40)قليلة، بينما (40-60)متوسطة، و(60-80)كبيرة، وكذلك بين (80-100) تعتبر كبيرة جدا. وسيتم عرض النتائج التي توصّلنا إليها ومناقشتها، ووضع تفسير لكلّ مهارة على حدّة.

1- عرض ومناقشة النتائج على ضوء فرضيات الدراسة

-النتائج التي تتعلّق بقياس درجة ممارسة مديري التعليم المتوسط للمهارات الاتصالية من خلال بعض مهامّهم الإدارية (التخطيط، التنظيم، اتخاذ القرار، المتابعة والتقويم).

وقد تمت معالجة هذه الفرضية إحصائيا بحساب المتوسط الحسابي، الانحراف المعياري، والوزن النسبي، والترتيب.كما يوضحه الجدول رقم (1)

الجدول رقم (1):قيمة المتوسط الحسابي والانحراف المعياري الوزن النسبي والترتيب لمجالات درجة ممارسة مديري التعليم المتوسط للمهارات الاتصالية

الرقم	المجالات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسب المئوية	الترتيب
01	مهارات الاتصال الشفهي	55.00	7.125	78.57	1
02	مهارات الاتصال الكتابي	58.14	7.870	77.52	2
03	مهارات الاتصال الرمزي	38.00	5.192	58.46	3
04	مهارات الاتصال التكنولوجي	26.73	7.139	44.55	4
	الدرجة الكلّية للأداة	**177.91**	**18.121**	**65.89**	\\\

متوسط درجة الموافقة على الفقرات المقترحة في المجالات ككلّ قد بلغ المتوسط الحسابي (177.91)و انحراف معياري(18.121)،وبلغ الوزن النسبي للمجالات ككلّ (65.89) وهي تمثل درجة كبيرة، ولمعرفة أيُ المجالات أكثر تأثيرا بمدى ممارسة مديري التعليم المتوسط لمهارات الاتصال في بلدية المسيلة، ويتضح من الجدول أعلاه أنّ مجالات الاستبيان تتفاوت من حيث قوتها،وسيتم ترتيبها تنازليا حسب درجة ممارستها كالتالي:

1- مهارات الاتصال الشفهي: حيث وصلت النسبة المئوية للاستجابة (78.57%)بمتوسط الحسابي (55 و انحراف معياري(7.12)، وهي درجة ممارسة كبيرة.

2- مهارات الاتصال الكتابي: حيث وصلت النسبة المئوية للاستجابة (77.52%) بمتوسط الحسابي (58.14) و انحراف معياري (7.87) وهي درجة ممارسة كبيرة.

3- مهارات الاتصال الرمزي: حيث وصلت النسبة المئوية للاستجابة (58.46%) بمتوسط الحسابي (38) وانحراف معياري(5.19) وهي درجة ممارسة متوسطة.

4- مهارات الاتصال التكنولوجي:حيث وصلت النسبة المئوية للاستجابة (44.55%)بمتوسط الحسابي(26.73)و انحراف معياري(7.13) وهي درجة ممارسة قليلة.

وتبين النتائج أنّ ممارسة مديري التعليم المتوسط للمهارات الاتصالية بدرجة كبيرة تعود لمهارات الاتصال الشفهي والكتابي، بينما كانت متوسطة في مهارات الاتصال الرمزي والتكنولوجي.

وتعود ممارسة مهارات الاتصال الشفهي والكتابي التي بينتها نتائج الدراسة الحالية لعدّة أسباب نذكر؛منها:

- كثرة المهامّ الإدارية الكتابية والشفهية جعلت المدير يمارس مهارات الاتصال في هذا الجانب بشكل كبير.

- جل اللقاءات التي يعقدها مدير المتوسطة مع المرؤوسين تكون قنوات الاتصال بينهما إمّا مقابلة شفهية، وإما تقارير كتابية.

أمّا بالنسبة لحصول مهارات الاتصال الرمزي والتكنولوجي على درجة متوسطة حسب رأينا، فإنّ ذلك يعود إلى عدم اهتمام المديرين بأدوات الاتصال الرمزي وكذا أدوات الاتصال التكنولوجي.

ويعود حصول مهارات الاتصال الشفهي على المرتبة الأولى إلى اللقاءات والمقابلات اليومية مع المرؤوسين وتبين أنّها تظهر بشكل كبير أثناء قيامه بمهمّة التنظيم وتكون بدرجة أقلّ أثناء قيامه بمهمّة التخطيط.

وأمّا مهارات الاتصال الكتابي فقد ظهرت بشكل كبير أثناء قيام المدير بمهمّة اتخاذ القرار وهذا يعود إلى القرارات الكثيرة والمستعجلة التي يتخذها في مؤسّسته.

وبخصوص حصول مهارات الاتصال الرمزي على درجة متوسطة فقد يعود حسب رأينا إلى غياب الاهتمام بالتعبير الرمزي وتظهر بشكل أقلّ عند قيام المدير بمهمّة المتابعة والتقويم.

أمّا مهارات الاتصال التكنولوجي التي احتلت المرتبة الأخيرة من حيث درجة ممارستها فقد تعود حسب رأينا إلى عدم امتلاك مدير المتوسطة القدرة على استعمال الوسائل التكنولوجية،أو بسبب عدم تكوينه في مجال تكنولوجيات الاتصال، وتظهر بشكل كبير أثناء قيامه بمهمّة التنظيم.

وبدراسة أي فقرات أكثر تأثرا بمجالها تمّ تناول كلّ مجال على حدة كما يلي:

1- النتائج المتعلّقة بدرجة ممارسة مديري التعليم المتوسط لمهارات الاتصال الكتابي في ضوء مهامّهم الإدارية(التخطيط، التنظيم، اتخاذ القرار، المتابعة والتقويم.

وقد تمّ حساب المتوسطات الحسابية والنسب المئوية للاستجابات على فقرات هذا المجال الخاصّة بدرجة ممارسة الاتصال الكتابي لدى مديري التعليم المتوسط في بلدية المسيلة كما يلي:

الجدول رقم(2):قيمة المتوسط الحسابي والدرجة الكلّية والترتيب لمجال مهارات الاتصال الكتابي

مجال المهام الإدارية	الرقم	العبارات	المتوسط الحسابي	الدرجة الكلّية	الترتيب
التخطيط	01	تشارك العاملين (المرؤوسين) في صياغة الأهداف المراد تحقيقها كتابيا	3.95	79	7
	02	تعلّق في لوح الإعلانات الخطط المقترحة	3.72	74.4	11
	03	توثق الخطط بطريقة رسمية معلنة	4.04	80.8	5
	04	تسجل الأهداف المنشودة بشكل واضح لدى جميع المرؤوسين	4.03	80.6	6
التنظيم	05	تفوض كتابة من يناوب عنك لمراجعة التقارير وانجازها لك	3.04	60.8	15
	06	تساعد كتابيا الأساتذة في تنظيم وثائقهم التربوية	3.90	78	9
	07	تفوض كتابيا بعض المهامّ إلى العاملين كلّ حسب قدراته وإمكانياته	3.5	70	13
	08	توثق المسؤوليات بطريقة رسمية معلنة	4.09	81.8	3
اتخاذ القرار	09	توثق القرارات المتخذة بطريقة تشاركيه	3.95	79	8
	10	تستعمل سجلا خاصّا لتبليغ القرارات المتخذة إلى المعنيين	4.63	92.6	1
	11	تحافظ على التعليمات في ملفات خاصّة كي تعود إليها عند اتخاذ القرارات	4.40	88	4
المتابعة والتقويم	12	تتابع التقارير الكتابية بصورة مستمرة مع المرؤوسين	4.13	82.6	2
	13	تصوغ وتسجل خطط إجرائية بديلة لمواجهة النقائص بصورة تشاركية	3.90	78	10
	14	توثق ما يجب قياسه مع العاملين	3.59	71.8	12
	15	تتواصل مع أولياء التلاميذ كتابيا في كلّ عملية تقييم خاصّة بأبناهم	3.27	65.4	14
الدرجــة الكلّية للمجــال			58.14	77.52	///

ويتضح من الجدول رقم(2) أنّ متوسط درجة الاستجابة لدى عيّنة الدراسة على هذا المجال ككلّ بلغت (58.14)، وبلغت النسبة المئوية لهذا المجال (77.52)وهي درجة كبيرة، وقد تفاوتت فقرات المجال من حيث قوتها لدرة ممارسة مديري التعليم المتوسط لمهارات الاتصال الكتابي في ضوء قيامهم بالمهامّ الإدارية (التخطيط، التنظيم، اتخاذ القرار، المتابعة والتقويم)، وذلك وفقا لمقادير النسبة المئوية لمعرفة الفقرات التي تمارس بدرجة أكثر ؛وهذا يعني أنّ مديري التعليم المتوسط ببلدية المسيلة يمارسون مهارات الاتصال الكتابي بدرجة كبيرة، حيث كانت واضحة بشكل كبير في مهمّة اتخاذ القرار بنسبة (86.53) بمتوسط حسابي تراوح بين (3.9و4.6) أي بدرجة كبيرة جدا، وحصول مجال مهمّة التخطيط على نسبة (78.71) بمتوسط حسابي تراوح بين (3.9 و4.4) ؛ أي بدرجة كبيرة، ثمّ مجال مهمّة المتابعة والتقويم بنسبة (74.45) بمتوسط الحسابي (3.2 و4.1)و أي بدرجة كبيرة، ثمّ مجال مهمّة التنظيم بنسبة (72.65) بمتوسط حسابي تراوح بين (3.4 و4.3)وكانت الدرجات متجمعة نحو متوسطها وبدرجة كبيرة أيضا.

1-2- النتائج المتعلّقة بدرجة ممارسة مديري التعليم المتوسط لمهارات الاتصال الشفهي في ضوء مهامّهم الإدارية (التخطيط، التنظيم، اتخاذ القرار،المتابعة والتقويم).وقد تمّ حساب المتوسطات الحسابية والنسب المئوية للاستجابات على فقرات هذا المجال الخاصّة بدرجة ممارسة الاتصال الكتابي لدى مديري التعليم المتوسط في بلدية المسيلة وذلك في ضوء قيامهم بالمهامّ الإدارية كما يلي:

الجدول رقم(3):قيمة المتوسط الحسابي والدرجة الكلّية والترتيب لمجال مهارات الاتصال الشفهي

مجال المهامّ الإدارية	الرقم	العبارات	المتوسط الحسابي	الدرجة الكلّية	الترتيب
التخطيط	01	تفضل المقابلة الشخصية عند بناء الخطط المستقبلية للمؤسّسة	3.63	72.6	12
	02	تناقش أهداف وخطط المؤسّسة في اجتماعاتك	4.27	85.4	3
	03	تقترح خطط إجرائية بديلة على المرؤوسين لمواجهة أي معوقات محتملة	3.68	73.6	11
	04	تساعد الأساتذة في وضع خططهم البيداغوجية	3.81	76.2	10
التنظيم	05	تفضل الاشتراك في الملتقيات أو الندوات بنفسك ولا ترسل ممثلا عنك	4.40	88	1
	06	تقوم بتوزيع الأدوار على المرؤوسين أثناء المقابلات الشخصية	4.22	84.4	4
	07	تحدد للعاملين معايير الأداء سواء كانت كمية أو نوعية	4.13	82.6	5
اتخاذ القرار	08	لا تأخذ برأي المرؤوسين أثناء مشاركتهم في اتخاذ القرار	3.40	68	13
	09	تفضل الإصغاء للآخرين أكثر من التكلّم معهم في عملية اتخاذ القرار	4.04	80.8	6
	10	تدون في محاضر الاجتماعات القرارات دون ذكر للمناقشات الشفهية	3.18	63.6	14
المتابعة	11	تستغل المقابلة الشخصية مع المرؤوسين لتقديم التوجهات	3.90	78	9
	12	تنفرد مع كلّ عضو من العاملين على ة لمعرفة مشكلاتهم	4	80	7

والتقويم	13	تعقد لقاءات مع المرؤوسين لمتابعة سير العمل	4.36	87.2	2
	14	تعقد الاجتماعات مع المرؤوسين حسب برنامج محدّد	3.98	79.6	8
الدرجة الكلّية للمجال			55.00	78.57	//

ويتضح من الجدول رقم(3) أنّ متوسط درجة الاستجابة لدى عيّنة الدراسة على هذا المجال ككلّ بلغت (55.00)، وبلغت الدرجة الكلّية لهذا المجال (78.57)وهي تعتبر عن درجة كبيرة، وقد تفاوتت فقرات المجال من حيث قوتها لدرة ممارسة مديري التعليم المتوسط لمهارات الاتصال الشفهي في ضوء قيامهم بالمهامّ الإدارية (التخطيط، التنظيم، اتخاذ القرار، المتابعة والتقويم)، وذلك وفقا لمقادير النسبة المئوية لمعرفة الفقرات التي تمارس بدرجة أكثر

وهذا يعني أنّ مديري التعليم المتوسط ببلدية المسيلة يمارسون مهارات الاتصال الشفهي بدرجة كبيرة، حيث كانت واضحة بشكل كبير أثناء قيامهم بمهمّة التنظيم بدرجة (85) بمتوسط الحسابي (4.13 و4.40) أي بدرجة كبيرة جدا، وحصول مجال مهمّة المتابعة والتقويم على بدرجة (81.2) بمتوسط الحسابي (3.90 و4.36) أي بدرجة كبيرة جدا، مجال مهمّة التخطيط بنسبة (76.95) بمتوسط الحسابي (3.60 و4.27)وبدرجة كبيرة، ثم مجال مهمّة اتخاذ القرار بدرجة (70.8) بمتوسط حسابي تراوح بين (3.18 و3.40) أي بدرجة كبيرة أيضا.

3-النتائج المتعلّقة بدرجة ممارسة مديري التعليم المتوسط لمهارات الاتصال التكنولوجي في ضوء مهامّهم الإدارية (التخطيط، التنظيم،اتخاذ القرار،المتابعة والتقويم). وقد تمّ حساب المتوسطات الحسابية والنسب المئوية للاستجابات على فقرات هذا المجال الخاصّة بدرجة ممارسة الاتصال التكنولوجي لدى مديري التعليم المتوسط في بلدية المسيلة وذلك في ضوء قيامهم بالمهامّ الإدارية كما يلي:

الجدول رقم(4):قيمة المتوسط الحسابي والدرجة الكلّية والترتيب لمجال مهارات الاتصال التكنولوجي

مجال المهامّ الإدارية	الرقم	العبارات	المتوسط الحسابي	الدرجة الكلّية	الترتيب
التخطيط	01	تستخدم التقنيات الحديثة (الحاسب الآلي –الانترنت....)في إعداد الخطط مع المرؤوسين	3.27	65.4	2
	02	تتواصل مع المرؤوسين عن طريق البريد الالكتروني لإبلاغهم بالقضايا المراد التخطيط لها	1.45	29	9
	03	تستخدم الهاتف لتبلغ المرؤوسين بالهداف المخطط لها	2.04	40.8	7
التنظيم	04	تلجأ لاستعمال الهاتف لتكليف بعض العاملين بمهامّ مستعجلة	3.18	63.6	3
	05	تستخدم التقنيات الحديثة (الحاسب الآلي،الانترنت،أجهزة العرض المختلفة...) في تنظيم اللجان المدرسية والمجالس المدرسية	2.59	51.8	5
	06	تستخدم البريد الالكتروني لاستدعاء الأولياء للمشاركة في بعض مجالس المدرسة	1.27	25.4	10
	07	تستخدم البريد الالكتروني كوسيط اتصال لإرسال القرارات المتخذة إلى المعنيين	1.27	25.4	11

اتخـــــاذ القرار	08	تعتمد على أرشفة البيانات تكنولوجيا لتعود إليها أثناء اتخاذ القرار مع المرؤوسين	03	60	4
	09	تلجأ لاستخدام الهاتف بنوعيه لإشراك المرؤوسين في اتخاذ بعض القرارات	2.45	49	6
المتابعـــة والتقويم	10	تملك القدرة على توظيف البرامج المكتبية (excel.word...)في عملية تقييم العاملين والتلاميذ	3.36	67.2	1
	11	تتواصل عن بعد باستخدام القنوات المتوفرة في الانترنت لإبلاغ العاملين بمستوى أدائهم	1.22	24.4	12
	12	تستخدم البريد الالكتروني لمتابعة وتقويم تمدرس التلاميذ	1.63	32.6	8
الدرجـة الكلّية للمجـال			26.73	44.55	////

ويتضح من الجدول رقم(4) أنّ متوسط درجة الاستجابة لدى عيّنة الدراسة على هذا المجال ككلّ بلغت (26.73)، وبلغت النسبة المئوية لهذا المجال (44.55)وهي تعبر عن درجة قليلة، وقد تفاوتت فقرات المجال من حيث قوتها لدرجة ممارسة مديري التعليم المتوسط لمهارات الاتصال التكنولوجي في ضوء قيامهم بالمهامّ الإدارية (التخطيط،التنظيم، اتخاذ القرار، المتابعة والتقويم)، وهذا يعني أنّ مديري التعليم المتوسط ببلدية المسيلة يمارسون مهارات الاتصال التكنولوجي بدرجة متوسطة، حيث كانت مهمّة التنظيم هي الأولى في هذا المجال بنسبة (46.93) بمتوسط الحسابي (1.27 و3.18) وبدرجة متوسطة، وحصول مجال مهمّة التخطيط على نسبة (45.06) بمتوسط حسابي تراوح بين (1.45 و3.27) أي بدرجة متوسطة، ثمّ مجال مهمّة اتخاذ القرار بنسبة (44.8) بمتوسط الحسابي (1.27و2.45) وبدرجة متوسطة، وأخيرا مجال المتابعة والتقويم بنسبة (41.4) بمتوسط حسابي تراوح بين (1.26و3.36) أي بدرجة متوسطة

4-النتائج المتعلّقة بدرجة ممارسة مديري التعليم المتوسط لمهارات الاتصال الرمزي في ضوء مهامّهم الإدارية (التخطيط، التنظيم، اتخاذ القرار، المتابعة والتقويم).

وقد تمّ حساب المتوسطات الحسابية والنسب المئوية للاستجابات على فقرات هذا المجال الخاصّة بدرجة ممارسة الاتصال الرمزي لدى مديري التعليم المتوسط في بلدية المسيلة وذلك في ضوء قيامهم بالمهامّ الإدارية كما يلي:

الجدول رقم(5):قيمة المتوسط الحسابي والنسب المئوية والترتيب لمجال مهارات الاتصال الرمزي

مجال المهام الإدارية	الرقم	العبارات	المتوسط الحسابي	الدرجة الكلّية	الترتيب
التخطيط	01	ترى أنّ مراقبة وجه المتكلّم تزيد من قدرته على اقتراح حلول إبداعية للمشكلات	3.27	65.4	5
	02	تجلس بجانب الأعضاء بدلا من الجلوس مقابلهم أثناء رسم الخطط وتحديد الأهداف	3.36	67.2	4
	03	تؤثر اللغة الانفعالية (كملامح الوجه،النظرات،و الابتسامة...) في اقتراحات العاملين	3.54	70.8	2
	04	تنهض من مكانك في حالة عدم تقبل أراء وأفكار المرؤوسين عند رسم الخطط	4.13	82.6	1

التنظيم	05	تعرض عن احد المرؤوسين بسبب عدم قيامه بالمهامّ المسندة له	3.36	67.2	3
	06	تهتم بحدة صوتك أثناء تفويض المهامّ للمرؤوسين	3.09	61.8	7
	07	تهتم بملامح الوجه أثناء توضيح المسؤوليات للمرؤوسين	3.13	62.6	6
اتخـــــاذ القرار	08	تقوم بإيصال بعض القرارات من خلال الرسوم البيانية	1.81	36.2	12
	09	تعطي أهمّية لتعبيرات الوجه اتجاه المرؤوسين كإطالة النظر إليهم عند اتخاذ القرارات	2.86	57.2	9
	10	ترى أنّ إيماءات الرأس تعبير عن نوع القرار المتخذ	3.04	60.8	8
المتابعـــة والتقويم	11	تفضل استخدام الكاريكاتير لانتقاد سلوكيات معيّنة داخل المؤسّسة	1.27	25.4	13
	12	تتجنب التهديد بالعقوبات في حالة تحقيق نتائج سلبية غير متوقعة	2.63	52.6	10
	13	تستعمل حركات اليدين في حالة عدم رضاك عن النتائج المحققة في وجه المرؤوسين	2.51	50.2	11
الدرجة الكلّية للمجال			38.00	58.46	////

ويتضح من الجدول رقم(5) أنّ متوسط درجة الاستجابة لدى عيّنة الدراسة على هذا المجال ككلّ بلغت (38.00)، وبلغت النسبة المئوية لهذا المجال (58.46)وهي تعبر عن درجة متوسطة، وقد تفاوتت فقرات المجال من حيث قوتها لدرجة ممارسة مديري التعليم المتوسط لمهارات الاتصال الرمزي في ضوء قيامهم بالمهامّ الإدارية (التخطيط، التنظيم، اتخاذ القرار، المتابعة والتقويم)، وذلك وفقا لمقادير النسبة المئوية لمعرفة الفقرات التي تمارس بدرجة أكثر وهي مرتبة كما يلي، وهذا يعني أنّ مديري التعليم المتوسط ببلدية المسيلة يمارسون مهارات الاتصال الرمزي بدرجة متوسطة، حيث كانت مهمّة التخطيط هي الأولى في هذا المجال بنسبة (71.45) بمتوسط الحسابي (3.27 و4.16) أي بدرجة كبيرة وحصول مجال مهمّة التنظيم على نسبة (63.80) بمتوسط الحسابي (3.13 و3.36) وبدرجة كبيرة، ثمّ مجال مهمّة اتخاذ القرار بنسبة (51.4) بمتوسط الحسابي (1.27 و3.04) بدرجة متوسطة، وأخيرا مجال المتابعة والتقويم بنسبة (42.73) بمتوسط الحسابي (1.27 و2.63) بدرجة متوسطة أيضا.

5- تأثير المؤهل العلمي على درجة ممارسة مهارات الاتصال لدى مديري التعليم المتوسط:

لمعرفة تأثير المؤهل العلمي للمدير على نتائج الدراسة؛تم استخدام اختبار (ت) لدلالة الفروق بين متوسطات عيّنة الدراسة،كما يوضحه الجدول التالي:

الجدول رقم (6):نتائج اختبار(ت) لدلالة الفروق في درجة ممارسة مهارات الاتصال لدى مديري التعليم المتوسط في مدينة المسيلة تبعا لمتغير المؤهل العلمي

المجالات	المتوسط الحسابي	قيمة (ت)	درجة الحرّية
الاتصال الكتابي	58.14	34.65	21
الاتصال الشفهي	55	36.20	21
الاتصال التكنولوجي	26.72	17.55	21
الاتصال الرمزي	38	34.33	21
المجموع	177.90	46.05	21

يتضح من الجدول (6) انه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة ممارسة المهارات الاتصالية لدى مديري التعليم المتوسط في بلدية المسيلة تعزى لمتغير المؤهل العلمي في المجالات: الاتصال الكتابي، الشفهي، التكنولوجي، الرمزي.

إن عدم وجود فروق في المؤهل العلمي قد يعزى السبب إلى أنّ الجميع موجودون في بيئة إدارية وتربوية واحدة وبالتالي لا تختلف الصعوبات والمشكلات التي يواجهونها في إدارتهم تبعا لمتغير المؤهل العلمي، كما أنّ ذلك قد يعود إلى تشابه المساقات في الجامعات والمعاهد من حيث الاعتماد على الدراسة النظرية والبعد عن الممارسة العملية، كما يعود السبب إلى اعتماد معايير وأسس جديدة في التعيينات تعتمد الخبرة الطويلة في التعليم والتربية والكفاءة والأداء المتميز أثناء العمل وكذلك المؤهلات.

6-تأثير الأقدمية على درجة ممارسة مهارات الاتصال لدى مديري التعليم المتوسط:

لمعرفة تأثير أقدمية المدير على نتائج الدراسة في درجة ممارسة مديري التعليم المتوسط. تم استخدام اختبار تحليل التباين (Anova) لدلالة الفروق بين متوسطات عيّنة الدراسة، كما يوضحه الجدول التالي:

الجدول رقم (7):نتائج التباين الأحادي لدلالة الفروق في درجة ممارسة مهارات الاتصال لدى مديري التعليم المتوسط في بلدية المسيلة تبعا لمتغير الأقدمية

المجالات	مصدر التباين	درجات الحرّية	مجموع المربعات	متوسط المربعات	ف
الاتصال الكتابي	بين المجموعات	1	0.120	0.120	0.002
	داخل المجموعات	20	1300.47	65.02	
	المجموع	21	1300.59	\\\	
الاتصال الشفهي	بين المجموعات	1	4.141	4.14	0.078
	داخل المجموعات	20	1061.85	53.09	
	المجموع	21	1066.00	\\\	
الاتصال التكنولوجي	بين المجموعات	1	33.42	33.42	0.645
	داخل المجموعات	20	1036.94	51.18	
	المجموع	21	1070.36	///	
الاتصال الرمزي	بين المجموعات	1	2.32	2.32	0.83
	داخل المجموعات	20	563.67	28.18	
	المجموع	21	566.00	\\\	
	بين المجموعات	1	61.81	61.81	0.181
	داخل المجموعات	20	6834.00	341.70	
	المجموع	21	6895.81	\\\	

يتضح من الجدول (7) انه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة ممارسة مهارات الاتصال لدى مديري التعليم المتوسط في بلدية المسيلة تعزى لمتغير الخبرة في المجالات: الاتصال الكتابي، الشفهي، التكنولوجي. وانه توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة ممارسة مهارات الاتصال لدى مديري التعليم المتوسط في بلدية المسيلة تعزى لمتغير المؤهل العلمي في المجال: الاتصال الرمزي.

يرجع عدم وجود الفروق في المجالات المذكورة إلى أنّ مديري المتوسطات الذين يتم اختيارهم يتمتعون بالخبرة الكافية لإدارة المتوسطة؛ بحيث لا تقل خبرتهم عن عشر سنوات في العمل التربوي، فهؤلاء المدير ون يمتلكون مهارات اتصالية وخبرات اكتسبوها من عملهم في الميدان التربوي، ونشاطهم في التعليم والتربية أكسبهم الخبرة اللازمة للإدارة.أمّا الفروق في مجال مهارات الاتصال الكتابي فكما اظهر اختبار "شيفيه" فإنّه لصالح ذوي الخبرة أكثر من 15سنة، وهذا طبيعي لأن المديرين الأكثر خبرة يتمرسون في الاتصال فتصبح لديهم القدرة على ممارسة المهارات الاتصالية بصورة أكبر.

-النتيجة العامة:

من خلال النتائج المتوصّل إليها، وبعد تحليل النتائج على ضوء الفروض الأربعة فإنّ الفرضيتان الأولى والثانية قد تحققتا، بينما الفرضيتان الثالثة والرابعة لم تتحققا. ومن هنا يمكن القول أنّ الفرضية العامة المتمثّلة في: يمارس مديرو التعليم المتوسط في بلدية المسيلة، مهارات الاتصال في ضوء بعض مهامّهم الإدارية (التخطيط، التنظيم، اتخاذ القرار، المتابعة والتقويم) بنسبة (65.89) وهي درجة كبيرة، وتتفاوت بين مهارات الاتصال حيث، مهارات الاتصال الكتابي الاتصال الشفهي بدرجة كبيرة بدرجة كبيرة بين بينما مهارات الاتصال الرمزي يُماس بدرجة متوسطة والاتصال التكنولوجي بدرجة قليلة ؛باستثناء بُعد المتابعة والمراقبة.

ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية تعزى للمؤهل العلمي؛ إن وجد ت فروق ذات دلالة إحصائية تعود لمتغير الأقدمية لصالح فئة الأكثر من 15 سنة.

3-2- مقترحات الدراسة:

لما كان ميدان البحث يفتقر للبحوث والدراسات التي تناولت موضوعات مماثلة لموضوع هذا البحث، وسعيا إلى إثراء هذا الميدان بالبحوث ذات الصلة، فإنّنا نقترح ما يلي:

- إجراء دراسات أخرى تتناول المهارات الاتصالية الإدارية من وجهة نظر المدرين أنفسهم.
- توفير جو ومناخ ملائم للمدرين يسمح بتعزيز عملية الاتصال الإداري، من خلال إعادة النظر في نظام التكوين الذي يقدّم لهم لتوفير الخبرة الكافية لهم في عملية الاتصال الإداري.
- القيام بدراسات أخرى حول المعوقات والمشكلات التي تقف في طريق عملية الاتصال الإداري.
- إعطاء أهمّية للمهارات الاتصالية، وخاصّة في مجال المهارات التكنولوجية والرمزية، حيث تبين أنّ ممارسة هذه المهارات كانت الأقلّ من قبل مديري التعليم المتوسط.
- إعداد برامج تدريبية أثناء الخدمة، تأخذ صفة الاستمرارية لتنمية مهارات المديرين في مختلف المهامّ الإدارية المستجدة.

الخاتمة:

أظهرت الدراسة الحالية ضرورة تحيين المنظومة الاتصالية في المتوسطات ؛تبعا للتطوّر التكنولوجي وتماشيا مع متطلّبات الإدارة المدرسية المعاصرة.

إن درجة ممارسة مديري المتوسطات للمهارات الاتصالية يحتاج إلى تكوين دائم ؛وتدريب ميداني قبل الالتحاق بالخدمة وأثناء أدائهم لمهامّهم، إذ أنّ كثير من البيانات والمعومات الصادرة من الإدارة العليا يعتريها الغموض لدى الموظّفين في أسفل الهرم التنظيمي، فهي لاتصل في حينها أو لاتصل بالكيفية المطلوبة، مما يؤدي الى انتشار الشائعات وتكريس الروتين في العمل. فدرجة ممارسة مديري التعليم المتوسط لمهارات الاتصال التكنولوجي والرمزي داخل المتوسطة أو مع المحيط الخارجي لم يعط لهل الاهتمام الكافي بما يؤدي إلى القضاء على كثير من المشاكل التنظيمية سواء على مستوى التخطيط أو اتخاذ القرارات الإدارية.

وبينت الدراسة الحالية طغيان المهارات الاتصالية في جانب التقييم والمتابعة لعلاقتها المباشرة بالأولياء والإدارة العليا لذلك أوصت هذه الدراسة بضرورة توسيع آليات تكوين المديرين وتنويعها ؛ومنها الاتصال الإداري الذي يجب أن يحظى بالتكوين والتدريب المستمر؛ من أجل رفع كفاءة المديرين وفقا للمنظومة التشريعية الجزائرية.

المراجع:

1- إسماعيل محمد دياب: الإدارة المدرسية، دار الجامعات الجديدة للنشر، الإسكندرية، مصر،2001

2- أندردي سيز لاقي، ومارك جي ولاس: السلوك التنظيمي والأداء: ترجمة: جعفر أبو القاسم، معهد الإدارة العامة، الرياض 1991.

3- حنفي عبد الغفار: السلوك التنظيمي وإدارة الموارد البشرية، الدار الجامعية الحديثة للنشر، الإسكندرية، مصر، 2002

4-. رشيد أرلسان: التسيير الاداري في مؤسّسات التعليم الاساسي والثانوي، قصر الكتاب، البليدة، 2000

5- سامي سلطي عريفج: الإدارة التربوية المعاصرة، دار الفكر للطباعة والنشر، الأردن2001

6- عبد الحافظ سلامة: وسائل الاتصال وتكنولوجيا التعليم، دار الفكر للطباعة والنشر، الأردن 1998

7- عبد الحميد عطية وآخرون: الاتصال الاجتماعي، المكتب الجامعي، مصر 2004

8- العمايرة محمد حسن: مبادئ الإدارة المدرسية، دار المسيرة للنشر والتوزيع،عمان،الأردن،.1999

9- عياصرة علي احمد عبد الرحمان: القيادة والدافعية في الإدارة التربوية، دار حامد ، عمان، الأردن .2006

10- محمد حسنين العجمي: الإدارة المدرسية ومتطلّبات العصر، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، مصر،2007

11- محمد منير مرسي: الإدارة المدرسية الحديثة، عالم الكتب القاهرة 1999

12- هاني عبد الرحمان صالح الطويل: الإدارة التربوية والسلوك المنظمي، دار وائل للنشر،ط4،الأردن،2006

13- أجغيم الطاهر: واقع الاتصالات في المؤسّسات الجامعية الجزائرية، جامعتي باجي مختار بعنابة ومنتوري بقسنطينة نموذجا، رسالة دكتوراه في علم الاجتماع، غير منشورة، تخصص تنمية الموارد البشرية،جامعة قسنطينة، إشراف: أ.د.فضيل دليو2005/.2006.

14 - رضوان زقار: الاتصال من خلال التقنيات الإسقاطية: مجلة دراسات عدد10-ب 2008جامعة عمار الثليجي بالأغواط، الجزائر.

تنمية الكفاءات البشرية كمدخل لتعزيز استراتيجية تخطيط المسار الوظيفي بمجمع صيدال

د. فايزة بوراس
جامعة الحاج لخضر- باتنة

ملخّص:

هدفت الدراسة الحالية إلى التعرّف على واقع تنمية الكفاءات ودورها في تعزيز استراتيجية تخطيط المسار الوظيفي بمجمع صيدال، من خلال التطرّق لأهمّ أساليب تنمية الكفاءات التي تساهم في تطوير عملية تخطيط المسار الوظيفي لجعل العمل هادفا، ومن خلال توظيف المنهج الوصفي التحليلي واستخدام الاستبانة كأداة لجمع البيانات التي تمّ توزيعها على عيّنة الدراسة المتكونة من (97) إطارا في مجمع صيدال، توصّلت الدراسة إلى أنّ هناك علاقة ارتباط إيجابية بين عملية تنمية الكفاءات البشرية وتخطيط المسار الوظيفي.

Summary:

The objective of this study is to identify the skills development of reality and their role in the career planning strategy in the Saidal Group, an analytical study with a survey aimed at collecting a body composed of (97) Saidal executives in the group, has confirmed the presence of a positive relationship between the operation of the development of human skills and the planning of the professional career.

نظرا لسرعة التغيرات الحاصلة في الاقتصاد العالمي والتي كان لها أثر على معظم اقتصاديات الدول المتقدّمة منها أو النامية ولكن بدرجات متفاوتة وبغية مواجهة هذه التحولات الجديدة أصبح من الضروري الاهتمام بالكفاءات البشرية الفردية والجماعية باعتبارها أهمّ عنصر من عناصر ودعائم التنمية بل العنصر الانتاجي الأوّل والأساسي.

فتنمية الكفاءات يعد محدّدا أساسيا لأداء ونجاعة المؤسّسة، الذي يتطلّب من المؤسّسات توجيه جلّ استثماراتها نحو تنمية هذه الثروة البشرية وتمكينها، وتطوير مهاراتها وخبراتها في إطار إحدى الوظائف الجوهرية لإدارة الموارد البشرية والمتمثّلة في التخطيط الجيد للمسار الوظيفي للعاملين.

وضمن هذا السياق سنحاول مناقشة العديد من الأفكار وذلك من خلال الإجابة على الإشكالية العامة التالية:

ما هو دور تنمية الكفاءات البشرية في تعزيز استراتيجية تخطيط المسار الوظيفي في مجمع صيدال؟

يمكن تجزئة الإشكالية العامة للبحث إلى التساؤلات التالية:

- ماذا نعني بالكفاءات البشرية وماهي وسائل المؤسّسة لتنميتها؟

- ما أهمّية تخطيط المسار الوظيفي وما هي أهمّ استخداماته؟

- هل توجد علاقة ارتباطية بين عملية تنمية الكفاءات البشرية وتخطيط المسار الوظيفي في مجمع صيدال؟

من هنا سنحاول الإلمام بدراسة الدور الذي تلعبه تنمية الكفاءات في تطوير وتعزيز استراتيجية تخطيط المسار الوظيفي في إطار ثلاثة أجزاء هي كالاتي:

أولا: الإطار العام للدراسة

ثانيا: الإطار النظري

ثالثا: عرض وتحليل النتائج

أولا: الإطار العام للدراسة

1- أهمّية الدراسة: تأتي أهمّية هذه الدراسة نتيجة عدّة اعتبارات نذكر منها ما يلي:

- حسن تنمية الكفاءات يمكن المؤسّسة من الاستعداد لمواجهة التغيرات والتطوّرات التي تحدث.

- يمكن أن تساهم هذه الدراسة في تحسيس مسيري المؤسّسات بأهمّية تنمية الكفاءات كأداة جوهرية لتحقيق التميز والتفوق.

- يعتبر تخطيط المسار الوظيفي من أكثر المواضيع التي لقيت وتلاقي اهتماما كبيرا في ميدان التسيير والإدارة، وبالرغم من التطوّر الذي طرأ على مستوى نظريات تسييره إلا أنّ مجال البحث والتجديد فيه مستمر.

وأخيرا ترجع أهمّية هذه الدراسة نتيجة كون معظم المؤسّسات الوطنية رغم توفرها على طاقات بشرية ذات قدرات ومؤهلات عالية إلا أنّها لا تحسن استغلالها لبناء مسارات وظيفية للعاملين فيها بالشكل الذي يضمن لها البقاء والاستمرار في العمل.

2- أهداف الدراسة:

الغرض من هذه الدراسة لا يخرج في حقيقة الأمر عن كونه محاولة لتحقيق الأهداف التالية:

- التعرّف على أساليب تنمية الكفاءات البشرية.

- التعرّف عن أهمّية الاهتمام بتنمية الكفاءات البشرية في تعزيز استراتيجية تخطيط المسار الوظيفي.

- محاولة التأكد من دور تنمية الكفاءات كأحد أهمّ عوامل التفوق في الاقتصاد الجديد، وهل هي مسؤولة عن تطوير عملية تخطيط المسار الوظيفي بمجمع صيدال.

ونطمح في الأخير من خلال هذه الدراسة إلى إضافة الجديد إلى مجموعة البحوث والدراسات المتعلّقة بالموضوع، كما نأمل أن تكون خطوة لغيرنا لإجراء مزيد من البحوث حول النقاط والمسائل التي لم نتعرض لها في دراستنا هذه.

3- فرضيات الدراسة: انطلاق من إشكالية الدراسة يمكن صياغة فرضيات الدراسة على النحو التالي:

- يهتم مجمع صيدال بتخطيط المسار الوظيفي لموظّفيه.
- يهتم مجمع صيدال بتنمية كفاءاته البشرية.
- توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين تنمية الكفاءات البشرية وتخطيط المسار الوظيفي.

ثانيا: الإطار النظري

I - الإطار المفاهيمي للكفاءات البشرية وأسلوب تنميتها:

تهدف المؤسّسات إلى تحقيق التميز لكي تحتل مكان الريادة الذي يضمن لها البقاء والاستمرار، وهذا يتوقف على مدى امتلاك المؤسّسة للكفاءات القادرة على التفكير والإبداع والإنجاز، ولكي تكون هذه الكفاءات في المستوى المطلوب فإنّ المؤسّسة تعمل على بناء وتنمية القدرات المعرفية والمهارات لديها بهدف تفعيل طاقتها، وذلك من خلال توفير المناخ المناسب للعمل لفهم واستيعاب كلّ ما هو جديد ومستجد في ظروف العمل.

1- مفهوم الكفاءات وأنواعها:

ا- **مفهوم الكفاءة:** حتّى نتمكن من تحديد مفهوم الكفاءة بشكل أكثر وضوحا يتعيّن علينا الإشارة إلى بعض المصطلحات والمفاهيم التي تتداخل معه ومن هذه المفاهيم نذكر ما يلي:

- **المهارة:** تنتج عموما عن حالة تعلّم وهي عادة ما تهيأ من خلال استعدادات وراثية والكفاءات الحركية تعني خصوصا الإتقان، وتظهر على مستوى الحركات المنظمة بشكل معقد كما هو الشأن في الصناعات التقليدية والتقنية ومع الإنجازات الفنّية.

- **القدرة:** إمكانية النجاح، وكفاءة ضمن مجال عملي أو نظري، وهي تتمثّل في بعض الإنجازات التي ترتبط مع بعضها البعض في خاصّية معيّنة.

- **الأداء:** هي العملية التي يتم من خلالها التعرّف على أداء الفرد لمهامّه وقدراته على الأداء والخصائص اللازمة لتأدية العمل بنجاح.

- **الإنجاز:** ما يتمكن الفرد من تحقيقه آنيا من سلوك محدّد، وإذا كانت القدرة تدل على ما يستطيع الفرد أن يسجله بأعلى درجة من الوضوح والدقة، فإنّها بذلك تشير إلى إمكانيات الفرد المتعددة في الإنجاز[1].

[1] -Pierre Massot- Daniel Feisthammel, **Pilotage des compétences et de la formation**, afnor, France,2005, PP11- 12.

الكفاءة بمفهوم عام يشمل القدرة على استعمال المهارات والمعارف في وضعيات جديدة ضمن حقل مهني، فهي إذن تشمل التنظيم، التخطيط والتجديد والقدرة على التكيف مع نشاطات جديدة، بهذه المفاهيم فإنّ اكتساب الكفاءات يشكّل تحدّيا أكبر من اكتساب المهارات والمعارف فقط، وفي هذا الإطار نورد التعاريف التالية:

- تعريف لوك بايور:"الكفاءة هي القدرة على تنفيذ مهامّ محدّدة، وهي قابلة للقياس والملاحظة في النشاط وبشكل أوسع الكفاءة هي استعداد لتجنيد وتجميع ووضع الموارد في العمل، والكفاءة لا تظهر إلا أثناء العمل"[1].

- يمكن تعريف الكفاءة أيضا بأنّها تعبر عن مدى قدرة الشخص على إظهار المعارف والمهارات لتقديم خدمة او منتج معيّن، وذلك حسب المعايير المطلوبة، أي أنّها القدرة على نقل المعارف والمهارات من سياق معيّن إلى سياق آخر.[2]

انطلاقا من التعاريف السابقة يمكن استخلاص التعريف التالي للكفاءة باعتبارها استعداد الفرد لإدماج وتوظيف مكتسباته السابقة من معلومات ومعارف ومهارات في بناء جديد قصد حل مشكلة أو التكيف مع وضعية طارئة، أي منظومة مدمجة من المعارف المنهجية والعلمية التي تعتمد بنجاح في حل مشكلة قائمة.

من هنا يمكن أن نستنتج العناصر الأساسية التي تشكّل الكفاءة والتي تتمثّل في:

- **المعرفة *العملية* savoir faire**: ترجع إلى البعد التطبيقي للكفاءة المعبر عنها بواسطة الفعل أي كلّ التجارب والممارسات المتحكم فيها من قبل الأفراد.

- **المعرفة السلوكية savoir être**: تعبر عن الخصائص الاجتماعية والسلوكية للكفاءة، أي تصرفات ومواقف الأفراد.

- **المعرفة *المستقبلية* savoir devenir**: وهي معرفة تتعلّق وتهتم بمصير الكفاءة مستقبلا التي على أساسها يتحدّد مستقبل المؤسّسة.[3]

ب- **أنواع الكفاءات**: تتنوع الكفاءات حسب تنوع حاجات المجتمع، ومع هذا نميز عدّة أنواع من الكفاءات وهي:

ب- 1- الكفاءات الفردية والجماعية: تدل الكفاءات الفردية على المهارات العملية المقبولة، ويتم إضفاء القبول في الوسط المهني من خلال عدّة أساليب فنّية وتقنية كالتجارب المهنية، أمّا الكفاءات الجماعية

---

[1]- كمال منصوري- سماح صولح، **تسيير الكفاءات: الاطار المفاهيمي والمجالات الكبرى**، مجلة ابحاث اقتصادية وادارية، العدد7، جوان2010، ص50.

[2]- خضير كاظم حمود- روان منير الشيخ، **ادارة المواهب والكفاءات البشرية**، زمزم ناشرون وموزّعون، عمان، 2013، ص79.

[3] -Devos Valérie et Taskin Laurent, **Gestion par les compétences et nouvelles formes d'organisation du temps et de l'espace**, Revue Française de gestion, N 156,2005,P95.

فهي التي تحدّد قوة المؤسّسة أو ضعفها في مجال تنافسية المؤسّسات ومصدر تقييمها هو حكم المجتمع وذلك من خلال اختيارهم للموارد الأكثر كفاءة.

ب-2- الكفاءة الخاصّة أو النوعية: وهي كفاءة مرتبطة بمجال معرفي أو مهاري أو وجداني محدّد، وهي خاصّة لأنّها ترتبط بنوع محدّد من المهامّ التي تندرج في إطار الأقسام داخل المؤسّسة، حيث أنّ اختصاص كلّ قسم في مجال معيّن يفرض على الموظّفين التحلي بكفاءات خاصّة مرتبطة بنوع العمل الموكل إليهم.

ب-3- الكفاءة الممتدة أو المستعرضة: وهي التي يمتد مجال تطبيقها وتوظيفها داخل سياقات جديدة، إذ كلّما كانت المجالات والوضعيات والسياقات التي توظّف وتطبّق فيها نفس الكفاءة واسعة ومختلفة عن المجال والوضعية الأصلية، كلّما كانت درجة امتداد هذه الكفاءة كبيرة، والكفاءات الممتدة أو المستعرضة تمثّل أيضا خطوات عقلية ومنهجية إجرائية مشتركة بين مختلف الموارد المعلوماتية، والتي يستهدف تحصيلها وتوظيفها خلال عملية إنشاء المعرفة والمهارات المعرفة والمهارات المأمولة.

ب-4- الكفاءة التنظيمية: وهي تشمل عدّة كفاءات حسب المستوى التسلسلي في المؤسّسة وحسب تعدد الوظائف فيها (كالتخطيط، التنفيذ، الإدارة، الرقابة) إذن يمكن القول أنّها تتمثّل في الكفاءة التقنية، وكفاءة العلاقات الإنسانية والكفاءة الفنّية الإدارية من جهة، ومن جهة أخرى نرى أنّها تتمثّل في كفاءة التخطيط والإدارة، كفاءة التنفيذ، وكفاءة الرقابة أو التقييم، إذن يتلخّص مفهوم كفاءة التنظيم حسب المؤسّسة ونوع عملها ومدى فهمها للعلاقات القائمة بينها وبين البيئة المحيطة بها.[1]

2- تنمية الكفاءات:

أجمع كثير من الباحثين في مجال الإدارة أنّ الجزء الذي يحدث الفرق داخل المؤسّسة يتمثّل في الجزء غير المنظور والذي هو عبارة عن كفاءات الأفراد، حيث أصبحت هذه الأخيرة حلقة الوصل بين الاستراتيجية المتبعة والعامل البشري لذلك يتعيّن على كلّ مؤسّسة أن تسير قدما نحو تنمية تلك الكفاءات لتحقيق التقدّم والازدهار.

يشير مفهوم تنمية الكفاءات على أنه ذلك المزيج من الطرق، الوسائل، والنشاطات التي تساهم في رفع مستوى أداء الكفاءات التي تتوفر علها المؤسّسات، ومن أهمّ دوافع الاهتمام بتنمية الكفاءات نذكر:

- إدماج التكنولوجيا الحديثة للإعلام والاتصال في أنظمة المؤسّسات، وما يتطلّب نجاحه من رفع في مستوى الكفاءات الموجودة، وإعادة تنظيم لمناصب العمل.

- تنامي تدويل الأسواق وما رافقه من ازدياد في حدة الضغوطات التنافسية التي من الضروري مواجهتها من قبل المؤسّسات لضمان بقائها واستمراريتها.

---

[1] - ابو انس الانصاري، **تنمية الكفاءات: ادارة الجودة الشاملة**،2015/03/21.

benasla.arabblogs.com/archive/2008/5/567195

- تعتبر المزايا التنافسية المرتكزة على المعارف العملية أسهل المزايا إخفاء عن أعين المنافسين، وأصعبها تقليدا، وهو ما يضمن إنشاء قاعدة صلبة لإرساء مزايا قوية ودائمة[1].

ولتطوير هذه الكفاءات لا بدّ من اتباع الخطوات التالية:

ا- **التقييم الأوّلي لمخطط تسيير الموارد**: أنّ عملية التقييم تتم بالمراجعة الدورية لمخطط تسيير الموارد البشرية لتحديد طبيعة الكفاءات المعتمدة من طرف المؤسّسة، وهل تلك الكفاءات الموظّفة تلعب فعلا دورا هاما في تحقيق الأهداف المسطرة من طرف المديرية العامة للمؤسّسة.

ب- **وضع استراتيجية لتنمية الكفاءات حسب مخطط تسيير الموارد البشرية**: إن التقييم الأوّلي يسمح لمسؤولي المؤسّسة بتحديد النقائص الملاحظة في تسيير الكفاءات الموظّفة حسب الأهداف المسطرة، وبالتالي إمكانية رسم الاستراتيجية لتنمية الكفاءات حسب الشروط التي يمليها السوق والتحديات التي يفرضها المحيط من فرص وتهديدات.

ج- **مراقبة تنفيذ الاستراتيجية المعتمدة لتنمية الكفاءات:** أنّ هذه المراقبة قائمة على التأكد من تطابق الاستراتيجية المتبعة حسب الحلول المقدّمة أثناء التقييم الأوّلي لمخطط تسيير الموارد البشرية وهذا قائم على الوسائل المسخرة من جهة، والأهداف المسطرة من طرف المؤسّسة في السوق من جهة أخرى.

وهناك عدّة طرق لتنمية الكفاءات نذكر منها:

- **التكوين**: يساهم في تحقيق أفضل دعم للمؤسّسة في مجال تطوير كفاءة الموارد البشرية.

- **الاتصال**: يعدّ أداة لتفعيل التنظيم في تحقيق أهدافه، وفي الكشف عن الأخطاء والانحرافات وتوفير التوجيه المناسب لإنجاح الإجراءات.

- **التحفيز: إنّ** بثّ الحماس في الأفراد وتشجيعهم بالوسائل المختلفة يساهم في تحسين نواتج العمل في شكل كميات إنتاج وجودة المنتجات وتخفيض التكلفة.

- العمل الجماعي والتعاون بين الموظّفين.

- تسيير المعرفة.

من خلال ما تمّ التطرّق إليه نستنتج أنّ تنمية الكفاءة البشرية في المؤسّسة يمثّل محور اهتمام غالبية المؤسّسات، إذ أنه يضمن التفوق الدائم والمستمر للمؤسّسة وتحسين أدائها مقارنة لما كانت عليه.[2]

II - تخطيط المسار الوظيفي:

يمثّل تخطيط المسار الوظيفي مجموعة الأنشطة المشتركة بين الموظّف والإدارة لإعداد الفرد لمراحل سير وظيفي متصاعدة وتحديد المهارات المطلوبة من تعلّم وتدريب وإرشاد للتوفيق بين أهداف الفرد والمؤسّسة في

- نفس المرجع [1]

Kenanaonline.com[2]- احمد كردي، **تنمية الكفاءات الإدارية**، 2010/11/04.

نفس الوقت بناء على إدراك الفرد لقدراته الشخصية وجوانب قوته وضعفه وإدراك المؤسّسة لحاجتها لطاقات الفرد واستخدامها وهذه الوظيفة ليست قاصرة على مستوى الإدارة العليا بل تمتد لتشمل كافة المستويات الإدارية[1].

فعملية تخطيط المسار الوظيفي في غاية الأهمّية ولاسيّما ضمن بيئة الأعمال المعاصرة التي تشهد متغيرات متعددة اقتصادية، سياسية وتكنولوجية فضلا.. وهذه الأهمّية تتضح من خلال تحقيق اهداف الافراد والمؤسّسة، فإذا كان هدف الافراد النموّ في العمل والرضا عنه، فإنّ المؤسّسات تسعى إلى تحقيق الإنتاجية والربح، ومن الأسباب الداعية للاهتمام بتخطيط المسار الوظيفي مواجهة الاحتياجات الحالية والمستقبلية من الموارد البشرية ذات الكفاءة العالية، ووضع افضل صيغة لكلّ من المؤسّسة والأفراد عن المسارات الوظيفية، تحقيق الارتباط والتكامل بين نشاطات الموارد البشرية وربط إدارة المسار الوظيفي مع خطط التطوير في المؤسّسة، ومساهمته في تحقيق الأمن الوظيفي للعاملين وزيادة إفادة الإدارة من مواردها البشرية المتاحة، وإدارة المهارات وتجنب تقادمها، مواجهة مشكلات دوران العاملين، وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، البقاء في عالم المنافسة، وكفاءة استخدام الموارد المتاحة. هذا وقد اتفق الباحثون والكتاب في تحديد مسؤولية تخطيط المسار الوظيفي كمسؤولية مشتركة بين كلّ من الأفراد، المديرين وإدارة الموارد البشرية.[2]

من استخدامات تخطيط المسار الوظيفي:

- **في مجال اعداد القيادات الإدارية:** يؤدي تخطيط المسار الوظيفي دورا رئيسيا في الكشف عن القيادات الإدارية الواعدة وتدريبها وتنميتها مبكرا حتّى تكون جاهزة لتسليم المسؤولية عندما يحين الوقت لإحلال الصف الأوّل من القيادات الإدارية وبشكل لا يؤثّر على استمرارية واستقرار الأداء بالمؤسّسة.

- **في مجال الترقية والنقل:** في ظل وجود خطة لتخطيط المسار الوظيفي للأفراد تصبح قرارات الترقية والنقل والحركة افقيا ورأسيا مبنية على أساس علمي وعلى احتياجات واضحة ومحدّدة سلفا وليس على أساس الرغبات الشخصية أو الأقدمية.

- **في مجال الإحلال الوظيفي:** يجب أن يعتمد تنفيذ أي برنامج الإحلال الوظيفي لفئة الكوادر إلى حدّ كبير على وجود خطة لتنمية المسارات الوظيفية للكوادر الواعدة والتي سوف تحل محل الكوادر غير الكفؤة في المواقع الوظيفية المختلفة خلال الفترة القادمة، ذلك أنه بدون وجود خطة لتنمية المسارات الوظيفية للكوادر تصبح عملية الإحلال الوظيفي عملية عشوائية تؤثر على أداء المؤسّسة واستقرارها.

---

[1]- صلاح عبد الباقي، **السلوك الفعال في المنظمات**، الدار الجامعية الجديدة للنشر، الاسكندرية، 2002، ص207.

[2]- ايمن حسن ايوب، **اثر التعلم التنظيمي في تطوير المسار الوظيفي**، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، العدد2، 2013، ص123.

- **في مجال وظيفة التدريب:** تبين خطة المسار الوظيفي التدرج الوظيفي للأعمال التي يقوم بها الفرد في المؤسّسة واحتياجاته خلال كلّ مرحلة على طول المسار التدريبي لزيادة مهاراته وأيضا معارفه واتجاهاته لكي يكون مناسبا للوظيفة التي سيشغلها.[1]

لتحقيق مسار وظيفي ناجح في المؤسّسات لا بدّ من تكوين نموذج وظيفي متكامل يدمج المسميات الوظيفية مع متطلّبات البيئة الخارجية، واستخدام أسلوب التدريب الشامل، ونشر المعلومات المتعلّقة بالمهنة وتطويرها، والتعليم والتدريب المستمر من خلال برامج التدريب والتعلّم الرسمي، وإتاحة الفرص للموارد البشرية لتتعلّم المهارات والخبرات والمعارف الجديدة، والقيام بالنشاطات التنموية وإتاحة الفرصة أمام الفرد لاستكمال دراسته وتقديم البرامج التدريبية له، وتهيئة لجان استشارية حول الوظيفة المهنية لتوضيح اهداف الوظائف وتقديم النصح والإرشاد في حل المشكلات الناجمة بين حاجة الأفراد وحاجة المؤسّسة وإتاحة الفرصة نحو التنمية العملية(تناوب وظيفي).

ثالثا: عرض وتحليل النتائج حول واقع تنمية الكفاءات البشرية ودورها في تعزيز استراتيجية تخطيط المسار الوظيفي بمجمع صيدال

1- التعريف بمجمع صيدال: يعتبر مجمع صيدال مؤسّسة ذات أسهم يقدر رأسمالها بـ: 2500000000دج، ويتكون من مديريات مركزية واربعة فروع، إضافة إلى مركز البحث والتطوير وثلاث وحدات توزيع ومديرية التسويق والإعلام الطبي.

ويحترف المجمع الصناعي صيدال في ميدان صناعة المواد والمنتجات الصيدلانية، حيث تتمثّل المهمّة الرئيسية له في تطوير انتاج وتسويق المواد الصيدلانية الموجهة للاستطباب البشري والبيطري.

2- دراسة وتحليل الاستبيان: بغرض التأكد من مدى أهمّية مساهمة تنمية الكفاءات البشرية في تعزيز استراتيجية تخطيط المسار الوظيفي في مجمع صيدال، قمنا بعدد من المقابلات الشخصية مع بعض المسؤولين والاطلاع على مختلف الوثائق الورقية والإلكترونية وإعداد وتوزيع استبيان على عدد من المسؤولين، وذلك لمعرفة آرائهم ووجهات نظرهم حول بعض المواضيع ذات العلاقة بالبحث.

3- صدق الأداة وثباتها: لقد تضمن الاستبيان مجموعة من الأسئلة المغلقة والتي تقسم إلى جزئين هما:

- **الجزء الأوّل:** يحتوي متغيرات تتعلّق بالخصائص الديمغرافية لعيّنة الدراسة من خلال أربعة متغيرات هي(الجنس، العمر، المؤهل العلمي، الخبرة الوظيفية).

- **الجزء الثاني:** يناقش دور تنمية الكفاءات البشرية في تعزيز استراتيجية تخطيط المسار الوظيفي بمجمع صيدال من خلال تقسيمه إلى محورين.

[1]- احمد ماهر، **دليلك الى تخطيط وتطوير المستقبل الوظيفي**، الدار الجامعية، الإسكندرية، 1995، ص221.

وللتأكد من ثبات الأداة تمّ استخراج معامل (**كرونباخ ألفا**) للاتساق الداخلي لعبارات الاستبيان بصيغة النهائية، حيث يلاحظ من قيمة (**كرونباخ ألفا**) أنّ معامل الثبات (88,8%) مرتفع ومناسب لأغراض الدراسة وهي نسبة جيدة مقارنة بالحدّ الأدنى المقبول والبالغ (60%).

4 - **الأساليب الاحصائية المستخدمة:** للإجابة عن أسئلة الدراسة واختبار صحّة الفرضية تمّ استخدام أساليب الاحصاء التحليلي، حيث تمّ ترميز وادخال المعطيات إلى الحاسوب باستخدام البرنامج الإحصائي للعلوم الاجتماعية(SPSS) للتوصّل إلى ما يلي:

- مقاييس الاحصاء الوصفي وذلك لوصف عيّنة الدراسة واظهار خصائصها، وهذه الأساليب هي الوسط الحسابي والانحراف المعياري للإجابة عن أسئلة الدراسة.
- معامل ارتباط سبيرمان لمعرفة العلاقة الارتباطية بين متغيرات الدراسة المستقلة والتابعة.
- تحليل الانحدار البسيط لاختبار صلاحية نموذج الدراسة وتأثير المتغير المستقل على المتغير التابع.
- تحليل التباين الأحادي: لاختبار تأثير المتغير المستقل على المتغير التابع.

5- **اختبار فرضيات الدراسة:**

يتم في هذا الجزء اختبار فرضيات الدراسة بحسب ترتيبها، حيث سيتم التحقق من أنّ الوسط الحسابي الذي أبداه المستجيبون One simple test من أفراد العيّنة أقلّ أو أكبر بدرجة معنوية من وسط أداة القياس، ولهذا الغرض سيتم استخدام الاختبار

وستكون قاعدة القرار وفقا لهذا الاختيار هي: قبول فرضية العدم إذا كان مستوى الدلالة أكبر من أو يساوي (0.05) في حين سنرفض فرضية العدم وتقبل الفرضية البديلة إذا كان مستوى الدلالة أقلّ من (0.05).

- **اختبار الفرضية الأولى:**

- **فرضية العدم:** لا يهتم مجمع صيدال بتخطيط المسار الوظيفي لموظّفيه.
- **الفرضية البديلة:** يهتم مجمع صيدال بتخطيط المسار الوظيفي لموظّفيه.

بلغت قيمة الوسط الحسابي للأسئلة مجتمعة(الممثّلة لتخطيط المسار الوظيفي)(3.49) وهو أعلى من وسط أداة القياس البالغ 3، أمّا الانحراف المعياري فمقداره(0,44) مما يشير إلى وجود انسجام في إجابات المستجيبين، ولتأكيد التحليل السابق تمّ استخدام اختبار One simple test ووجدنا أنّ قيمة الدلالة لـ:**t** هي(0.000) وهي أقلّ من (0.05)، فضلا على أنّ قيمة **t** المحسوبة هي(76.681) وهي أكبر من قيمة **t** الجدولية (1.960) لجميع الاسئلة المعروضة في الاستبيان وبناء على ما تقدّم من تحليل البيانات الخاصّة بالفرضية يتم رفض فرضية العدم وقبول الفرضية البديلة أي أن: مجمع صيدال يهتم بتخطيط المسار الوظيفي لموظّفيه.

- **اختبار الفرضية الثانية:**

- **فرضية العدم:** لا يهتم مجمع صيدال بتنمية كفاءاته البشرية.

- **الفرضية البديلة:** يهتم مجمع صيدال بتنمية كفاءاته البشرية.

بلغت قيمة الوسط الحسابي للأسئلة مجتمعة (الممثّلة لتنمية الكفاءات البشرية) (3.41) وهي أعلى من وسط أداة القياس البالغ 3، أمّا قيمة الانحراف المعياري هي(0.57) مما يشير إلى وجود انسجام في إجابات افراد العيّنة، ولتأكيد التحليل السابق تمّ استخدام اختبارOne simple test ووجدنا أنّ قيمة الدلالة لـ:t هي (0.000) وهي أقلّ من (0.05) فضلا على أنّ قيمة **t** المحسوبة هي (58.900) وهي أكبر من قيمة **t** الجدولية (1.960) لجميع الفقرات.

وبناء على ما تقدّم يتم رفض فرضية العدم وقبول الفرضية البديلة أي أن: مجمع صيدال يهتم بتنمية كفاءاته البشرية.

- **اختبار الفرضية الثالثة:**

- **فرضية العدم:** لا توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين تنمية الكفاءات البشرية وتخطيط المسار الوظيفي.

- **الفرضية البديلة:** توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين تنمية الكفاءات البشرية وتخطيط المسار الوظيفي.

لاختبار الفرضية قمنا باستخدام تحليل الانحدار الخطي البسيط، وتبين لنا أنّ قيمة الارتباط الثنائي هي(0.821) مما يدل على أنّ درجة الارتباط قوية طردية، كما بلغ معامل التحديد(0.674) مما يعني أنّ 67.4% من التغير في تخطيط المسار الوظيفي يعود إلى التغير في عملية تنمية الكفاءات البشرية.

أمّا **F** المحسوبة فهي تساوي(196.70) وهي أكبر من قيمتها الجدولية البالغة (3.07)، وبما أنّ مستوى الدلالة يساوي(0.000) وهو أقلّ من (0.05) مستوى الدلالة المعتمد، فإنّنا نرفض فرضية العدم ونقبل الفرضية البديلة القائلة بوجود علاقة ذات دلالة معنوية بين تنمية الكفاءات البشرية وتخطيط المسار الوظيفي، أمّا عن معادلة الانحدار الخطي بين عملية تنمية الكفاءات البشرية وتخطيط المسار الوظيفي فهي كالتالي:

$$y = 1,291 + 0,646x$$

نستنتج من هذه المعادلة أنّ عملية تنمية الكفاءات البشرية تؤثر في استراتيجية تخطيط المسار الوظيفي بقيمة المعامل **B** الذي يساوي(0.646)، هذا ما يفسر وجود علاقة ارتباطية إيجابية بينهما.

خاتمـــــــة:

بعد التطرّق لموضوع الدراسة المتمثّل في أهمّية مساهمة تنمية الكفاءات البشرية في تعزيز استراتيجية تخطيط المسار الوظيفي، فتطوير عملية تخطيط المسار الوظيفي هدف تسعى اليه أي مؤسّسة التي لا تكاد

تخلو من توفرها على كفاءات بشرية عالية المستوى، لكن التحدّي يتمثّل في قناعة الادارة العليا للمؤسّسة بذلك، بتسخير كلّ امكانياتها وتعبئة وتجنيد كفاءاتها البشرية بتدريبهم وتحفيزهم وتوفير لهم ظروف العمل المناسبة، وأيضا من الاقتراحات التي خلصنا اليها نذكر ما يلي:

- ضرورة الاقتناع بأهمّية تطبيق استراتيجية تخطيط المسار الوظيفي.

- يجب تحسين استخدام تخطيط المسار الوظيفي بالمجمع.

- أنّ الوعي بأهمّية تنمية الكفاءات البشرية وأهمّية تعزيز استراتيجية تخطيط المسار الوظيفي يشكّل إدراكا راسخا لمدى تكامل وتلازم هذين المدخلين، مما يتطلّب تعبئة كاملة بتدريب وصيانة وتحفيز الكفاءات البشرية وتقوية مختلف اشكال الاتصال الداخلي بينها، والتدريب الجيد يعتمد على إدارة المعارف وتكنولوجيا المعلومات والاتصال والتمكين وإجراء الدراسات والأبحاث اللازمة.

الإحالات:

[1] -Pierre Massot- Daniel Feisthammel, **Pilotage des compétences et de la formation**, afnor, France,2005, PP11- 12.

[2] - كمال منصوري- سماح صولح، **تسيير الكفاءات: الإطار المفاهيمي والمجالات الكبرى**، مجلة ابحاث اقتصادية وادارية، العدد7، جوان2010، ص50.

[3] - خضير كاظم حمود- روان منير الشيخ، **إدارة المواهب والكفاءات البشرية**، زمزم ناشرون وموزّعون، عمان، 2013، ص79.

[4] -Devos Valérie et Taskin Laurent, **Gestion par les compétences et nouvelles formes d'organisation du temps et de l'espace**, Revue Française de gestion, N 156,2005,P95.

[5] - أبو أنس الأنصاري، **تنمية الكفاءات: إدارة الجودة الشاملة**،2015/03/21.
benasla.arabblogs.com/archive/2008/5/567195

[6] - نفس المرجع

[7] - أحمد كردي، **تنمية الكفاءات الإدارية**، 2010/11/04، **Kenanaonline.com**

[8] - صلاح عبد الباقي، **السلوك الفعال في المنظمات**، الدار الجامعية الجديدة للنشر، الإسكندرية، 2002، ص207.

[9] - أيمن حسن أيوب، **أثر التعلّم التنظيمي في تطوير المسار الوظيفي**، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، العدد2، 2013، ص123.

10- أحمد ماهر، **دليلك إلى تخطيط وتطوير المستقبل الوظيفي**، الدار الجامعية، الإسكندرية، 1995، ص221.

[1] - بسام حجار، العلاقات الاقتصادية الدولية، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2003، ص100.

مدركات العاملين من ذوي الإعاقة لظروف عملهم في المملكة العربية السعودية

د. أسامة يوسف الصمادي
قسم التربية الخاصة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة مدركات العاملين من ذوي الإعاقة لظروف عملهم في المملكة العربية السعودية. ولغايات الدراسة أعد الباحث استبانة لجمع البيانات لمعرفة رأي ذوي الإعاقة في العمل، من خلال أداة صممت لذلك، وتكوّنت الأداة من 44 فقرة بحيث توزّعت الفقرات على المجالات التالية: (الرغبة في العمل، التأهيل، فرص العمل المتوفرة، وجهة نظر المجتمع، الدخل، وامتيازات العمل. أمّا متغيرات الدراسة في: المؤهل، نوع الإعاقة، وطبيعة العمل، وقد تمّ التحقق من صدق وثبات الأداة. تكوّنت عينة الدراسة من 62 من ذوي الإعاقة العاملين. وقد أظهرت النتائج إلى أنّ مدركات العاملين من ذوي الإعاقة لظروف عملهم كانت عموماً تميل إلى الايجابية، وعدم وجود فروق دالة في المؤهل العلمي، ونوع الإعاقة وطبيعة العمل.

كلمات مفتاحية: المدركات، العاملين من ذوي الإعاقة، العمل، التربية الخاصة

Abstract

The study aims to identify the perceptions of Works with disabilities towards work in Saudia Arabia. To fulfill the purpose of the study, a questionnaire was prepared to questionnaire to collect data to see the view with disabilities to work , and consisted tool from 44 paragraph so distributed paragraphs on the following dimensions: (a desire to work , rehabilitation, employment opportunities are available, and the point of view of society , income, privileges work, either study variables are : qualification , type of disability , the nature of the work , and verified Rewriting the validity and reliability of the instrument. study sample consisted of 62 with disabilities employed. The Results indicated to the perceptions of workers with disabilities to their working conditions were generally tend to positive, and the lack of significant differences in the qualification, and the type of disability and nature of the work.

Keywords: Persons with Disabilities, employment, perceptions, Special education.

يتطلع العاملون ذوو الإعاقة إلى ايجاد فرص عمل لهم من أجل تحقيق آمالهم وطموحاتهم، مثل أي فرد من أفراد المجتمع. ويروا أنفسهم أنهم اعضاء فاعلين ولديهم القدرة في الانتاج والابداع بحيث يشعرون بالاستقلالية والاندماج في سوق العمل، حتى يسهموا في عجلة التنمية للدولة. حيث أنّ توظيف ذوي الإعاقة هو المحصلة النهائية لعملية التأهيل، ويساعدهم ذلك في تحقيق ذاتهم ونموهم النفسي والاجتماعي السليم،

وكسب دخل يضمن لهم مستوى معين من العيش الكريم، والمساهمة في عملية التنمية الاجتماعية والاقتصادية لبلدهم. إضافة لما يحقق من إدماج له في مختلف مناحي الحياة (الزارع، 2011)

وعلى المستوى الدولي يلحظ بأنّ مشكلة توظيف المعاقين لم يجر حلها حتى الآن بشكل كامل، حتى لو أنّ هذه الوظائف متاحة لهم، واذا توفرت فرصة العمل فإنها تكون دون المستوى المطلوب. بالرغم من دعوات المواثيق والاتفاقيات حول ذلك، مما لهذه الخطوة من أثر في دمج هؤلاء الأشخاص في الحياة الاجتماعية والاقتصادية .

أمّا على مستوى البلدان النامية فالوضع أكثر سوءاً وفرص العمل في السوق ضئيلة، على الرغم من وجود القوانين والأنظمة والتشريعات التي تشجع على توظيف هذه الفئة من المجتمع.

ومن الضرورة بمكان معالجة هذه المشكلة بتكاتف جهود جميع الجهات المعنية الحكومية والاهلية والقطاع الخاص من ناحية التخطيط الاجتماعي والاقتصادي وتشجيع أرباب العمل على توظيفهم من أجل تحسين الظروف الاقتصادية والاجتماعية لهذه الفئة، كما تنادي بذلك منظمة العمل الدولية والتي بنيت في عام 1983م اتفاقية 159 وتوصية 168 والتي تتعلق بتأهيل وتوظيف المعوقين، حيث تؤكد الاتفاقية " أنّ على الحكومات ضمان توفير فرص عمل مناسبة للمعوقين، وتعزيز فرص العمل في سوق العمل المفتوح، وكذلك تنص توصية منظمة العمل الدولية أيضاً على ضرورة أن يتمتع الأشخاص ذوو الإعاقة بالمساواة في فرص العمل والمعاملة وسهولة الوصول، والاحتفاظ والتقدم في العمل، قدر الامكان مع الأخذ بعين الاعتبار توظيفهم (Sam,Niwa.1997).

هناك عدّة تشريعات دولية ومحلية تؤكد ضرورة توظيف المعاقين بعد أن يتم تدريبهم وتأهيلهم مهنياً وتالياً أهم التشريعات التي تسهم في ذلك:

اتفاقية التأهيل المهني والتشغيل للأشخاص المعاقين (منظمة العمل الدولية): في مؤتمرها الذي عقد في جنيف بسويسرا عام 1983م، أقرت منظمة العمل الدولية اتفاقية تأهيل الأشخاص (المعاقين) وتوظيفهم، حيث تعرّف المادة الأولى الشخص المعاق بأنه ذلك الفرد الذي بسبب إعاقته الذهنية أو الجسدية يعجز عن تأمين القدرات، والاحتفاظ بها، وتطويرها في عمل مناسب، وعلى ضوء هذا التأهيل المهني يعني تمكين الشخص من تأمين قدراته والاحتفاظ بها، وتطويرها في عمل مناسب له ودمجه أو إعادة تأهيله في المجتمع، وأكدت الاتفاقية على أنّ كل دولة عضو في المنظمة في ضوء ظروفها الوطنية وإمكاناتها، مراجعة وتفعيل سياساتها الوطنية في التأهيل المهني والتوظيف للأفراد المعاقين. وهذه السياسات يجب أن يكون هدفها ضمان تأهيل مهني مناسب لكل فئات الإعاقة وتفتح لهم مجالا في فرص التوظيف في سوق العمل المفتوح. كما أنّ على هذه السياسات أن تعتمد على أساس المساواة في الفرص بين العمال المعاقين والعمال من غيرهم. وتؤكد المادة السابعة من الاتفاقية على أن تلتزم كل الجهات المسؤولة بتقديم وتقييم برامج الارشاد المهني، والتدريب المهني، وتحديد مكان العمل، والتوظيف، والخدمات الأخرى ذات العلاقة لزيادة قدرات الشخص المعاق بالحصول على وظيفة مستقرة وآمنة ويمكن الارتقاء بها إلى مستويات أعلى، مع

ملاحظة تعديل المؤسسات والخدمات القائمة لتتفق وقدرات الأشخاص المعاقين. أمّا الجزء الثالث من الاتفاقية فيؤكد على دور المجتمع في التشغيل وفي المشاركة وفي تنفيذ بنود هذه الاتفاقية (الفوزان،2010).

اتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة (الأمم المتحدة): تهدف اتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة الصادرة بقرار عن الأمم المتحدة رقم 611/61 ديسمبر عام 2006م إلى تعزيز وحماية وضمان تمتع جميع الأشخاص ذوي الإعاقات تمتعا كاملا على قدم المساواة مع الآخرين بجميع حقوق الإنسان والحريات الأساسية وتعزيز احترام كرامتهم المتأصلة . وقد بنيت مبادئ الاتفاقية على أساس احترام كرامة الأشخاص المتأصلة واستقلالهم الذاتي بما في ذلك عدم التمييز، تكافؤ الفرص والمساواة بين الرجل والمرأة . هذا وقد نصت المادة 27 من الاتفاقية الخاصة بالعمل والعمالة على أنه "تعترف الدول الأعضاء بحق الأشخاص ذوي الإعاقة في العمل، ومساواتهم مع الآخرين، ويشمل هذا الحق إتاحة الفرصة لهم لكسب الرزق في عمل يختارونه أو يقبلونه بحرية في سوق عمل وبيئة عمل منفتحتين أمام الأشخاص ذوي الإعاقة وشاملتين لهم ويسهل انخراطهم فيها. وتحمي الدول الأطراف العمال وتعزيز فرص العمل والتقدم الوظيفي في سوق العمل، وتمكينهم من الحصول على البرامج العامة للتوجيه التقني وخدمات التوظيف والتدريب، بما في ذلك حق أولئك الذين يصابون بإعاقات خلال عملهم. وذلك عن طريق اتخاذ الخطوات المناسبة، بما في ذلك سن التشريعات" (وادي، 2009 و الفوزان،2010).

يعتبر السعي نحو العمل هو حق تحميه التشريعات وحقوق الانسان وتحصنه بجملة من القوانين لما له من فوائده المتعدّدة الشخصية والاجتماعية. وعلى سبيل المثال قامت الولايات المتحدة الأمريكية بجملة من التشريعات حول حق المعوقين في العمل وحمايتهم وحقهم في التأهيل المهني. وبموجب هذه التشريعات جعلت المعوقين يعاملون كالعاديين في العمل، مثل عدم التمييز والعمل بدوام كامل. كما ألزم القانون الشركات بتقديم الخدمات وبرامج التأهيل الخاصة والتعويضات، وأن يكون العمل على مقربة من منزل المعوق، مع توفير وسيلة للنقل، وتحقيق السلامة الجسدية، وإتاحة فرص الترقية في العمل كالعاديين (علي،2011)(Sakui,2007:66).

أورد (علي،2011) أن ساكيو Sakui تحدث عن عدّة عوامل هامة تشكل قضية مهمة في توظيف المعوقين، وتؤثر سلباً وايجاباً في عمل المعوقين وهي: الاعتبارات الشخصية والأسرية، وطبيعة ونوع العمل، والمجتمع. وهذه الاعتبارات يوجد فيها ما يساعد على العمل أو يعيقه. فهنالك تحديات وصعوبات وظيفية ترتبط بالعوامل الشخصية والاسرية وهي العوامل الضرورية لاكتساب الوظيفة والاحتفاظ بها مثل موقف الاسرة من العمل، والثقة بالنفس والخوف من الفشل والاحباط، واحترام الذات. وهنالك العوامل التي تتعلق بطبيعة ونوع العمل والزملاء ومدى ملائمته للمعوق ..... الخ.

أمّا العوامل التي تتعلق بالمجتمع، فتتمثل في الآراء الايجابية أو السلبية الخاطئة للمحيطين والمجتمع الخارجي والتي قد يتضح تأثيرها السلبي قي استخدام القيود الوظيفية ضد عمل المعوقين. وغالباً ما يتلقى الشباب المعوقين الآراء السلبية من الآخرين التي تؤثر على تقديرهم لذاتهم، وتؤدي إلى العزلة والوحدة الاجتماعية والاعتمادية. إذ أنّ عدم الوعي الذي قد يشارك فيه المجتمع من دون قصد يؤكد العجز وعدم

القدرة والمبادرة من ذويهم في اتخاذ القرارات وانعدام الفرص الاجتماعية، ويترتب عليها زيادة فترة بقاءهم في المنزل وزيادة الاعباء المادية على الأسرة (Karen, et.,al., 2005:103)

بناءً على ما تقدم يمكن القول بأنّ توظيف ذوي الإعاقة يواجهه عدد من الصعوبات والتحديات، من بينها مدركات واتجاهات المعاقين نحو العمل مع وجود كل تلك الصعوبات والعوائق المؤثرة في عمل هذه الفئة من المجتمع، وحيث أنّ تأثير العوامل السابقة قد يختلف من مجتمع إلى أخر، فقد جاءت هذه الدراسة، للتعرّف على مدركات ذوي الإعاقة من العاملين في القطاعين العام والخاص، الا أنّ هذا وحده قد لا يكون كافياً لتمكين empowerment هذه الفئة من العمل بشروط وظروف تسمح لهم بتحقيق ذواتهم وتحسين صورة الذات لديهم ومصلحة أفراد منتجين مشاركين ومندمجين في مجتمعاتهم. فالعمل على جعل مدركاتهم للعمل وظروفه والنظر اليه كوسيلة أساسية من وسائل تحقيق الذات يبدو أمراً بالغ الأهمية. ورغم أنّ الدراسات كثرت حول شروط العمل والتشريعات الخاصة بذلك وغيرها من الجهود، الا أنها في مجال فهم ومعرفة المتغيرات المؤثرة في مدركات وتصورات هذه الفئة بخصوص العمل كانت أقل مما ينبغي. ولا بد من النظر في هذه المشكلة بعين الجدية والواقعية، وايجاد حلول مناسبة تساعد في توفير فرص وظيفية لهم وتذليل صعوبات توظيفهم ودعم عملية التوظيف وتفعيل الأنظمة والتشريعات التي تؤكد ضرورة توفير فرص عمل لهم حتى يتمكنوا من الاندماج في المجتمع، وجاءت هذه الدراسة بهدف معرفة مدركات العاملين من ذوي الإعاقة لظروف عملهم في المملكة العربية السعودية.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في معرفة مدركات العاملين من ذوي الإعاقة لظروف عملهم، وكذلك تزويد أصحاب القرار من تأهيل وتوظيف الأشخاص ذوي الإعاقة في مهنة تناسب قدراتهم العقلية والجسدية، والالتزام بالخدمات والتشريعات الصادرة لصالح ذوي الإعاقة من أجل تحقيق مبدأ المساواة وحماية حقوق ذوي الإعاقة التي تطلب من أصحاب العمل، كما تكمن أهمية الدراسة في محاولة الوقوف على معرفة المدركات السلبية ووضع خطط وبرامج توعية وتثقيفية لتعديل تلك المدركات وتزويد أصحاب العمل بنتائج الدراسة الحالية للمساهمة في تلبية احتياجات الموظفين من ذوي الإعاقة ومراعاة ظروفهم.

يمكن الاشارة إلى الأهمية الكبيرة لتوفير فرص عمل مناسبة للأشخاص ذوي الإعاقة بعد التعليم والتدريب والتأهيل المناسب نظراً للدور الذي يقع على عاتقه من دفع عجلة الاقتصاد وأن يكون عضو فاعل في المجتمع ومن حقه في الحصول على وظيفة وأن يستقل اقتصادياً ويتزوج ويكون أسرة، كما أنه يتحرر من الضغوطات النفسية التي يتعرض لها في حالة البطالة. وبعد ذلك فإن النظرة إلى العمل سوف تتغير من الدعوة لعمل المعوقين إلى طبيعة العمل والأجر ومدى مناسبته له، والعمل بدوام كامل.

يتلقى الاشخاص ذوي الإعاقة تعليم وتدريب وتأهيل، وبعد ذلك يقع في حيرة من أمره، ويردد جملة من التساؤلات مثل: هل سيبقى طوال عمره في المنزل؟، وهل يمكن أن يعمل؟ وما نوع العمل؟ وهل سيرحب به في العمل وكذلك المجتمع(علي،2011).

مشكلة الدراسة:

ينظر إلى تقدم الدول ورقيها من خلال اهتمامها ورعايتها لذوي الإعاقة، وقد كفلت الدول حقوق ذوي الإعاقة بسن التشريعات والقوانين برعايتهم وتعليمهم وتأهيلهم وتدريبهم وتشغيلهم، ومن حقهم الحصول على عمل في مختلف القطاعات، من أجل توفير سبل العيش الكريم، بما ينعكس عليهم ذلك بشكل ايجابي، بحيث يصبحوا منتجين وفاعلين في المجتمع بدلاً من أن يكونوا عبئا عليه، وهم قادرون على العطاء والانتاج في حالة توفير الظروف المناسبة لهم. وأورد علي (2011) أنّ روهمر و لوفيت (Rohmer and Louvet,2009) قد أشارا إلى أنّ المعوقين يعتقدون أنّ الآخرين يتوقعون منهم على الأغلب سلوكاً غير مقبول، وأنّ ما يصدر عنهم من مواقف ايجابية تكون قليلة ومن قبيل الصدفة ولهذا لا يتوقعون منهم نجاحاً في العمل.

استناداً على ما تقدم؛ جاءت فكرة الدراسة الحالية لمعرفة مدركات العاملين من ذوي الإعاقة لظروف عملهم في الرياض وفق متغيرات (المؤهل، نوع الإعاقة، طبيعة العمل)

أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة الحالية في التعرّف على وجهة نظر العاملين من ذوي الإعاقة لظروف عملهم في مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية، والتعرّف على واقع توظيفهم، بالإضافة إلى التوصل إلى مقترحات وحلول لمواجهة تلك المعيقات من وجهة نظر أفراد الدراسة، من خلال متغيرات الدراسة (المؤهل، فئة الإعاقة، طبيعة العمل)

أسئلة الدراسة:

من خلال مراجعة الادب النظري حول الموضوع تمّ صياغة مشكلة الدراسة من خلال الاسئلة البحثية التالية:

السؤال الأول : ما مدركات العاملين من ذوي الإعاقة لظروف عملهم؟

السؤال الثاني: هل توجد فروق دالة إحصائياً بين متوسط مدركات العاملين من ذوي الإعاقة لظروف عملهم وذلك وفقاً لاختلاف المؤهل الدراسي (ثانوية عامة فما دون، بكالوريوس فما فوق)؟

السؤال الثالث: هل توجد فروق دالة إحصائياً بين متوسط مدركات العاملين من ذوي الإعاقة لظروف عملهم وذلك وفقاً لاختلاف فئة الإعاقة(سمعية، بصرية، جسمية وصحية، أخرى)؟

السؤال الرابع: هل توجد فروق دالة إحصائيا في مدركات العاملين من ذوي الإعاقة حول طبيعة العمل المتوفرة لهم تعزى لمتغير طبيعة العمل (مكتبي، ميداني)؟

التعريفات الإجرائية:

المدركات: الدرجة التي حصل عليها المستجيب على أداة الدراسة الحالية والتي تتكون من المجالات التالية: (الرغبة في العمل، التأهيل، فرص العمل المتوفرة، وجهة نظر المجتمع، الدخل، امتيازات العمل.

العاملون ذوو الإعاقة: الأشخاص العاملون ولديهم إحدى الاعاقات التالية إعاقة سمعية، أو إعاقة بصرية، أو بدنية، أو أي إعاقة أخرى

العمل: وسيلة كسب للعيش الكريم والاعتماد على الذات والاستقرار للأفراد من ذوي الإعاقة في مؤسسات وشركات في مدينة الرياض

محددات وحدود الدراسة:

محددات الدراسة: العينة غير عشوائية، وكذلك صغر حجمها، نظراً لعدم توفر معلومات كافية اضطر الباحث إلى أخذ المعلومات بهذه الطريقة عن طريق الاتصال مع المؤسسات والشركات ومراكز التأهيل.

الحدود المكانية: تطبيق الدراسة على الموظفين من ذوي الإعاقة والذين يعملون في مجالات مختلفة في مدينة الرياض

الحدود الزمانية: طبقت هذه الدراسة خلال الفصل الدراسي الاول 1435/1434 هـ

الحدود الموضوعية: حاولت هذه الدراسة القاء الضوء على مدركات العاملين من ذوي الإعاقة لظروف عملهم تبعاً لعدد معين من المتغيرات وهذه المتغيرات هي (المؤهل، العمر، نوع الإعاقة، طبيعة العمل) من خلال استبانة تمّ إعدادها من قبل الباحث.

الحدود البشرية: اقتصرت الدراسة على الموظفين من ذوي الإعاقة في مدينة الرياض .

الخلفية النظرية :

يقدر عدد الأشخاص المعوقين في العالم ممن بلغوا سن العمل 386 مليون نسمة. وترتفع نسبة البطالة بينهم في بعض البلدان إلى 80%، وغالباً ما يواجهه المعوقون بأنهم غير قادرين على العمل وتحمل تبعاته، فعلى الرغم من حرمان ذوي الإعاقة الحياة الطبيعية بسبب إصابتهم، وتحملهم نظرة المجتمع لهم ونعتهم بالنقص، كما أنهم تحملوا نظرات العطف والشفقة من المجتمع من دون أن يقدموا لهم مساعدة فعلية، ومن خلال تحديهم لهذه الأنواع من الاعاقات والتي يعتبرها البعض عجزاً، الا أنهم أثبتوا أنهم قادرين على خوض خضم الحياة من أجل تحسين أوضاعهم، وعلى تحمل صعوبات العمل من أجل تحسين أوضاعهم واقناع المجتمع وأصحاب العمل بأنهم أعضاء فاعلون فيه، وأنهم يحبون العمل من أجل رفعته كما يحبها الآخرون، وتخصصوا في شتى المجالات والصنع الحرفية ومجالات التجارة المختلفة من سوق العمل، ولم تعقهم الإصابات من السعي وراء الحصول على مبتغاهم(القريوتي،2009 و الصقعبي،2011). لكن الكثير من توصيات المؤتمرات التي عقدت بشأن ذوي الإعاقة أشارت بضورة الاهتمام بعمل الاشخاص ذوي الإعاقة وتأهيلهم بشكل مناسب، لأنّ ذلك يساعدهم على إيجاد فرصة عمل.وفي تقرير أعدّه مركز الفينيق للدراسات الاقتصادية والمعلوماتية المرصد العمالي في الأردن عام 2009م عن تدني شديد في مستويات تشغيل ذوي الإعاقة في القطاعين العام والخاص، وأشار إلى أنّ معدّلات التشغيل في القطاع الحكومي أعلى منها في القطاع الخاص.

ويرى الزارع (2013) أنه في العالم العربي لا يعمل من ذوي الإعاقة سوى 0.1% من المعاقين الذين يستطيعون العمل، على العكس من ذلك بعض الدول الاجنبية التي زاد فيها عدد العاملين من ذوي الإعاقة في القطاع العام حيث وصل عددهم عام 2004م إلى 840.000 كما أشار اليه ميشيل وباتركا 2005م. كما وضحوا أنّ هناك اتجاه يعزز عدد الموظفين ذوي الإعاقة في القطاع العام(ص:122).

أمّا في المملكة العربية السعودية فقد تمّ سن قوانين وتشريعات بحيث تلزم أصحاب العمل بتشغيل المعوقين بنسبة 5% في القطاع العام و20% في القطاع الخاص، من المواطنين السعوديين. أي أنّ توظيف شخص من ذوي الإعاقة مماثل لتوظيف أربعة أشخاص من العاديين في القطاع الخاص بهدف إيجاد فرص عمل في القطاعين الحكومي والخاص، حسب قدرات وإمكانات المتقدمين من ذوي الإعاقة، وذلك حسب مؤهلاتهم وخبراتهم. وسوق العمل السعودي يعاني من تناقص في فرص العمل في مؤسسات قطاع الاعمال العام، على الرغم من وجود قانون يضمن الحق المكفول لذوي الإعاقة من ناحية التوظيف، فقد نص قانون العمل الصادر بالمرسوم الملكي رقم (51) على: كل صاحب عمل يستخدم 25 عاملاً فأكثر، وكانت كبيعة العمل لديه تمكنه من تشغيل المعوقين الذين تمّ تأهيلهم مهنياً أن يشغل 4% على الأقل من مجموع عدد عماله المعوقين المؤهلين مهنياً سواء كان ذلك عن طريق ترشيح وحدات التوظيف أو غيرها. وعليه أن يرسل إلى مكتب العمل المختص بياناً بعدد الوظائف والأعمال التي يشغلها المعوقون الذين تمّ تأهيلهم مهنياً، وأجر كل منهم" (الصقعبي،2011).

ومن هنا يعتبر توظيف الفرد ذوي الإعاقة المحصلة النهائية للعملية التأهيلية، مما يساعده في تحقيق ذاته ونموه النفسي والاجتماعي السليم، وكسب دخل يضمن له مستوى معين من المعيشة، والمساهمة في عملية التنمية الاجتماعية والاقتصادية لبلده، إضافة لما يحقق التشغيل من إدماج له في جميع مناحي الحياة(الزارع، 2013).

إنّ العمل يساعد الشخص على احترامه لذاته عندما يعمل، ويساعد كذلك في دخول الشخص في جماعات مختلفة، ومنشطاً للعمل الاجتماعي. وقد أشار (الأسمر،2005) إلى جملة من النقاط تجعل للعمل أهمية للأفراد ذوي الإعاقة وهي:

1.التخفيف من البطالة بين ذوي الإعاقة ومجموع القوى العاملة.

2. الحد من الفقر والحرمان والتهميش الاجتماعي ويساعد ذوي الإعاقة وأسرته على تحسين مستوى المعيشة من خلال الدخل.

3. رفع المستوى التكيفي وإقامة علاقات اجتماعية وصداقات.

4. التقليل من الإحساس بالإحباط والكآبة ومن مستوى الشعور بالعجز والخوف والقلق.

5. يقلل من حجم الإعانات الحكومية ونفقات الخدمات الاجتماعية .

6. بناء مدركات ايجابية لدى أصحاب العمل والمجتمع تجاه المعوقين.

7.تعزيز ثقة الفرد بنفسه ورفع مستوى احترام وتقدير الذات.

8. تحقيق الاستقرار الاجتماعي.

هذا وقد ذكر (علي، 2011) إلى أهمية العمل للأشخاص ذوي الإعاقة بأنّ العمل يعطي معنى للحياة ويزود بالاحترام فيعطي قيمة للإنسان والاحساس بالجدارة الذاتية والحصول على الخبرات الجديدة وتعلم الافكار والمهارات، اضافة إلى المشاركة الاجتماعية، بحيث يصبح العمل مقياس الفرد لوضعه الاجتماعي.

ويستمد الأشخاص ذوي الإعاقة من العمل العديد من المنافع الشخصية الملموسة وغير الملموسة ؛ وتشمل الملموسة: المبالغ النقدية والدعم المادي.... بينما تكون المنافع غير الملموسة مثل: تقدير واحترام الذات. والثقة بالنفس وغرس الشعور بالانتماء، وانخفاض السلوكيات المضادة للمجتمع، وأخيراً وأهمها الاستقلال المالي، والاحساس بالحرية الاقتصادية. وهذا لن يأتي الا من خلال العمل، فالعمل بشكل عام يولد فوائد اجتماعية واقتصادية وسياسية، حيث يسهمون في بناء المجتمع وضخ أموال في مجرى الاقتصاد (Sakui,2007). كما يزيد بدوره من مستوى المعيشة، مساهمته الاجتماعية والاقتصادية ويعزز شعور المعوق بقيمة الذات. كما يساعد العمل في الترقية للمعوقين، ولذلك فمن الضروري تمكين هؤلاء الأشخاص للحصول على الوظائف المناسبة والحفاظ عليها، كما يقلل الانتكاسات والشعور بالانطواء اذا بلغوا سن العمل والتوظيف (Ibid,55).

إنّ الأشخاص ذوي الإعاقة يمكنهم التدريب على بعض الاعمال والمهارات التي تساعدهم على الاستقلال الاقتصادي، وأثبتت الدراسات أنّ المهارات التدريبية التي اكتسبوها في مرحلة التأهيل المهني تساعدهم في الحصول على فرص عمل وبالتالي نجاحهم فيها. وينجح تشغيل ذوي الإعاقة إذا ما تمّ الاعتراف بأنّ الشخص المعاق كأقرانه لديه قدرات واستعدادات شخصية أكثر مما لديه من عجز(القريوتي والبسطامي،1995). فقط يحتاج ذوي الإعاقة إتاحة الفرصة لهم لكي يكون لهم دور فاعل ومنتج في المجتمع (عبيد،2007).

وذكر الغرير ويوسف (2010) بأحقية ذوي الإعاقة في العمل نظراً للفوائد الاجتماعية والاقتصادية والنفسية؛ فمن الناحية الاجتماعية ومن خلال المشاركة في عمل معين يكسب ذوي الإعاقة احترام الاخرين له، كذلك يكتسب احترامه لذاته فتتحقق الفائدة النفسية، وأخيراً يحقق العمل توفير دخل ثابت لذوي الإعاقة يواجه بها مصاعب الحياة وينعكس ذلك على الجانب الاقتصادي في حالة توظيفهم. كما أنّ التوظيف يهدف إلى اعتماد ذوي الإعاقة على أنفسهم وتأمين المعيشة لهم، فإحساس الفرد المعاق بأنه قادر على كسب عيشه بنفسه كفيل بتحسين كفاءته وقدراته وبالتالي يكون قادراً على التكيف الاجتماعي(المغلوث،1999).

كما توفر بيئة العمل فرص للتواص الاجتماعي والاندماج مع الآخرين، كما تتغير النظرة السلبية تجاه المعاقين. إذن يمكن القول أنّ تشغيل ذوي الإعاقة هو استثمار لطاقاتهم وذلك بتمكينهم من الحصول على عمل يتناسب مع قدراتهم والاستمرار فيه، لذا يجب اختيار المهن التي تناسب قدراتهم وتشبع ميولهم ورغباتهم وأن تكون ذات صلة باحتياجات الدولة وتناسب سوق العمل (الفوزان والرقاص، 2009).

ويعتبر توظيف ذوي الإعاقة المحصلة النهائية لعملية التأهيل المهني، ويساعده ذلك في تحقيق ذاته ونموه النفسي والاجتماعي السليم، وكسب دخل يضمن له مستوى معين من العيش الكريم، والمساهمة في عملية التنمية الاجتماعية والاقتصادية لبلده. بالإضافة إلى تحقيق الدمج في مختلف مناحي الحياة (الزارع، 2013)

وحتى يتحقق التشغيل الحقيقي لذوي الإعاقة لا بد من توافر الشروط التالية:

- إيجاد فرص عمل لذوي الإعاقة متساوية لفرص الأفراد العاديين.

- التركيز على قدرات وإمكانات الأفراد ذوي الإعاقة بدلاً من التركيز على جوانب العجز.

- توفير فرص عمل مناسبة لقدرات وإمكانات ذوي الإعاقة من قبل أصحاب العمل(عبيد،2007).

الدراسات السابقة:

أجريت العديد من الدراسات حول مدركات العاملين من ذوي الإعاقة لظروف عملهم، وسوف يتم عرض بعض الدراسات العربية والاجنبية حسب تسلسلها التاريخي ذات العلاقة بموضوع الدراسة.

قام سام (Sam,niwa,1997) بدراسة عنوانها "**اتجاهات المعاقين نحو فرص العمل المتاحة**". هدفت إلى التعرّف على حقوق ذوي الإعاقة في التوظيف، مع دعوة منظمة العمل الدولية إلى ذلك وحاولت الدراسة معرفة الاتجاهات العالمية في تأهيل وتشغيل ذوي الإعاقة، وتوفير فرص العمل عن طريق نظام الكوتا، ودعم التوظيف وحماية العمل من المنافسة في سوق العمل المفتوح، والتأهيل المجتمعي، والذي تتبناه كثير من دول العالم، بالإضافة إلى الاشارة إلى التعرّف على معوقات عملية التوظيف.

وفي دراسة قام بها كل من جودي وميشيل ولهلي (Jodi L. Saunders, Michael J. Leahy, and Kenneth A. Frank, 2000) بعنوان **أثر برامج التأهيل المهني على مفهوم الذات للعاملين من المعوقين**، هدفت الدراسة الحالية إلى معرفة ما إذا كانت المشاركة في فرص العمل والعمل الشامل تؤثر بشكل ايجابي على مفهوم الذات لدى ذوي الإعاقة الذين شاركوا في برامج التأهيل المهني في متشغان، استخدم المنهج شبه التجريبي، وطبق مقياس تنيسي لمفهوم الذات قبل وبعد البرنامج . أشارت النتائج إلى وجود أثر في ارتفاع معدل مفهوم الذات لصالح المجموعة التجريبية على المقياس البعدي. ولا توجد فروق في مفهوم على مجال العمل الأكاديمي.

أمّا الدراسة التي أجريت من قبل باول وهمان Paul Wehman (2003) بعنوان **دمج العاملين من ذوي الإعاقة وزملائهم في العمل معا**. فقد هدفت الدراسة إلى مساعدة الموظفين المهنيين الذين يتلقون الدعم بالإضافة إلى تعزيز مخرجات الدمج مع ذوي الإعاقة، حيث أنّ الدمج في بيئة العمل مؤشر جودة على تقدم برنامج توظيف الأفراد من ذوي الإعاقة. ولا بد من التأكد من عدة أمور في حالة دمج ذوي الإعاقة مع زملائهم من العاديين وهي :

1.وصف مؤشرات وخصائص الدمج المهني

2.تقييم إجراء فرص الدمج في مكان العمل والخصوصية الاجتماعية للفرد.

3.عرض استراتيجيات مميزة لتحسين الدمج مستقبلاً

كما تؤكد الدراسة الحالية على ضرورة التقييم المستمر والمنهجي، فيما اذا كان هناك رغبة في تحقيق الدمج والمحافظة عليه.

وقام (الخولي،2003) بدراسة هدفت إلى **معرفة خصائص المعوقين ودراسة مقارنة بين المعوقين الذين يعملون بالمعاقين غير العاملين**، والتعرّف على تأثير بعض الخصائص الخاصة بخلفية المعاقين، والعمل على التنبؤ بحالة العمل من خلال الخصائص التي قد تساهم في زيادة حصول المعاق على فرصة عمل. وأشارت النتائج إلى وجود فروق في خصائص العاملين من المعاقين ومن غير العاملين لصالح المعاقين العاملين، وأنّ لبعض الخصائص قدرة تنبؤية بكون المعاق يعمل أو لا يعمل، فمتغير السن كان له الأثر الأكبر في زيادة التنبؤ بحصول المعاق على فرصة عمل، ثم متغير عدد سنوات الدراسة وهذا يرجع إلى أنّ ثقافة المعاق ودرجة تعليمه تلعب دوراً كبيراً في سوق العمل الحالي.

وفي دراسة عبدالجبار (2004) بعنوان **"اتجاهات معلمي الصم نحو المهن الخاصة بالصم وعلاقتها ببعض المتغيرات الديموغرافية"** هدفت إلى التعرّف على المهن الملائمة لتشغيل الصم حسب ما يراه الطلاب الصم ومعلموهم وأثر متغيرات (العمر، نوع المدرسة، المرحلة الدراسية، والخبرة) على اتجاهاتهم نحو تلك المهن. استخدم المنهج الوصفي التحليلي، تكوّنت عينة الدراسة على 336 معلماً. وقد أشارت النتائج إلى: أهمية كبيرة لجميع المهن بالمقياس. وكذلك وجود فروق دالة نحو المهن الملائمة للصم باختلاف نوع المدرسة والمرحلة الدراسية والخبرة.

وفي دراسة ميدانية قام بها مشهور (2005) في قطر هدفت إلى **التعرّف على إمكانية توظيف ذوي الإعاقة في سوق العمل القطري**، ومعرفة معوقات توظيفهم في مؤسسات القطاع الخاص. وأشارت النتائج إلى أنّ هناك مؤسسات تسعى إلى ايجاد عمل مناسب لذوي الإعاقة وتسعى هذه الشركات إلى البحث عن المعاقين المؤهلين للعمل فيها، ومن معوقات التوظيف لذوي الإعاقة عدم توفر التسهيلات الخاصة بالمعاقين كعدم وجود مواقف خاصة لسياراتهم، ومصاعد، واللافتات الخاصة بهم، وغيرها.

أمّا دراسة عبدات وبشيتي (2006)، التي هدفت إلى التعرّف على المشكلات التي تواجه تشغيل المعاقين في الإمارات العربية المتحدة من وجهة نظرهم حسب متغيرات (العمر، الجنس، العمل) على عينة من 67 فرداً من ذوي الإعاقة الذين تخرجو من أقسام مراكز التأهيل المهني والتشغيل، وأشارت النتائج إلى أنّ أهم المشكلات التي تواجه تشغيل المعاقين هي نظرة المجتمع أمام تشغيلهم.

دراسة روبرت وآخرون (Robert,et,. Al.,2008) لمعرفة **آليات التمييز بين المعوقين بسبب الإعاقة وعدم المساواة في مكان العمل**، وهدفت الدراسة إلى التعرّف على الحواجز والمعوقات عند موظفي الحكومة المعوقين من خلال أخذ آراء المعوقين أنفسهم الذين على رأس عملهم، وأشارت النتائج وجود العديد من المعوقات مثل: مسألة التمييز في عملية التوظيف. وتهميش المعوقين في العمل بحجة نقص خبرته، ويليها تولي أعمال ذات صفة نمطية متكررة، كما يقابلون بالمزاح والسخرية والتحرش، وكذلك تجاهل الزملاء في العمل

والمشرفين لهم. وعزلهم، مما يكونوا الضحية في حالة وجود خطأ أو في حالة تقليل أعداد الموظفين أو في حالة إعادة هيكلة مؤسسة العمل. (علي 2011.

وفي دراسة لدونلي وجيفن Donelly Michelle & Given Fiona.(2010) بعنوان **برامج التوظيف والمهنيين من ذوي الإعاقة** والتي تتحدث عن تجربة أحد الاشخاص المعاقين من ذوي الإعاقة البدنية وتجربته بعد تخرجه في تخصص المحاسبة حيث كان يسعى إلى الحصول على دعم العمالة في السوق المفتوحة، وبمراجعة الادبيات التي تتحدث عن المبادئ والممارسات الموصى بها في فعالية السوق المفتوحة وبرامج النمو المهني . استخدمت منهجية دراسة الحالة لوصف وتحليل الخبرة التي عاشتها الحالة في البحث عن وظيفة وتحليل الخبرة وارتباطها مع الاجراءات والممارسات الموصى بها. أكدت نتائج الدراسة وجود مخاوف في الخبرة حول برامج التوظيف المدعوم وفعاليته، والمحصلة أنّ خدمات التوظيف في السوق المفتوح تعتمد على مدى استقلالية الفرد. وتركز على إمكانات المعاق وأداءه ونسبة العجز لديه. كما أنّ نجاح العمل في السوق المفتوح يتطلب ممارسة فعالة كما يراها ذوي الإعاقة ليتمكنوا من تأمين فرصة عمل.

وفي دراسة قام بها كل من مليسا وسوزان وسارا واندريو وانطونيوو دوجلاس Melissa J. Bjelland &Susanne M. Bruyere & Sarah Von Schrader & Andrew J. Houtenville & Antonio Ruiz- Quintanilla & Douglas A. Webber.(2010) بعنوان **العمر والتميز في التوظيف نحو المعاق**: الآثار المترتبة على التأهيل المهني هدفت الدراسة إلى أنّ هناك زيادة في المخاوف من نقص العمالة بسبب التقاعد، وبالتالي من الأهمية بمكان أن يتم البحث عن توظيف ايجابي غير مستغلين خاصة من العمال المعاقين ومن كبار السن. حيث أنّ لديهم قدرات يمكن أن تساعد أخصائي التأهيل، ومساعدة أرباب العمل على مواجهة التحديات المتوقعة نتيجة التطور الكبير في العمل. أشارت النتائج إلى أنّ مطالبات العمال الموظفين من كبار السن أو المعوقين في التميز تتركز في الترتيبات والتسهيلات، والثأر وإنهاء الخدمة. ووجود علاقة ارتباط مشترك بين العمر والإعاقة . أرشيف ال ADA تشير إلى حالات الاضطرابات النفسية، وفي قضايا المرفوعة عليهم. وعند مقارنة ذلك بين ال ADA و ADEA نجد أنها تكوّن من الأفراد الأكبر سناً من الذين يعتقدون أنّ هناك تميز وإنهاء الخدمات، ويكون أكثر من الشركات الصغيرة. وبناء على ذلك نرى بأنّ ممارسات التأهيل والعمل لدى كبار السن والمعاقين تحتاج إلى مراجعة ومناقشة من أجل توظيفهم وضمان مستقبلهم الوظيفي.

وفي دراسة قام بها راتزون وشجتر (Ratzon,N.,& Schetjer,2011) بهدف التعرّف على **مدى استعداد الشباب من ذوي الإعاقة للقيام بالأعمال الحركية**، تمّ تقييم أداء العمل الذي يحتاج إلى حركة من خلال المقارنة بين مجموعة مكونة من (13) شاب من ذوي الإعاقة مع مجموعة أخرى مكونة من (13) شاب من العاديين. فقد أشارت نتائج الدراسة إلى أنّ أداء وحركة الشباب من ذوي الإعاقة كانت أقل من متطلبات الوظائف الاساسية كالقوة الديناميكية، وقوة اليد، والمهارات الحركية الدقيقة بالإضافة إلى أنهم يواجهون تحديات أثناء عملية التوظيف ومن بينها العوائق الحركية، وبالرغم من أنها شيء ثانوي، إلا انه يتم توظيفهم في وظائف مكتبية.

أمّا الدراسة التي قام بها كل من ستيفن وليتا وريكا (H.Stephen Kaye & Lita H. Jans & Erica C. Jones, 2011) حول **لماذا يعزف أرباب العمل عن توظيف الأشخاص من ذوي الإعاقة** بالرغم من استمرار انخفاض معدلات البطالة بين البالغين من المعاقين في سن العمل، رسمت الاتجاهات والمواقف نحو العمال المعوقين صورة وردية في بيئة العمل، مثل هذه الدراسات نجد تحيز في النتائج ويمكن أن يعود ذلك إلى ذاتية صاحب العمل أو الرغبة الاجتماعية بذلك، مما أدى إلى ظهور نتائج غير حقيقية. اعتمدت المنهجية على الدراسة المسحية للمشرفين والمتخصصين في الموارد البشرية وأرباب العمل المعروفين وسمعتهم طيبة وملتزمين بقانون ADA في توظيف ذوي الإعاقة. وحضروا دورات تدريبية تقيمها ADA وبعد الدورة تقييم الأسباب المحتملة لدى أرباب العمل من عدم توظيف المعاقين، والمحافظة عليهم، والتسهيلات لهم ومعدل الاستراتيجيات وتغيير السياسات التي تساعد أرباب العمل لدعم تشغيلهم. أظهرت النتائج أهم المعيقات في توظيف ذوي الإعاقة منها نقص الوعي بقضايا الإعاقة والتسهيلات البيئية، والتكاليف، وكذلك الخوف من المسؤولية القانونية. أمّا فيما يتعلق باستراتيجيات أرباب العمل قد يستفاد منها في زيادة التوظيف واستمراريتهم في العمل، إشارة النتائج ايضاً إلى ضرورة زيادة التدريب، والتركيز على الاعاقات والخبرات الفنية في آلية التسهيلات البيئية والتقنية للمعوقين. ويفضل المستجيبون نهج السياسة العامة والتي تشمل عدم تحمل تكاليف خارجية لحل مشكلاتهم و دعم التسهيلات البيئية، والاعفاءات من الضريبة، وحل الاشكالات بشكل ودي دون اللجوء إلى المحاكم. ويستنتج أخيراً إلى أنّ أصحاب العمل بخطوات بسيطة يمكن أن يساهموا في توظيف وبقاء العاملين من ذوي الإعاقة، بالإضافة إلى دعم وتوفير برامج أو تغيير في السياسات تساهم في زيادة توظيف البالغين من ذوي الإعاقة.

يتّضح من الدراسات السابقة وجود تنوع في متغيرات الدراسة والعينات التي تناولت عمل ذوي الإعاقة، وتختلف من دراسة لأخرى، منها دراسة مقارنة بين خصائص العاملين من ذوي الإعاقة ومن العاملين العاديين كدراسة الخولي (2003) ودراسة Paul Wehman (2003 في دمج المعاقين مع الموظفين العاديين ودراسة Ratzon,N.,& Schetjer,2011 حيث تمّ مقارنة مجموعة من ذوي الإعاقة الحركية مع مجموعة من العاديين، وكان اختيار العينات في الدراسات السابقة لعمل المعوقين ايضاً مختلف: منها ما كان موجه إلى المشرفين والمتخصصين في الموارد البشرية وأرباب العمل كدراسة (ستيفن وليتا وريكا H.Stephen Kaye & Lita H. Jans & Erica C. Jones, 2011) ومنها للمعوقين أنفسهم كدراسة Sam,niwa,1997 ودراسة Jodi L. Saunders, Michael J. Leahy, and Kenneth A. Frank, 2000. ومنها ما كان موجه للشركات مثل دراسة مشهور،2005 . ودراسات تناولت الصعوبات التي يعاني منها العاملين من ذوي الإعاقة مثل دراسة روبرت (Robert,et,. Al.,2008) حيث تحدثت عن جملة من الصعوبات مثل: مسألة التميز في عملية التوظيف. وتهميش المعوقين في العمل بحجة نقص خبرتهم، ويليها تولي أعمال ذات صفة نمطية متكررة، كما يقابلون بالمزاح والسخرية والتحرش، وكذلك تجاهل الزملاء في العمل والمشرفين لهم. وعزلهم، مما يكونوا الضحية في حالة وجود خطأ أو في حالة تقليل أعداد الموظفين أو في حالة إعادة هيكلة مؤسسة العمل. أمّا دراسة ستيفن وليتا وريكا H.Stephen Kaye & Lita H. Jans & Erica C. Jones, 2011 أشارت إلى صعوبات يواجهها العاملين من ذوي الإعاقة مثل نقص الوعي بقضايا الإعاقة والتسهيلات

البيئية، والتكاليف، وكذلك الخوف من المسؤولية القانونية، وضرورة زيادة التدريب، والتركيز على الاعاقات والخبرات الفنية في آلية التسهيلات البيئية والتقنية للمعوقين. دراسة مليسا وزملاءها Melissa J. Bjelland & Others.(2010): مطالبات العمال الموظفين في التمييز تتركز في الترتيبات والتسهيلات، والانتقام، وإنهاء الخدمة.

أمّا أدوات الدراسة فقد اختلفت من دراسة لأخرى فمنها كانت على شكل دراسة حالة (لدونلي وجيفن Donelly Michelle & Given Fiona.(2010، ودراسات مسحية (ستيفن وليتا وريكا H.Stephen Kaye & Lita H. Jans & Erica C. Jones, 2011، ودراسات مقارنة كدراسة الخولي (2003) ودراسة وهمان Paul Wehman 2003، ودراسة راتزون Ratzon,N.,& Schetjer,2011 وزميله. وكان هنالك دراسة وهمان Paul Wehman (2003 حول دمج الموظفين من ذوي الإعاقة مع زملائهم في العمل، بالإضافة إلى دراسة جودي وزملاؤهاJodi L. Saunders&Others, 2000 حول مفهوم الذات بعد تقديم برنامج تدريبي للعاملين من ذوي الإعاقة.

وأخيراً يتبين لنا أهمية إجراء الدراسة الحالية عن العمل لدى الأشخاص من ذوي الإعاقة في المملكة العربية السعودية، والتعرّف على مدركاتهم والتحديات والمعوقات التي تواجههم حتى يمكن تفاديها وإيجاد الحلول لها، من خلال أداة أعدت لهذه الدراسة تتكوّن من 44 فقرة موزّعة على 6 مجالات.

منهجية الدراسة:

إجراءات الدراسة

اتبع الباحث في هذه الدراسة أسلوب المنهج الوصفي لقياس مدركات العاملين من ذوي الإعاقة لظروف عملهم، حيث قام الباحث بتوزيع الأداة التي قام بإعدادها للحصول على المعلومات المطلوبة في الدراسة.

أفراد الدراسة:

أجريت هذه الدراسة على عينة من الأشخاص ذوي الإعاقة في مدينة الرياض في المملكة العربية السعودية، وبلغ عدد أفراد الدراسة (62) من العاملين في المؤسسات الحكومية والخاصة، علماً بأنّ باقي العاملين حاصلين على مؤهل أقل من الثانوية العامة، وتم التوصل اليهم من خلال الاتصال مع المؤسسات والشركات ومراكز التأهيل وبالتالي لا تعتبر عينة عشوائية بالمعنى المقصود وانما يمكن أن يطلق عليها العينة المتوفرة أو العينة المتاحة Covenant Sample . وقد طبقت الدراسة في الفصل الدراسي الاول 1345/1334 هـ

جدول (1)

عينة الدراسة والتكرارات والنسب المئوية حسب متغيرات الدراسة (المؤهل، فئة الإعاقة.

	الفئات	التكرار	النسبة
المؤهل العلمي	ثانوية عامة	43	69.4

	بكالوريوس	19	30.6
فئة الإعاقة	سمعية	14	22.6
	بصرية	7	11.3
	بدنية	37	59.7
	اخرى	4	6.5
طبيعة العمل	مكتبي	47	75.8
	ميداني	15	24.2
	المجموع	**62**	**100.0**

خطوات بناء أداة الدراسة

لتحقيق أهداف الدراسة تمّ بناء أداة لقياس مدركات العاملين من ذوي الإعاقة لظروف عملهم على النحو التالي:

- مسح الأدبيات من دراسات وبحوث تتعلق بمدركات العاملين من ذوي الإعاقة لظروف عملهم، من أجل اشتقاق المجالات والفقرات المناسبة لبناء الأداة.

- بناء على الأدب السابق تمّ التوصل إلى أداة الدراسة، حيث تكوّنت بصورتها الأولية من جزأين، الجزء الاول يحتوي على المعلومات الديمغرافية العامة حول المؤهل، ونوع الإعاقة وطبيعة العمل، والجزء الثاني يحتوي على فقرات الأداة وعددها (54 فقرة).

- تمّ عرض الأداة بصورته الاولية على (9) محكمين من ذوي الخبرة والاختصاص في ميدان التربية الخاصة، والقياس النفسي، للحكم على مدى مناسبة العبارات ومدى قياسها للبعد، حيث أوصى المحكمون بإجراء بعض التعديلات بحيث تمّ تقليل مجالات وعدد من الفقرات لعدم وضوحها وإعادة صياغة بعض الفقرات لغوياً.

- تمّ إجراء التعديلات التي أوصى بها المحكمون، وأصبحت الأداة بصورتها النهائية تتكوّن من 44 فقرة.

- عرضت الصورة النهائية من الأداة على المحكين ذوي الاختصاص مرة أخرى، حيث أجمعوا على ملائمة الأداة بصورتها النهائية لغايات الدراسة الحالية.

- أصبحت الأداة بصورتها النهائية تكوّن من (44 فقرة) موزّعة على 6 مجالات هي: الرغبة في العمل: 9 فقرات (1- 9)، التأهيل: 4 فقرات (10- 13)، فرص العمل المتوفرة :9 فقرات (14 – 22)، وجهة نظر المجتمع: 10 فقرات (23 – 33)، الدخل: 5 فقرات(34 – 38)، امتيازات العمل: 7 فقرات (39 – 45). وتقسم الاجابة إلى عدة خيارات (6- أوافق بشدة، 5- أوافق، 4- أميل إلى الموافقة،3- أميل إلى المعارضة، 2- معارض، 1- معارض بشدة) ويطلب من المستجيب تقدير الدرجة باختيار ما ينطبق عليه، وتصحيح جميع بنود المقياس في الاتجاه الايجابي. بحيث تمثل الدرجة الأعلى مدركات أكثر ايجابية والعكس صحيح.

متغيرات الدراسة:

المؤهل : ثانوي فأقل، جامعي فأعلى.

فئة الإعاقة: اعاقة سمعية، اعاقة بصرية، اعاقة بدنية، أخرى

طبيعة العمل : مكتبي ، ميداني

الصدق:

صدق الأداة: للتأكد من صدق أداة الدراسة تمّ استخدام الصدق المنطقي صدق المحكمين . فقد تمّ عرض الأداة على تسعة من المحكمين المختصين من أعضاء هيئة التدريس في جامعة الإمام محمد بن سعود، والجامعة الأردنية، وجامعة عمان العربية للدراسات العليا من تخصص قياس وتقويم وتخصص علم نفس وتخصص تربية خاصة، حيث طلب من هؤلاء المحكمين إبداء الرأي في فقرات الأداة إما بالإضافة أو الحذف أو التعديل بحسب ما يرونه مناسباً ووفقاً لمجريات الدراسة حيث تمّ اعتماد الفقرات التي حصلت على الأقل على نسبة (90%) من قبل المحكمين فأصبح عدد فقرات المقياس الكلي 44 فقرة.

لاستخراج دلالات صدق المقياس، استخرجت معاملات ارتباط فقرات المقياس مع الدرجة الكلية في عينة استطلاعية من خارج عينة الدراسة تكوّنت من (30) فرداً، حيث تمّ تحليل فقرات المقياس وحساب معامل تمييز كل فقرة من الفقرات، حيث أنّ معامل التمييز هنا يمثل دلالة للصدق بالنسبة لكل فقرة في صورة معامل ارتباط بين كل فقرة وبين الدرجة الكلية من جهة، وبين كل فقرة وبين ارتباطها بالمحور الذي تنتمي إليه، وبين كل محور والدرجة الكلية من جهة أخرى، وقد تراوحت معاملات ارتباط الفقرات مع الأداة ككل ما بين (0.34-0.79)، ومع المحور (0.36-0.86)، وتجدر الإشارة أنّ جميع معاملات الارتباط كانت ذات درجات موجبة وذات دلالة إحصائية، ولذلك لم يتم حذف أي من هذه الفقرات.

ثبات الأداة:

للتحقق من ثبات أداة الدراسة، فقد تمّ استخدام طريقة الاختبار وإعادة الاختبار (test-retest) بتطبيق المقياس، وإعادة تطبيقه بعد أسبوعين على مجموعة من خارج عينة الدراسة مكوّنة من (30) فرداً، ومن ثم تمّ حساب معامل ارتباط بيرسون بين تقديراتهم في المرتين.

وتم أيضاً حساب معامل الثبات بطريقة الاتساق الداخلي حسب معادلة كرونباخ ألفا، والجدول (2) يبين معامل الاتساق الداخلي وفق معادلة كرونباخ ألفا وثبات الإعادة للمحاور والدرجة الكلية، واعتبرت هذه القيم ملائمة لغايات هذه الدراسة.

جدول (2)

معامل الاتساق الداخلي كرونباخ ألفا وثبات الإعادة للمحاور والدرجة الكلية

المجال	الاتساق الداخلي	ثبات الإعادة

الرغبة في العمل	0.84	0.74
التأهيل	0.86	0.70
فرص العمل المتوفرة	0.82	0.71
وجهة نظر المجتمع	0.83	0.73
الدخل	0.82	0.73
امتيازات العمل	0.87	0.80
الدرجة الكلية	**0.86**	**0.84**

نتائج الدراسة:

هدفت الدراسة الحالية إلى الوقوف على معرفة مدركات العاملين من ذوي الإعاقة لظروف عملهم وبالتحديد حاولت الدراسة الاجابة عن الأسئلة التالية:

السؤال الأول : ما مدركات العاملين من ذوي الإعاقة لظروف عملهم؟ وللتحقق من هذا صحة السؤال تمّ استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد الدراسة، والجدول أدناه يوضح ذلك.

جدول (3)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد الدراسة مرتبة تنازلياً حسب المتوسطات الحسابية

الرتبة	الرقم	المجال	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المستوى
1	2	التأهيل	4.97	.518	+ve
2	1	الرغبة في العمل	4.95	.457	+ve
3	3	فرص العمل المتوفرة	4.55	.448	Tends to be + ve
4	4	وجهة نظر المجتمع	4.36	.561	Tends to be + ve
5	6	امتيازات العمل	4.15	1.187	Tends to be + ve
6	5	الدخل	3.55	.816	Tends to be + ve
		الدرجة الكلية	4.45	.374	

يبين الجدول (3) أنّ المتوسطات الحسابية قد تراوحت مابين (3.55-4.97)، حيث جاء مجال التأهيل في المرتبة الأولى بأعلى متوسط حسابي بلغ (4.97)، بينما جاء مجال الدخل في المرتبة الأخيرة وبمتوسط حسابي بلغ (3.55)، وبلغ المتوسط الحسابي للدرجة الكلية (4.45). بعض المجالات كانت تميل إلى الايجابية الا

أنها قريبة من كونها تميل إلى السلبية كما يظهر ذلك في مجال الدخل، مما يؤكد ضرورة المزيد من الجهود والمساعي في دعم الدور الذي تلعبه القوانين والتشريعات والاعلام في ذلك.

تشير النتائج في جدول (3) إلى أنّ مدركات العاملين من ذوي الإعاقة لطبيعة عملهم وشروطه وظروفه تميل للإيجابية. وتشير النتائج أيضاً إلى أنّ هذه الاتجاهات كانت ايجابية بالفعل في مجالي التأهيل والرغبة في العمل حيث بلغت متوسطات هذين المجالين على التوالي (4.97) و(4.95)، أمّا بقية المجالات فتشير متوسطاتها إلى أنّ مدركات أفراد الدراسة كانت تميل إلى الايجابية حيث تراوحت متوسطات هذه الأبعاد بين (3.55 و 4.55) في حين انه لم تظهر اية مجالات تشير إلى سلبية مدركات هذه الفئة نحو أي من المجالات.. والنتيجة التي توصلت اليها الدراسة في سؤالها الأول تتفق إلى حد ما مع نتائج دراسة ميليسا وزملائها Melissa J. Bjelland &Others. 2010 وكذلك دراسة روبرت Robert,et,. Al.,2008 ودراسة سام نيوا Sam,niwa,1997

السؤال الثاني: هل توجد فروق دالة إحصائياً عند مستوى دلالة 0.05 = α بين متوسط باستجابات أفراد الدراسة وذلك وفقاً لاختلاف المؤهل الدراسي (ثانوية عامة فما دون، بكالوريوس فما فوق)؟

للتحقق من صحة هذا السؤال تمّ استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد الدراسة وذلك وفقاً لمتغير المؤهل الدراسي (ثانوية عامة فما دون، بكالوريوس فما فوق)، ولبيان الفروق الإحصائية بين المتوسطات الحسابية تمّ استخدام اختبار "ت"، والجداول (10) يوضح ذلك.

جدول (4)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار "ت" لأثر المؤهل العلمي على استجابات أفراد الدراسة

	المؤهل العلمي	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	درجات الحرية	الدلالة الإحصائية
الرغبة في العمل	ثانوية عامة فما دون	43	4.93	.451	-.639	60	.525
	بكالوريوس فما فوق	19	5.01	.476			
التاهيل	ثانوية عامة فما دون	43	4.89	.541	-1.920	60	.060
	بكالوريوس فما فوق	19	5.16	.418			
فرص العمل المتوفرة	ثانوية عامة فما دون	43	4.56	.448	.324	60	.747
	بكالوريوس فما فوق	19	4.52	.458			
وجهة نظر المجتمع	ثانوية عامة فما دون	43	4.43	.546	1.401	60	.166
	بكالوريوس فما فوق	19	4.21	.581			
الدخل	ثانوية عامة فما دون	43	3.56	.814	.254	60	.800
	بكالوريوس فما فوق	19	3.51	.839			

امتيازات العمل	ثانوية عامة فما دون	43	4.19	1.224	.355	60	.724
	بكالوريوس فما فوق	19	4.07	1.128			
الدرجة الكلية	ثانوية عامة فما دون	43	4.47	.392	.493	60	.624
	بكالوريوس فما فوق	19	4.42	.338			

يتبين من الجدول (4) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية (α = 0.05) تعزى لأثر المؤهل العلمي في جميع المجالات وفي الدرجة الكلية.

كما أنّ نتيجة السؤال الثاني تتشابه نسبياً مع دراسة الخولي 2003 حيث أشارت دراسته إلى وجود فروق في الخصائص لصالح المعاقين العاملين، وأنّ لبعض الخصائص قدرة تنبؤية بكون المعاق يعمل أو لا يعمل، فمتغير السن كان له الأثر الأكبر في زيادة التنبؤ بحصول المعاق على فرصة عمل، ثم متغير عدد سنوات الدراسة وهذا يرجع إلى أنّ ثقافة المعاق ودرجة تعليمه تلعب دوراً كبيراً في سوق العمل. وكذلك دراسة مشهور 2005 التي تؤكد على أنّ هناك مؤسسات تسعى إلى ايجاد عمل مناسب لذوي الإعاقة والبحث عن المعاقين المؤهلين للعمل فيها. وهي نتيجة منطقية ومتوقعة بعض الشيء، ويعود ذلك إلى أنّ أصحاب العمل عادةً لا يقومون الا بتعيين الأشخاص في عمل معين إلا بعد توفر المؤهل المطلوب وقدرة الشخص على تأدية عمله بشكل مناسب مع مراعاة ظروف إعاقته. وأنّ هناك مهن تتطلب حصول الشخص على مؤهل بسيط ومهن تحتاج إلى حصول الشخص على مؤهل جامعي.

السؤال الثالث: هل توجد فروق دالة إحصائياً عند مستوى α = 0.05 بين متوسط إستجابات أفراد الدراسة وذلك وفقاً لاختلاف فئة الإعاقة(سمعية، بصرية، جسمية وصحية، أخرى)؟

للتحقق من صحة هذا السؤال تمّ استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد الدراسة وذلك وفقاً لمتغير فئة الإعاقة (سمعية، بصرية، بدنية، أخرى)، والجدول أدناه يوضح ذلك.

جدول (5)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد الدراسة وذلك وفقاً لمتغير فئة الإعاقة

	الفئات	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
الرغبة في العمل	سمعية	14	4.99	.381
	بصرية	7	4.79	.542
	بدنية	37	4.98	.483
	أخرى	4	4.78	.327
	المجموع	62	4.95	.457
التأهيل	سمعية	14	4.77	.668

	بصرية	7	5.11	.537
	بدنية	37	5.05	.444
	أخرى	4	4.75	.456
	المجموع	62	4.97	.518
فرص العمل المتوفرة	سمعية	14	4.52	.500
	بصرية	7	4.57	.482
	بدنية	37	4.53	.433
	أخرى	4	4.78	.454
	المجموع	62	4.55	.448
وجهة نظر المجتمع	سمعية	14	4.32	.700
	بصرية	7	4.07	.377
	بدنية	37	4.42	.537
	أخرى	4	4.43	.538
	المجموع	62	4.36	.561
الدخل	سمعية	14	3.56	.842
	بصرية	7	2.86	.789
	بدنية	37	3.65	.789
	أخرى	4	3.75	.661
	المجموع	62	3.55	.816
امتيازات العمل	سمعية	14	3.71	.979
	بصرية	7	3.60	1.424
	بدنية	37	4.31	1.181
	أخرى	4	5.20	.566
	المجموع	62	4.15	1.187
الدرجة الكلية	سمعية	14	4.38	.417
	بصرية	7	4.19	.334
	بدنية	37	4.51	.361
	أخرى	4	4.65	.163
	المجموع	62	4.45	.374

يبين الجدول (5) تبايناً ظاهرياً في المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمدركات العاملين من ذوي الإعاقة لظروف عملهم بسبب اختلاف فئة الإعاقة (سمعية، بصرية، بدنية، أخرى)، ولبيان دلالة الفروق الإحصائية بين المتوسطات الحسابية تمّ استخدام تحليل التباين الأحادي حسب الجدول (6).

جدول (6)

تحليل التباين الأحادي لأثر فئة الإعاقة على استجابات أفراد الدراسة

	المصدر	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	الدلالة الإحصائية
الرغبة في العمل	بين المجموعات	.352	3	.117	.550	.650
	داخل المجموعات	12.380	58	.213		
	الكلي	12.733	61			
التأهيل	بين المجموعات	1.118	3	.373	1.416	.247
	داخل المجموعات	15.270	58	.263		
	الكلي	16.388	61			
فرص العمل المتوفرة	بين المجموعات	.240	3	.080	.386	.764
	داخل المجموعات	12.004	58	.207		
	الكلي	12.244	61			
وجهة نظر المجتمع	بين المجموعات	.761	3	.254	.797	.501
	داخل المجموعات	18.468	58	.318		
	الكلي	19.229	61			
الدخل	بين المجموعات	3.880	3	1.293	2.044	.118
	داخل المجموعات	36.694	58	.633		
	الكلي	40.574	61			
امتيازات العمل	بين المجموعات	10.173	3	3.391	2.595	.061
	داخل المجموعات	75.780	58	1.307		
	الكلي	85.954	61			
الدرجة الكلية	بين المجموعات	.836	3	.279	2.101	.110
	داخل المجموعات	7.696	58	.133		
	الكلي	8.533	61			

يتبين من الجدول (6) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α=0.05) تعزى لفئة الإعاقة في جميع المجالات وفي الدرجة الكلية.

ونتيجة السؤال الثالث تتشابه نسبياً مع دراسة عبدالجبار2004من أهمية كبيرة لجميع المهن للصم، وكذلك دراسة راتسون، Ratzon,N., & Schetjer,2011 من أنّ الأشخاص من ذوي الإعاقة يتم توظيفهم في أعمال مكتبية. وهي نتيجة منطقية ومتوقعة بعض الشيء، ويعود ذلك إلى أنّ نجاح الشخص بعمله لا يحدده

إعاقة ما فكل شخص يؤدي عمله بناءً على إمكاناته وقدراته في مجارة العمل الذي يقوم به من أجل تحقيق النجاح والشعور بالرضا عن إنجازاته.

السؤال الرابع: هل توجد فروق دالة إحصائيا في استجابات أفراد الدراسة حول طبيعة العمل المتوفرة لهم تعزى لمتغير طبيعة العمل (مكتبي، ميداني)؟

للتحقق من صحة هذا السؤال تمّ استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد الدراسة وذلك وفقاً لمتغير طبيعة العمل (مكتبي، ميداني)، ولبيان الفروق الإحصائية بين المتوسطات الحسابية تمّ استخدام اختبار "ت"، والجداول أدناه توضح ذلك.

جدول (7)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار "ت" لأثر طبيعة العمل على استجابات أفراد الدراسة

	قطاع الأعمال	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	درجات الحرية	الدلالة الإحصائية
الرغبة في العمل	مكتبي	47	4.91	.454	-1.214	60	.229
	ميداني	15	5.07	.457			
التاهيل	مكتبي	47	4.97	.532	.043	60	.965
	ميداني	15	4.97	.490			
فرص العمل المتوفرة	مكتبي	47	4.59	.468	1.183	60	.241
	ميداني	15	4.43	.366			
وجهة نظر المجتمع	مكتبي	47	4.41	.562	1.271	60	.208
	ميداني	15	4.20	.549			
الدخل	مكتبي	47	3.54	.818	-.152	60	.879
	ميداني	15	3.57	.834			
امتيازات العمل	مكتبي	47	4.18	1.217	.278	60	.782
	ميداني	15	4.08	1.123			
الدرجة الكلية	مكتبي	47	4.46	.397	.328	60	.744
	ميداني	15	4.42	.301			

يتبين من الجدول (7) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية (= 0.05) تعزى لأثر قطاع الأعمال في جميع المجالات وفي الدرجة الكلية.

وهذه النتيجة تتشابه نسبياً مع دراسة عبدات وبشيتي 2006 بأهم المشكلات التي تواجه تشغيل المعاقين هي نظرة المجتمع أمام تشغيلهم ودراسة Ratzon,N.,& Schetjer,2011 أنّ الشباب من ذوي الإعاقة يواجهون تحديات أثناء عملية التوظيف ومن بينها العوائق الحركية، وبالرغم من أنها شيء ثانوي، الا انه يتم

توظيفهم في وظائف مكتبية.كما أنّ نتائج الدراسة الحالية تختلف مع نتائج دراسة Donelly Michelle & Given Fiona.(2010 حيث أكدت وجود مخاوف في الخبرة حول برامج التوظيف المدعوم وفعاليته، والمحصلة أنّ خدمات التوظيف في السوق المفتوح تعتمد على مدى استقلالية الفرد. وتركز على إمكانات المعاق وأداءه ونسبة العجز لديه. كما أنّ نجاح العمل في السوق المفتوح يتطلب ممارسة فعالة كما يراها ذوي الإعاقة ليتمكنوا من تأمين فرصة عمل. وهي نتيجة منطقية ومتوقعة بعض الشيء، ويعود ذلك إلى أنه بالضرورة تدريب العاملين وتأهيلهم بشكل مناسب قبل الالتحاق بسوق العمل، بالإضافة إلى ضرورة التنمية المهنية المستمرة للعاملين من خلال وجود برامج تدريب أثناء الخدمة للموظفين أثناء الخدمة وحثهم على الالتحاق بها من خلال حوافز تشجيعية من أجل مواكبة التطورات الحديثة في مجال العمل.

مناقشة النتائج:

هدفت الدراسة الحالية إلى التعرّف إلى مدركات العاملين من ذوي الإعاقة نحو صعوبات العمل، وقد أظهرت نتائج الدراسة فيما يخص **السؤال** الأول : ما مدركات العاملين من ذوي الإعاقة لظروف عملهم؟ إلى أنّ المدركات كانت ايجابية مع أنه كان من المتوقع أن تكون سلبية. بالرغم من أننا في بلد نامي ومن المتوقع أنّ القوانين والتشريعات الناظمة في الدول النامية ومن بينها الدول العربية ما تزال في مراحلها المبكرة نسبياً، الا أنّ هذه الايجابية يجب أن لا تعني أننا فعلنا كل ما يمكن فعله وعلى العكس فإنها تقتضي مزيداً من الجهود والعمل على تطوير وتحسين التشريعات وزيادة وعي المجتمع وأصحاب العمل في القطاعين العام والخاص على أهمية زيادة فرص العمل لهذه الفئة وتحسين شروط العمل بصورة تسمح بتحسين وزيادة ايجابية نظرة ومدركات هذه الفئة لظروف عملهم. مما يمهد الطريق نحو دمج صحيح وصحي لهذه الفئة في مجتمعها وتمكينها من حقوقها في هذا المجال، بحيث تتهيأ الفرصة للعدد الأكبر من أفرادها في إمكانية تحقيقهم لذواتهم وشعورهم بالرضا وما لهذه المسألة من تضمينات وانعكاسات على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والانساني للمجتمعات التي يعيشون فيها. ربما أنّ الدراسات السابقة تختلف نتائجها عن هذه النتيجة لاختلاف الفترة الزمنية التي طبقت فيها تلك الدراسات والتطور الذي حصل في جانب القوانين والتشريعات والدور الكبير الذي لعبه جانب الاعلام في تسليط الضوء على ضرورة توفير فرص عمل لهذه الفئة من المجتمع.

وفي ما يتعلق بنتائج الأسئلة الثاني والثالث والرابع، مع أنّ الباحث اختار هذه المتغيرات متوقعاً أنّ لهذه الاسئلة التي تناولت متغيرات المؤهل الدراسي (ثانوية عامة فما دون، بكالوريوس فما فوق) و فئة الإعاقة (سمعية، بصرية، جسمية وصحية، أخرى) وطبيعة العمل (مكتبي، ميداني)؟ ان يظهر هناك فروقاً ذات دلالة إحصائية، لهذه المتغيرات (المؤهل وفئة الإعاقة وطبيعة العمل) إلا أنه يبدو أنّ هناك عوامل ومن بينها محدد أنّ العينة غير عشوائية وصغر حجمها، أدت إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية مما يؤكد ذلك على ضرورة القيام بدراسات أخرى تدعم النتائج المنطقية والمتوقعة لهذه المتغيرات.

أخيراً ما تجدر الإشارة إليه هنا أنّ نتائج الدراسة الحالية قد تعزى إلى أنّ ثمة متغيرات لم تتضمنها الدراسة كمتغير الخبرة ومتغير العمر ومتغير الجنس والتي قد تلعب دوراً في زيادة المعرفة أو نقصانها حول اتجاهات العاملين من ذوي الإعاقة نحو صعوبات العمل. مثل دراسة وهمان Paul Wehman (2003 فيما

يخص دمج العاملين من ذوي الإعاقة مع غيرهم من العاملين العاديين. وكذلك دراسة جودي وزملائها Jodi L. Saunders, &Others,2000 والتي تهدف إلى التعرّف على مفهوم الذات لدى العاملين من ذوي الإعاقة. ودراسة سام Sam,niwa,1997 في التعرّف على حقوق العاملين من ذوي الإعاقة.

وبناءً على ما تقدم يتضح من خلال الدراسة الحالية أهمية العمل في حياة المعوقين، وعدم النظرة نحو عملهم بنظرة شفقة وإحسان بل حق كفلته التشريعات والقوانين وحقوق الانسان، ويجب العمل على تفعيل القوانين الخاصة بعمل الأشخاص ذوي الإعاقة. أنّ تعميم النتائج في هذه الدراسة قد يعتريه شيء من النقصان وفي نفس الوقت فإنّ هذه الدراسة تفتح المجال لإجراء دراسات وبحوث أخرى حول هذا الموضوع لما له أهمية كبيرة على الصعيد الوطني والتخطيط الاستراتيجي من توظيف الاشخاص ذوي الإعاقة.

التوصيات:

تخلص من هذا العرض للبحث ونتائجه إلى طرح توصيات وهي:

- إجراء مزيد من الدراسات والبحوث العلمية المتخصصة تتناول التعرّف على المعاقين الذين نجحوا عملياً وحياتياً للتعرّف على عوامل نجاحهم، مع الأخذ بعين الاعتبار متغيرات الجنس والخبرة والمستوى الدراسي
- التعرّف على المهن المتاحة في المجتمع حسب كل إعاقة للعمل على تأهيل الأشخاص كل حسب ظروف إعاقته
- التعرّف على حجم الإعاقة لتحديد الاحتياجات الوظيفية مستقبلاً
- نشر ثقافة الوعي بأهمية عمل المعوقين من خلال إعداد برامج إرشادية تعمل على تحسين نظرة ذوي الإعاقة نحو العمل

وأخيراً يمكن القول أنّ مدركات ذوي الإعاقة نحو العمل تلعب دوراً مهماً على صحته النفسية وتكيفه، سواء كانت هذه المدركات تتصف بالسلبية أو الايجابية، حيث أنّ المعاق جزء من مكونات المجتمع، فإذا كانت نظرته نحو العمل تتصف بالسلبية فسوف ينعكس ذلك سلباً على أدائه وتكيفه في العمل ولا بد من العمل على تغيير تلك النظرة من خلال وضع آليات وبرامج تثقيفية بحيث ترفع من سوية هذه الفئة من المجتمع.

المراجع:

الأسمر، عدنان (2005). **التأهيل المهني للأشخاص ذوي الإعاقة**، دار الفكر، عمان – الأردن

الخولي، محمد.(2003). العلاقة بين الرضا عن العمل والقدرة على التنمية البشرية لذوي الاحتياجات الخاصة العاملين. رسالة ماجستير غير منشورة: القاهرة، مصر.

الزارع، نايف (2013). تأهيل ذوي الاحتياجات الخاصة. الأردن: دار الفكر للنشر والتوزيع.

سليمان، خالد رمضان (2012). **نموذج مقترح لتفعيل دور مراكز التأهيل المهني للمعاقين في التدريب والتشغيل في ضوء الاتجاهات العالمية**. مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة، العدد 78 الجزء الثالث.

الصقعبي، أنور محمد . (2011). **دور القطاع الخاص في توظيف ذوي الاحتياجات الخاصة**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض- المملكة العربية السعودية

عبدات، روحي والبشيتي، نضال (2006). المشكلات التي تواجه تشغيل المعاقين في دولة الامارات العربية المتحدة: الأكاديمية العربية للتربية الخاصة، العدد9.

عبدالجبار، عبدالعزيز. (2004). **اتجاهات معلمي الصم نحو المهن الخاصة بالصم وعلاقتها ببعض المتغيرات الديموغرافية**. مجلة كلية التربية، كلية التربية، جامعة عين شمس، العدد28،ج2.

عبيد، ماجدة.(2007). تأهيل المعوقين. دار صفاء للنشر والتوزيع. عمان – الاردن.

علي، احمد فتحي، (2001). **توظيف الأشخاص ذوي الإعاقة العقلية البسيطة من وجهة نظر أسرهم وأصحاب العمل**،مجلة كلية التربية، جامعة الازهر، العدد: 145 الجزء الاول،

الغرير، أحمد و يوسف، محمد.(2010). التأهيل المهني للأشخاص المعوقين. دار الشروق للنشر والتوزيع. عمان. الاردن

الفوزام، محمد و الرقاص، خالد.(2009). أسس التربية الخاصة، العبيكان للنشر والتوزيع. الرياض.

الفوزان، ابراهيم. (2010) الإعاقة الذهنية. مطبعة سفير. الرياض – المملكة العربية السعودية.

القريوتي، يوسف (2009) **ورشة عمل إقليمية**، منظمة العمل الدولية . عمان الأردن

مشهور، عبدالقادر.(2005). توظيف ذوي الاحتياجات الخاصة في سوق العمل القطري. الناشر معهد النور بقطر

المغلوث، فهد .(1999). رعاية وتأهيل المعوقين في المملكة العربية السعودية. مجلة كلية التربية، جامعة الملك سعود

وادي، أحمد (2009). الإعاقة العقلية: أسباب، تشخيص، تأهيل. عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع

-Donelly Michelle & Given Fiona.(2010). Employment programs and professionals with a disability. Work, 36. Vol.10.3233/work-2010-1022 IOS press. pp. (217-225

-H.Stephen Kaye & Lita H. Jans & Erica C. Jones, (2011). Why Don't Employers Hire and Retain Workers with Disabilities. ***Occupational Rehabilitation***, 21:526–536 VOI10.1007/s10926-011-9302-8

-Jodi L. Saunders, Michael J. Leahy, and Kenneth A. Frank, (2000). Improving the Employment Self – Concept of Persons with Disabilities *RCB* 43:3 pp. 142 – 149. VOl.43, No.3

-JWOD (Javis-Wagner-O- Day). (2006). Creating jobs and training for people who are blind or severly disabled. htt://www.jwod/library/JWOD_Act.html. Visited July 29, 2006.

-Karen H. Jones., Constance O., and Desirae M. Domenico. (2005). Wake up call: pregnant and parenting teens with disabilies. **The International Journal of Special Education**, Vol.20, No.1 pp.92-104.

-Melissa J. Bjelland &Susanne M. Bruyere & Sarah Von Schrader & Andrew J. Houtenville & Antonio Ruiz- Quintanilla & Douglas A.Webber.(2010). Age and Disability Employment Discrimination: Occupational Rehabilitation Implications. ***J Occup Rehabil***.(20:456 - 471 VOI 10.1007/s10926-009-919 4-z

-Paul Wehman (2003). Workplace inclusion: Persons with disabilities and coworkers working together. Journal of Vocational Rehabilitation 8. 131- 141 IOS Press

-Ratzon, N., & Schetjer, T., Alon, E., Schreuer, N. .(2011). Research in Developmental Disabilities.

-Robert, Pamela M., & Sharon L. Harlan.(2008). Mechanisms of Disability Discrimination in Large Bureaucratic. **Sociological Quarterly**, 47(4), pp.599-630.

-Rohmer.O., and Louvet, F.,.(2009).Deseribing person with disability: Salience of disability, gender, and ethniecty. Rehabilitation psychology, 54, p.76

-Rosenweig, H. (2003). **Computer Training Issues for Individuals Who are blind, Visualy Impaired, or Deaf-Blind**. Auckland, New Zealand: Royal New Zealand Foundation of the Blind

- Sakui,W. G.(2007).problems And Prospers In Employment And Job Retention Of The Blind And Visually Impaired In The United State: A Future Concern Of Special Education. **International Journal of Special Education**, Vol. 22, No. 1, p.52 – 85 Ibid,55

-Sam, Niwa (1997). Recent International Trends and Practices in Vocational Rehabilitation and Employment of People with Disabilities. **Asia & Pacific Journal On Disability** .Vol.1, No. 1,

قياس مدى إدماج عناصر المزيج التسويقي
في المصارف التجارية الجزائرية من وجهة نظر عملائها

أ. أبوبكر الشريف خوالد
كلّية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير
جامعة باجي مختار - عنابة/ الجزائر

الملخّص

هدفت هذه الدراسة عموما إلى معرفة مدى تطبيق وإدماج المصارف التجارية الجزائرية (العمومية والخاصّة) لمختلف عناصر المزيج التسويقي السبعة: المنتج/ الخدمة، التسعير، الترويج، التوزيع، الدليل المادّي، الأفراد، والعمليات، ولتحقيق الهدف السابق الذكر استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي وأسلوب المسح الميداني، وعليه فقد توصّلت هذه الدراسة في الأخير إلى نتيجة أساسية مفادها تبني المصارف التجارية الجزائرية المبحوثة لمختلف عناصر المزيج التسويقي السبعة بنسب إيجابية متفاوتة من وجهة نظر عيّنة عملائها.

الكلمات المفتاحية: المزيج التسويقي – المصارف التجارية – العملاء – الجزائر.

Abstract

This study aims to recognize whether commercial banks in Algeria (public and private banks) adopt the seven elements of the marketing mix (Product/ service, Price, Promotion, Place, Physical evidence, Personnel, Process), And in order to achieve the above-mentioned method, the researcher used a descriptive and an analytical field survey, at the end, The study concluded that banks in Algeria adopt the seven elements of marketing mix but they applied these elements at different positive levels from the view of point of their customers.

Key Words Marketing mix – Commercial banks – Customers – Algeria.

تعتبر وظيفة التسويق من أهمّ الوظائف الإدارية لأي منظمة، والمحدّد الرئيسي لنجاحها وبقائها في السوق، فقدرة المنظمة على تقديم السلع وإنتاج الخدمات تكون محدودة ما لم يصاحبها جهد تسويقي فعال يساعد على تحديد احتياجات المستهلك، وزيادة المبيعات والربحية التي تسعى المنظمة إلى تحقيقها.

وقد ارتبط ظهور مفهوم التسويق في البداية بالمنظمات الإنتاجية ذات الاستهلاك الواسع، ولكن مع مرور الوقت وزيادة العرض بكميات تفوق الطلب، زيادة حدّة المنافسة، اتساع الأسواق، بعد المسافة بين المنتجين والمستهلكين،...، وغيرها من العوامل، أدى ذلك إلى تحول النظر للنشاط التسويقي من كونه أداة لإتاحة السلع في الأسواق المختلفة وحث المستهلك على شرائها، إلى النظر إليه كنشاط وفلسفة حديثة تقوم على إشباع حاجيات المستهلك عن طريق دراسة سلوكه ودوافعه للشراء، وتخطيط وتقديم المنتجات التي تشبع هذه الاحتياجات بالسعر المناسب وفي الزمان والمكان المناسبين.

وشيئا فشيئا دخل التسويق مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية إلى أن وصل إلى قطاع الخدمات، ومن بين أهمّ القطاعات الخدمية التي مسها التسويق نجد قطاع الخدمات المصرفية، إذ أصبح التسويق بما يشتمل عليه من مفاهيم وعناصر واستراتيجيات، يشكّل أساسا للتمايز بين المصارف التي أحسنت استخدامه بالشكل المناسب، بل أكثر من ذلك فإنّ البقاء والنموّ والاستمرار في السوق المصرفية أصبح السمة الأساسية للمصارف الناجحة التي تعتمد على التسويق كجزء من خططها الاستراتيجية.**(النسور، 2015، 19)**. فالخدمات المصرفية اليوم أصبحت تسوق عبر اعتماد استراتيجيات تسويقية وتفاعلات معلوماتية عن الأسواق والمستهلكين والمتعاملين فيها، وهذا يتطلّب بالمقابل اعتماد مزيج تسويقي مناسب يتوافق مع خصوصية الخدمة المصرفية المقدّمة والسوق المستهدفة، وعبر استقراء الطرف المعني بذلك وهو المستهلك أو العميل، سواء كان فردا أو منظمة **(البكري والرحومي، 2008، 18)**، ومن هنا تبرز أهمّية تبني المصارف لمزيج تسويقي متكامل وفعال يضمن إشباع حاجات العملاء ورغباتهم بغية الوصول إلى رضاهم وولائهم، إذ أنّ أدبيات التسويق بصفة عامة والتسويق المصرفي على وجه الخصوص تشير إلى أنّ العصر الحالي هو عصر: "الزبون هو الملك".

أولا: مشكلة الدراسة

لقد تحولت فلسفة العمل المصرفي خلال العشرية الأخيرة من القرن الماضي من التركيز على أداء وتنويع الخدمات المصرفية إلى التركيز على العميل في حدّ ذاته، وتسويق الخدمات المصرفية المستحدثة لمقابلة احتياجات ورغبات العملاء المتطوّرة والمتزايدة باستمرار، حيث أصبح التحدّي الحقيقي الذي يواجه المصارف ليس في تقديم الخدمات التقليدية - الوظائف التقليدية التي تؤديها المصارف التجارية - وإنّما في محاولة استحداث مجموعة من المنتجات والخدمات التي تلبي احتياجات شريحة واسعة من العملاء، مع تقديمها في أنسب الأوقات وفي الأماكن الملائمة باعتبار أنّ العملاء يشكّلون نقطة البدء في العمل المصرفي خاصّة في ظل التطوّرات المتسارعة التي تشهدها الصناعة المصرفية حاليا.

وبذلك فنجاح أسلوب التسويق المصرفي يتطلّب دراسة على درجة عالية من الدقة مع ملاحظة التطوّر السريع والتغير المستمر لحاجات ورغبات العملاء، ومن ثمّ تحديد المزيج التسويقي المناسب المتمثّل بـ: (المنتج/ الخدمة، التسعير، الترويج، التوزيع، الدليل المادّي، الأفراد، العمليات) الذي يشبع حاجات العملاء ورغباتهم للوصول إلى رضاهم وولائهم، وذلك عبر تقديم منتجات وخدمات مصرفية ذات جودة وكفاءة عاليتين تضمن تفوق المصرف وتحقيق ميزة تنافسية ثمينة تساهم في بقائه ومواصلته في سوق مصرفية شديدة التنافس.

وتأسيسا على ما سبق ذكره يمكن إيجاز إشكالية الدراسة ضمن التساؤل الرئيسي التالي:

- ما مدى إدماج وتطبيق عناصر المزيج التسويقي السبعة (7P's) (المنتج/ الخدمة، التسعير، الترويج، التوزيع، الدليل المادّي، الأفراد، العمليات) في المصارف التجارية الجزائرية العمومية والخاصّة من وجهة نظر عملائها ؟

ثانيا: أهمّية الدراسة

تنبع أهمّية هذه الدراسة من خلال ما يلي:

1- الأهمّية الأكاديمية: وتتمثّل في ما تقدّمه هذه الدراسة من مساهمة نظرية فكرية مفاهيمية أصيلة بخصوص المزيج التسويقي المصرفي في محاولة لإثراء الموضوع خصوصا في ظل النقص الملاحظ للدراسات العربية عموما والجزائرية خصوصا في هذا المجال.

2- الأهمّية الميدانية: وتتمثّل في محاولة إبراز مدى تبني المصارف التجارية الجزائرية العمومية والخاصّة لمختلف عناصر المزيج التسويقي، وتوفير قاعدة من المعلومات ذات الطبيعة الكمية حول انطباعات العملاء عن هذا المزيج، الأمر الذي من شأنه أن يساعد كثيرا متخذي القرارات في هذه المصارف.

ثالثا: أهداف الدراسة

هدفت هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف أبرزها:

1- السعي إلى الكشف عن المفهوم الحقيقي للمزيج التسويقي، والطبيعة الخاصّة التي يحضى بها في القطاع الخدمي عموما والقطاع المصرفي على وجه الخصوص.

2- محاولة تحسيس مدراء ومسيري المصارف التجارية الجزائرية بأهمّية تطبيق عناصر المزيج التسويقي المصرفي.

3- لفت انتباه الباحثين الأكاديميين والممارسين لموضوع المزيج التسويقي المصرفي للاجتهاد وإجراء بحوث ودراسات أخرى في هذا الموضوع الحديث.

رابعا: فرضيات الدراسة

تماشيا مع موضوع وأهداف البحث، صاغ الباحث الفرضيات التالية:

الفرضية الرئيسية: لا تتبنى المصارف التجارية الجزائرية العمومية والخاصّة عناصر المزيج التسويقي المصرفي السبعة (7P's) من وجهة نظر عملائها.

الفرضية الفرعية الأولى: لا تتبنى المصارف التجارية الجزائرية العمومية والخاصّة سياسة المنتج/ الخدمة من وجهة نظر عملائها.

الفرضية الفرعية الثانية: لا تتبنى المصارف التجارية الجزائرية العمومية والخاصّة سياسة التسعير من وجهة نظر عملائها.

الفرضية الفرعية الثالثة: لا تتبنى المصارف التجارية الجزائرية العمومية والخاصّة سياسة الترويج من وجهة نظر عملائها.

الفرضية الفرعية الرابعة: لا تتبنى المصارف التجارية الجزائرية العمومية والخاصّة سياسة التوزيع من وجهة نظر عملائها.

الفرضية الفرعية الخامسة: لا تتبنى المصارف التجارية الجزائرية العمومية والخاصّة سياسة الدليل المادّي من وجهة نظر عملائها.

الفرضية الفرعية السادسة: لا تتبنى المصارف التجارية الجزائرية العمومية والخاصّة سياسة الأفراد من وجهة نظر عملائها.

الفرضية الفرعية السابعة: لا تتبنى المصارف التجارية الجزائرية العمومية والخاصّة سياسة العمليات من وجهة نظر عملائها.

خامسا: التعريفات الإجرائية لمتغيرات الدراسة

تتمحور هذه الدراسة حول المتغيرات التالية:

1- سياسة المنتج المصرفي (الخدمة المصرفية): "مجموعة القرارات الأساسية المرتبطة بالخصائص الجوهرية للمنتج أو الخدمة التي سيعرضها المصرف على عملائه".**(Le golvan, 1985, 106)**

2- سياسة التسعير المصرفي: "ذلك النشاط التسويقي المرتبط بفلسفة المصرف وتوجهاته وأهدافه، ويتم بموجبه تحديد سعر المنتج وفق مجموعة معيّنة من الأسس".**(النسور، 2015، 239)**

3- سياسة الترويج المصرفي: "ذلك النشاط التسويقي الذي ينطوي على عملية اتصال إقناعي، يستهدف التأثير على جمهور المصرف بقصد استمالة استجابات سلوكية من أفراد الجمهور في الاتجاه المرغوب من قبل المصرف". **(الصميدعي ويوسف، 2005، 301)**

4- سياسة التوزيع المصرفي: "مجموعة الأفراد والمنظمات التي تشرف وتقوم بالتوزيع المباشر للمنتجات من المنتج حتّى المستهلك بالوقت والمكان والكمية المناسبة وبما يحقق رضاه". **(البكري والرحومي، 2008، 261)**

5- سياسة الدليل المادّي: "كافة الجوانب الملموسة المؤثّرة على البيئة المصرفية التي تحقق لها التميز، أو هي البيئة التي تشكّل التفاعل بين العاملين بالمصرف والعملاء" **(العباسي، 2013، 161)**

6- سياسة الأفراد: "كافة الأفراد المشاركين في تقديم الخدمة المصرفية وتسهيل انسيابها للعميل". **(العباسي، 2013، 161)**

7- سياسة العمليات: "كافة الإجراءات والآليات التي يمكن لإدارة المصرف من خلالها توفير الخدمات المصرفية وتوصيلها للعملاء". **(معلا، 2000، 26)**

7- المزيج التسويقي المصرفي: "الأداة التسويقية المستخدمة من قبل المصرف لانجاز أهدافه التسويقية في السوق المستهدف". **(البكري والرحومي، 2008، 76)**

الإطار النظري للدراسة

أولا: نشأة وتطوّر مفهوم المزيج التسويقي المصرفي

ظهر مصطلح المزيج التسويقي بداية في الكتابات الأمريكية سنة (1948)، فظهوره كان نتيجة لمرحلة تجريبية قام بها المختصون والباحثون في ميدان التسويق، حيث تمّ اقتراح جدول لتحليل وتقييم تكاليف وفعالية مختلف المتغيرات المستخدمة في السوق والبحث عن الصيغة التي يمكن من خلالها التوليف والربط بين كلّ تلك المتغيرات التسويقية، مثل ما هو معمول به عند الباحثين الاقتصاديين في حالة الإنتاج، حيث يقوم المنتج بالتوليف بين عنصري رأس المال والعمل، وهذا يشير إلى أنّ ظهور المزيج التسويقي كان بفضل محاكاة الطريقة الاقتصادية في حالة الإنتاج. **(Filser, 1997, 1904)**

ويرجع أصل تطوّر مفهوم المزيج التسويقي ومكوناته إلى مقالة للباحث **(Neil Borden)** سنة (1965)، إذ عبر في مقالته هذه عن إعجابه بطريقة قيام أحد مدراء التسويق بمزج عناصر وسياسات المزيج التسويقي في شركته، بحيث وصفه بأنّه: "مازج العناصر" **(Goi, 2009, 03)**، وقد كانت قائمة المزيج التسويقي التي جاء بها (Borden) آنذاك تضم اثنا عشر عنصرا هي: السلع، الخدمات، السعر، البيع الشخصي، قنوات التوزيع، التغليف، طرق العرض، المناولة المادّية، الترويج، العلامة التجارية، الإعلان، المعلومات.

وفي عام (1975) قام (Mc Carthy) بتعديل المزيج التسويقي الذي قدّمه (Borden) إلى أربعة عناصر أساسية سميت بال (4P's) والتي تشمل: المنتج (Product)، السعر (Price)، الترويج (Promotion)، التوزيع أو المكان (Place). ولقد لاقى نموذج (Mc Carthy) في البداية قبولا وتأييدا واسعين من طرف كثير من الباحثين في ميدان التسويق، لكن سرعان ما ظهرت أصوات تنادي بضرورة تعديل المزيج التسويقي الذي جاء به (Mc Carthy)، حيث أجمعت على أنّ هذا المزيج التسويقي غير شامل لجميع القطاعات إذ لا يصلح تطبيقه في القطاع الخدمي، وذلك لعدّة اعتبارات أبرزها: **(أحمد، 2001، 95) (الزامل وآخرون، 2012، 114-115)**

1- أنّ هذا المزيج التسويقي قد تمّ تطويره أصلا للشركات الصناعية.

2- أنّ ممارسي النشاط التسويقي في قطاع الخدمات يجدون أنّ المزيج التسويقي الموروث لا يلبي معظم احتياجاتهم.

3- أنّ أبعاد المزيج التسويقي التقليدي ضيقة بحيث لا تصلح تماما في تسويق الخدمات، حيث لا يتم الأخذ بعين الاعتبار مختلف العوامل المتعلّقة بمقدّمي الخدمة أو البيئة المادّية مثلا.

فقد أثبتت الدراسات الميدانية أنّ مديري المنظمات الخدمية يواجهون مشاكل وحالات تختلف بشكل كبير عن تلك التي تواجه مديري المنظمات الصناعية أو السلعية، وأبرز هذه المشكلات تنحصر فيما يلي:

أ- مشاكل تتعلّق بجودة الخدمات التي يصعب قياسها مقارنة بالسلع.

ب- أنّ الناس الذين يقدّمون أو يؤدون الخدمة قد يصبحون جزءا من الخدمة وهذا غير وارد في القطاع السلعي.

ت- لا يمكن تسجيل براءة اختراع للخدمة.

ث- أنّ المنظمات الخدمية غير قادرة على تخزين الخدمة.

ج- أنّ المزيج التسويقي في قطاع الخدمات عادة ما يكون أوسع وأشمل بالمقارنة مع قطاع السلع الملموسة، بفعل التفاعلات بين موردي الخدمة والمستفيدين منها وبين المستفيدين أنفسهم، فالخدمة تستهلك في لحظة إنتاجها، بينما السلعة لا تستهلك في الغالب لحظة إنتاجها.

وكذلك من بين أهمّ الانتقادات التي وجهت إلى المزيج التسويقي التقليدي (4P's) أنه يعكس وجهة نظر البائع وليس الزبون، لذلك اقترح (Lauterborn) سنة (1990) إعادة صياغة عناصر المزيج التسويقي حسب وجهة نظر الزبون، إذ يمكن مقابلة الـ (4P's) الخاصّة بالبائع أو المنتج بالـ (4C's) الخاصّة بالمشتري أو الزبون التي تشمل: القيمة للعميل (Customer value)، التكلفة التي يتحملها العميل (Cost to the customer)، السهولة والراحة (Convenience)، الاتصال (Communication). **(Kotler, 1999, 110)**

أمّا (Robins) فقد اقترح سنة (1991) إعادة صياغة المزيج التسويقي حسب البيئة الخارجية للمزيج التسويقي، إذ يجب مقابلة الـ (4P's) التقليدية بالـ (4C's) الجديدة التي تشمل: العملاء (Customers)، المنافسين (Competitors)، القدرات أو المهارات (Capabilities)، الشركة (Company). **(Goi, 2009, 08)**

في حين أضاف (Kotler) عنصرين جديدين إلى الـ (4P's) وهما: السياسة (Political power) والرأي العام (Public opinion)، أمّا (Grönroos) فقد أضاف عنصرين آخرين هما: التسويق الداخلي (Internal marketing) والتسويق التفاعلي(Interactive marketing).

وبعدها توالت اجتهادات المفكرين والباحثين في استحداث عناصر جديدة للمزيج التسويقي، لكن أغلب الباحثين في ميدان التسويق الخدمي عموما والتسويق المصرفي خصوصا يتفقون على إضافة ثلاثة عناصر إضافية للمزيج التسويقي هي:

- الدليل المادّي (Physical evidence).
- الأفراد(Persons).
- العملية (Process).

ليصبح المزيج التسويقي الحديث يشمل سبعة عناصر أساسية تعرّف بالـ (7P's) وهي: المنتج (Product)، السعر (Price)، الترويج (Promotion)، المكان (Place)، الدليل المادّي (Physical Evidence)، الأفراد (Persons)، العملية (Process).

وعليه فالعناصر السبعة السابقة الذكر هي التي تمّ تبنيها فعلا كمكونات للمزيج التسويقي في المصارف في إطار ما يعرف بالمزيج التسويقي الحديث أو المتمدد أو الموسع للمصرف، إلا أنّ عناصر المزيج التسويقي الثلاثة المستحدثة قد لاقت الكثير من الانتقادات من قبل العديد من الكتاب والباحثين، حيث أقروا أنه لا فائدة من هذه العناصر باعتبارها تشكّل امتدادا للعناصر الأربعة التقليدية، فحسبهم عنصر الدليل المادّي هو مكون من مكونات سياسة التوزيع، أمّا عنصر الأفراد المشتركين في أداء الخدمة فيعتبرونه مكون من مكونات المزيج الترويجي (البيع الشخصي)، في حين أنّ عنصر عملية تقديم الخدمات فهو مرتبط بعنصر الجودة التي هي عنصر من عناصر سياسة المنتج أو الخدمة، لكن هذا لا ينتقص أبدا من أهمّية هذه العناصر الثلاثة في

تحقيق النجاح التسويقي والتميز التنافسي لخدمات ومنتجات المصرف خصوصا في ظل اتسام الخدمات المصرفية بالنمطية وانتشار التكنولوجيا الحديثة لدى جل المصارف.

أمّا فيما يخص مفهوم المزيج التسويقي عموما فهو يشير إلى: "مجموعة من العناصر التي تتفاعل معا من أجل القيام بعملية تسويق سلعة أو خدمة بطريقة منهجية منظمة". **(الزامل وآخرون، 2012، 114)**

بمعنى أوسع فإنّ مفهوم المزيج التسويقي يشير إلى: "ذلك المصطلح الذي يستعمل لوصف الأدوات التسويقية التي يستخدمها مدير التسويق كضوابط لاتخاذ القرارات حول هذه الأدوات المختلفة من أجل خلق مواقع تنافسية واضحة في السوق لمنتجات المنظمة وخدماتها، لتنسجم مع طبيعة إستراتيجية التسويق الشاملة". **(Ennew and Waite, 2007, 172)**

وبإسقاط المفاهيم السابقة على المجال المصرفي يتضح أنّ المزيج التسويقي المصرفي يشير إلى: "كافة العمليات والفعاليات التي تستهدف توفير الخدمات المصرفية التي تلبي حاجات العملاء الحالية والمستقبلية بالأسلوب الذي يحقق الحدّ الأعلى من رضا هؤلاء العملاء ويعظم أرباح المصرف". **(أبو عرابي، 2006، 70)**

وتأسيسا على كلّ ما سبق يرى الباحث أنّ مفهوم المزيج التسويقي المصرفي يشير إلى: مجموعة من العناصر والوسائل والتقنيات المتغيرة التي يمكن ضبطها وتنظيمها والتحكم فيها والسيطرة عليها والعمل على تنميتها وتعديلها من قبل إدارة المصرف، بغية إشباع الحاجات الحالية والمستقبلية للسوق المصرفية المستهدفة وزيادة الحصص السوقية وأرباح المصرف.

ثانيا: مستلزمات وشروط تطبيق المزيج التسويقي في المصارف

يقوم المزيج التسويقي المصرفي على فكرة أساسية مفادها عدم قدرة عنصر واحد فقط على تحقيق الأهداف والغايات المنشودة والمتمثّلة في إشباع حاجات ورغبات العملاء، وعليه ظهرت عناصر المزيج التسويقي التي تعني خلط مجموعة من العناصر مع بعضها البعض بغية الحصول على مزيج أو توليفة تكون أكثر قدرة على تلبية وتحقيق الأهداف التي يبتغيها المصرف بدلا من استخدام عنصر واحد، لهذا يعد المزيج التسويقي العنصر الأساسي في أي استراتيجية تسويقية مصرفية، إذ يجب أنّ تتم صياغته في الإطار الذي يحقق هذا الهدف ويتلاءم مع طبيعة وخصائص الخدمات المصرفية التي يتم تسويقها. **(الموسوي، 2013، 256)**. وإذا ما روعي في تصميم المزيج التسويقي المصرفي درجة من التناسق والتوافق فإنّه سيكون الوسيلة الفعالة في تحقيق أهداف المصرف بدرجة عالية من الكفاءة والفاعلية، وحتّى يتم ذلك فهناك مجموعة من الشروط الواجب توفرها في عناصر المزيج التسويقي المصرفي والتي يوجزها (Payne) فيما يلي:**(طالب، 2010، 78-79) (Payne, 1995, 14)**

1- **التماسك:** فلا بدّ من توفر المنطقية ما بين اثنين أو أكثر من عناصر المزيج التسويقي المصرفي.

2- **التكامل:** ويشير إلى التفاعل المتجانس والفعال ما بين عناصر المزيج التسويقي المصرفي.

3- **الفاعلية:** وتتضمن استخدام الطريقة الأمثل لكلّ عنصر وبذلك يتم تحقيق أفضل المزايا المحققة من المزيج التسويقي المصرفي.

ولكي يتم تطبيق مفهوم المزيج التسويقي في المصرف بالشكل الذي يضمن تحقيق الأهداف المرجوة منه تؤكد (Bitner, 1990, 70) على النواحي التالية:

أ- ملائمة المزيج التسويقي لكلّ سوق مستهدفة.

ب- التوافق بين المزيج التسويقي والإستراتيجية المتعبة من قبل المصرف وقدرتها في التركيز على نقاط القوة وتقليص التأثير الناجم عن نقاط الضعف فيها.

وفي الأخير تنبغي الإشارة إلى أنّ مدى فاعلية (نجاح أو فشل) المزيج التسويقي المصرفي يجب أن يتم اختبارها باستمرار للتأكد من مدى ملائمته للواقع الحالي للمصرف، بحيث يمكن تكييف وتعديل هذا المزيج كلّما كان ذلك ضروريا للوصول إلى أفضل النتائج.

الدراسات السابقة ومميزات الدراسة الحالية عنها

أولا: الدراسات السابقة

يمكن عرض أبرز وأحدث الدراسات السابقة وفقا لتسلسلها الزمني كما يلي:

1- دراسة (Adeniken, 1998)

هدفت هذه الدراسة أساسا إلى توضيح تأثير الاستراتيجيات التسويقية المصرفية في تحقيق رضا عملاء المصارف التجارية النيجيرية، وقد شملت هذه الدراسة استطلاع آراء عيّنة عشوائية مكونة من (475) عميلا من عملاء (5) مصارف تجارية عاملة في مدنية لاغوس النيجيرية، وبعد عملية التحليل الإحصائي توصّلت الدراسة إلى عدّة نتائج أبرزها إدماج المصارف التجارية النيجيرية المبحوثة لمختلف الاستراتيجيات التسويقية المصرفية كأداة لتحقيق رضا عملائها بالتركيز على تطبيق عناصر المزيج التسويقي المصرفي الرباعي (4P's)، وقد قدّمت هذه الدراسة في الأخير مجموعة من النقاط التي ينبغي التركيز عليها لتحسين مستوى الخدمات المصرفية التي تقدّمها المصارف المبحوثة لتوسيع إدراكات العملاء عبر تكثيف الحملات الترويجية، والتركيز على نشاط التسويق بالعلاقات.

2- دراسة (معراج،2005)

هدفت هذه الدراسة أساسا إلى توفير قاعدة معلومات تساعد إدارات المصارف التجارية الجزائرية على تحديد أهمّ العوامل والمؤثرات التي يولها العملاء أهمّية نسبية عالية عند تقييمهم لجودة الخدمات المقدّمة إليهم، وهذا بغية وضع المحاور والأولويات التي تساعد هذه المصارف على تطوير منتجاتها وخدماتها، وقد شملت هذه الدراسة استطلاع آراء عيّنة عشوائية مكونة من (120) عميلا تابعين لـ (15) وكالة مصرفية عاملة في ولاية غرداية بالجزائر حول مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية المؤثّرة على عملية تطوير المنتجات والخدمات المصرفية، وبعد عملية التحليل الإحصائي أظهرت النتائج أنّ أهمّ مؤثر هو مستوى التطوّر

التكنولوجي يليه المناخ التنظيمي والإداري داخل المصرف ثمّ التطوّر في حاجات ورغبات العملاء أمّا أضعف مؤثر فهو جهود تشجيع الابتكار داخل المصارف وفقا لآراء العيّنة المبحوثة، وقد توصّلت الدراسة في الأخير إلى جملة من التوصيات أبرزها ضرورة إحداث توجه إداري جديد في المصارف التجارية الجزائرية لا يكتفي بالتركيز على توفير الخدمات المصرفية فحسب بل يستهدف تطوير هذه الخدمات وتحسين نوعيتها، تطوير مزيج الخدمات المصرفية، إعادة النظر في القوانين والتشريعات المنظمة للقطاع المصرفي الجزائري.

3- دراسة (حرب وآخرون، 2008)

هدفت هذه الدراسة عموما إلى تبيان تأثير عناصر المزيج التسويقي السبعة (7P's) على سلوك عملاء المصارف العامة في محافظة اللاذقية السورية، وقد شملت هذه الدراسة عيّنة عشوائية مكونة من (135) عميلا من عملاء المصرف التجاري والمصرف العقاري، وبعد عملية التحليل الإحصائي أظهرت النتائج وجود أثر واضح لعناصر المزيج التسويقي الأربعة (4P's) في تحقيق رضا عملاء المصرفين المبحوثين مع تسجيل بعض النقائص، فيما أنّ عناصر المزيج التسويقي الحديثة (3P's) لم يظهر لها أي أثر على رضا عملاء المصرفين المبحوثين، وبناء على النتائج السابقة فقد أوصت هذه الدراسة في الأخير بضرورة الاهتمام بعناصر الدليل المادّي، الأفراد، والعمليات خصوصا، وجميع عناصر المزيج التسويقي السبعة عموما.

4- دراسة (Ketabi, 2012)

هدفت هذه الدراسة أساسا إلى توضيح أثر المزيج التسويقي المطبّق في المصارف التجارية العاملة في محافظة كرمنشاه الإيرانية في جذب العملاء وزيادة عددهم، وعلى هذا الأساس فقد ارتكزت هذه الدراسة على استطلاع آراء (300) عميلا من عملاء المصارف المبحوثة حول أثر كلّ عنصر من عناصر المزيج التسويقي السبعة (7P's) في اجتذاب العملاء، وبعد التحليل الإحصائي واختبار الفرضيات باستخدام معاملات الارتباط والانحدار تأكد وجود علاقة تأثير متفاوتة القوة لكلّ عنصر من عناصر المزيج التسويقي في جذب العملاء، حيث احتلت عناصر (الأفراد، المنتج، العمليات) الثلاثة مراتب الأولى من حيث قوة التأثير تلتها عناصر (التسعير، الدليل المادّي، الترويج، التوزيع) على التوالي، فيما اكتفت هذه الدراسة بهذه النتائج ولم تعرض أية توصيات.

5- دراسة (الموسوي، 2013)

حاولت هذه الدراسة إظهار أثر عناصر المزيج التسويقي المصرفي في المكانة الذهنية للزبون، فضلا عن بيان أي من عناصر المزيج التسويقي ذو التأثير الأكبر في خلق المكانة الذهنية المتميزة للخدمات المصرفية لدى العملاء، ولهذا الغرض قامت الباحثة بتوزيع (100) استبانة على عيّنة عشوائية من عملاء مصرف الائتمان العراقي اعتمدت منها (86) استبانة، وبعد التحليل الإحصائي أظهرت النتائج وجود علاقة متفاوتة القوة بين جميع عناصر المزيج التسويقي السبعة (7P's) والمكانة الذهنية لعملاء المصرف المبحوث، حيث احتل عنصر المنتج المرتبة الأولى من حيث التأثير تليه بقية عناصر المزيج التسويقي: التوزيع، الدليل المادّي، العملية، الترويج، الأفراد، والسعر على التوالي، وقد توصّلت الدراسة في الأخير إلى عدّة توصيات أبرزها ضرورة دعم

مختلف عناصر المزيج التسويقي المصرفي وتفعيلها، فضلا عن السعي إلى خلق مكانة ذهنية إيجابية لدى عملاء المصرف المبحوث كونه أمر مهمّ في تحسين الفرص التسويقية وتعزيز موقفه التنافسي.

6- دراسة (Ateba et al, 2015)

هدفت هذه الدراسة أساسا إلى إبراز الدور الذي تلعبه عناصر المزيج التسويقي الرباعي (4P's) في تلبية حاجات عملاء المصارف التجارية المحلية الجنوب افريقية وتحقيق رضاهم خصوصا في ظل ما خلفته الأزمة المالية العالمية الأخيرة من افتقار هذه المصارف المحلية إلى المرونة في التكيف مع احتياجات العملاء المتغيرة، وقد تأسست هذه الدراسة على استبانة تمّ توزيعها على عيّنة عشوائية متكونة من (200) عميلا لدى أربعة مصارف محلية معروفة، فيما تمّ اعتماد (132) استبانة من مجموع الاستبانات الموزّعة، وبعد عملية التحليل الإحصائي أكدت نتائج البحث أنّ المزيج التسويقي يعد أداة أساسية في إرضاء العملاء والاحتفاظ بهم وقد كان عنصر التسعير الأكثر تأثيرا في تفضيلات العملاء، وفي الأخير أوصت الدراسة بضرورة سعي المصارف المبحوثة نحو إدماج مفهوم رضا العملاء ضمن ثقافتها المؤسّسية واستراتيجياتها التسويقية، كما أوصت كذلك بضرورة مواصلة الأبحاث في هذا المجال المهمّ.

ثانيا: مميزات الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة

تعتبر هذه الدراسة من الدراسات القليلة جدا التي بحثت في موضوع مدى إدماج وتطبيق عناصر المزيج التسويقي في المصارف التجارية الجزائرية (العمومية والخاصّة)، فمعظم الدراسات المحلية السابقة اهتمت بموضوع التسويق المصرفي ومدى تطبيقه في القطاع المصرفي الجزائري مع وجود بعض الدراسات التي تناولت موضوع المزيج التسويقي المصرفي لكنها اكتفت بمحاولة التعرّف على مدى تطبيق عناصره في مصرف أو في بعض المصارف التجارية الجزائرية، بينما شملت هذه الدراسة تقريبا كافة المصارف التجارية العمومية والخاصّة العاملة في الجزائر.

كما تميزت الدراسة الحالية بنظرتها الشاملة لموضوع المزيج التسويقي المصرفي إذ أخذت بعين الاعتبار جميع عناصر المزيج التسويقي ولم تترك أي عنصر منها، وبذلك فقد تبنت الدراسة النموذج الموسع للمزيج التسويقي المصرفي (7P's) بدلا من النموذج التقليدي (4P's).

منهجية الدراسة

أولا: منهج الدراسة

لتحقيق أهداف الدراسة اعتمد الباحث بشكل أساسي على المنهج الوصفي التحليلي نظرا لملاءمته لطبيعة البحث، فمن خلال هذا المنهج وصفت الظاهرة قيد الدراسة (المزيج التسويقي المصرفي) كما هي، وتمت دراسة مدى تطبيق كلّ عنصر من عناصر هذه الظاهرة في المصارف التجارية الجزائرية العمومية والخاصّة، وقد تمّ تقسيم البحث إلى قسمين أساسيين، تضمن القسم الأوّل التطرّق لمختلف أدبيات الموضوع وإطاره

النظري، واشتمل القسم الثاني على جمع وتحليل بيانات الدراسة الميدانية من خلال أداة الدراسة (الاستبانة).

ثانيا: أداة الدراسة والأساليب الإحصائية المستخدمة

للإجابة على مشكلة الدراسة والتحقق من فرضياتها قام الباحث بتصميم أداة للدراسة (الاستبانة) تتضمن تشخيص مختلف عناصر المزيج التسويقي السبعة، وقد تمّ تصميم هذه الاستبانة بعد الاطلاع على مختلف الدراسات السابقة التي تخص الموضوع.

وقد تمّ إخضاع هذه الاستبانة لاختبار الموثوقية والصدق من الناحية العلمية للتأكد من مدى صلاحيتها، فقد عرضت على مجموعة من المحكمين والخبراء المختصين في الميدان، وقد تمّ تعديل فقرات الاستبانة مرارا وفقا لملاحظات الأساتذة المحكمين البالغ عددهم (11) محكما.

وللتحقق من ثبات أداة الدراسة والاتساق الداخلي لفقراتها، استخدم الباحث معامل ارتباط ألفا كرونباخ (Cronbach Alpha) الذي بلغت قيمته (0,867) وهي قيمة جيدة جدا تدل على ثبات أداة الدراسة والاتساق الداخلي لمختلف فقراتها.

أمّا فيما يخص تحليل نتائج الاستبانة فقد تمّ الاعتماد على البرنامج الإحصائي للعلوم الاجتماعية (SPSS) من خلال استخدام المؤشرات الإحصائية التالية:

- التكرارات والنسب المئوية.
- المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية.
- معامل ارتباط ألفا كرونباخ (Cronbach Alpha).
- اختبار (T) لعيّنة واحدة (One- Sample T test).

وقد تمّ استخدام مقياس ليكرت الخماسي (Likert Scale) لقياس استجابة المبحوثين لفقرات الاستبانة، بوسط حسابي فرضي قدره (3)، كما تمّ اعتماد مستوى معنوية (0,01) لقبول أو رفض الفرضيات، وهو من مستويات المعنوية المتفق عليها في اختبار الفرضيات.

ثالثا: مجتمع وعيّنة الدراسة

يتكون مجتمع الدراسة من جميع عملاء المصارف التجارية الجزائرية (العمومية والمختلطة والأجنبية) والبالغة حاليا (حتّى نهاية 2014) عشرون مصرفا تجاريا ((06) مصارف حكومية و(13) مصرفا أجنبيا ومصرف مختلط وحيد).

أمّا عيّنة الدراسة فقد تكونت من (255) من عميلا لدى (13) مصرفا تجاريا وهي كالتالي:

1- المصارف التجارية الجزائرية العمومية (الحكومية): الصندوق الوطني للتوفير والاحتياط (CNEP)، البنك الوطني الجزائري (BNA)، القرض الشعبي الجزائري (CPA)، البنك الخارجي الجزائري (BEA)، بنك الفلاحة والتنمية الريفية (BADR)، بنك التنمية المحلية (BDL).

2- المصارف التجارية الجزائرية الخاصّة (المختلطة والأجنبية): بنك البركة – الجزائر (BA-A)، المؤسّسة العربية المصرفية – الجزائر (ABC-A)، سوسيتيه جينيرال - الجزائر (SG-A)، ناتكسيس بنك – الجزائر (NB-A)، بي أن بي باريباس – الجزائر (BNP-A)، بنك الخليج الجزائر (AGB)، بنك العرب – الجزائر (AB-A). وقد تمّ اختيار أفراد عيّنة الدراسة بطريقة الملاءمة (Convenience Sample) وهي تلك العيّنة التي يكون فيها اختيار وحدات المجتمع على أساس السهولة والملاءمة من خلال توفر الأشخاصّ المراد توزيع الاستبانة عليهم داخل المصارف المبحوثة، وذلك وفقا لما يوضحه الجدول أدناه:

الجدول (1): الاستبانات المعتمدة في الدراسة الميدانية

المصارف التجارية العمومية	CNEP	BNA	CPA	BEA	BADR	BDL	
عيّنة عملاء المصارف العمومية	25	25	25	25	25	25	
المصارف التجارية الخاصّة	BA-A	ABC-A	SG-A	NB-A	AB-A	BNP-A	AGB
عيّنة عملاء المصارف الخاصّة	15	15	15	15	15	15	15
					المجموع	255 استبانه	

المصدر: من إعداد الباحث.

وبناء على الجدول السابق يتضح أنّ الباحث قد قام بتوزيع ما مجموعه (255) استبانة ((150) على عملاء المصارف العمومية و(105) على عملاء المصارف الخاصّة)، تمّ استرجاعها بالكامل وهي جميعها صالحة لأغراض التحليل الإحصائي، ويمكن إرجاع ذلك أساسا إلى الجهد الكبير الذي بذله الباحث وبعض زملائه ومعارفه الشخصية الذين ساعدوه في توزيع هذه الاستبانات واسترجاعها، وملازمته لكلّ عميل حتّى يسترجع الاستبانة منه في شكلها النهائي والقابل للتحليل الإحصائي.

رابعا: حدود الدراسة

اقتصرت هذه الدراسة على عيّنة عشوائية مكونة من (255) عميلا من عملاء (13) مصرفا تجاريا جزائريا (06 مصارف حكومية و06 مصارف أجنبية ومصرف مختلط واحد)، وقد تمّ اختيار هؤلاء العملاء بطريقة عشوائية من (51) وكالة مصرفية موزّعة على (17) مدينة جزائرية تمثّل مختلف أنحاء القطر الجزائري (شرق، غرب، وسط، وجنوب) وهي: الشلف، الأغواط، باتنة، بسكرة، بشار، تبسة، الجزائر العاصمة، جيجل، سطيف، سعيدة، عنابة، قالمة، قسنطينة، المدية، الطارف، ميلة، وغرداية، وذلك للفترة الممتدة من تاريخ (2014/05/01) إلى غاية تاريخ (2014/12/02) أي ما يقارب (07 أشهر)، وبالتالي فقد تحدّدت نتائج الدراسة بطبيعة الأداة (الاستبانة) ومدى شمولها لعناصر المزيج التسويقي المصرفي.

الإطار الميداني للدراسة:

أولا: وصف خصائص عيّنة الدراسة وتشخيص متغيراتها

1- وصف خصائص عيّنة الدراسة

يظهر الجدول(2)وصفا لمختلف البيانات الشخصية والتعريفية لعيّنة عملاء المصارف التجارية الجزائرية المبحوثة:

الجدول (2): وصف عيّنة عملاء المصارف التجارية الجزائرية

المعلومات	الخصائص	التكرار	%
الجنس	ذكر	162	63,5
	أنثى	93	36,5
	المجموع	255	100
السن	18-30 سنة	97	38
	31-40 سنة	89	34,9
	41-50 سنة	51	20
	51 سنة فما فوق	17	7,1
	المجموع	255	100
الحالة العائلية	متزوج	123	48,2
	أعزب	103	40,4
	مطلق	16	6,3
	أرمل	13	5,1
	المجموع	255	100
المؤهل العلمي	ابتدائي	14	5,5
	متوسط	47	18,4
	ثانوي	88	34,5
	جامعي فما فوق	106	41,6
	المجموع	255	100
الوظيفة الحالية	موظّف حكومي	89	34,9
	موظّف في القطاع الخاصّ	69	27,1
	أعمال حرة	48	18,8
	متقاعد	25	9,8
	طالب	15	5,9
	بطال	9	3,5
	المجموع	255	100
أقدمية التعامل مع المصرف	أقلّ من سنة	57	22,4
	من1-5 سنوات	110	43,1
	من 6-10 سنوات	51	20
	11سنة فما فوق	37	14,5
	المجموع	255	100

المصدر: من إعداد الباحث وفقا لنتائج برنامج (SPSS-17).

وبناء على نتائج الجدول السابق يتضح ما يأتي:

1- إن أغلب عملاء المصارف التجارية الجزائرية (عيّنة الدراسة) هم من فئة الذكور بنسبة (63,5%) مقابل (36,5%) لفئة الإناث.

2- إن أغلب عملاء المصارف التجارية الجزائرية (عيّنة الدراسة) ينتمون إلى فئة الشباب (18-30 سنة) بنسبة (38%)، فيما حلت الفئة العمرية (31-40 سنة) ثانية بنسبة (34,9%) تليها الفئة العمرية (41-50 سنة) بنسبة (20%)، أمّا الفئة الأخيرة فهي (51 سنة فما فوق) بنسبة (7,1%).

3- إن الغالبية العظمى من عملاء المصارف التجارية الجزائرية (عيّنة الدراسة) هم من فئة المتزوجين بنسبة (48,2%) في حين أنّ (40,4%) منهم عزاب، و(6,3%) منهم مطلقون، و(5,1%) أرامل.

4- إن أغلب عملاء المصارف التجارية الجزائرية (عيّنة الدراسة) متحصلون على شهادات جامعية بنسبة (41,2%)، تليهم الفئة ذات المستوى الثانوي بنسبة (34,5%)، ثمّ الفئة ذات المستوى المتوسط بنسبة (18,4%)، وأخيرا الفئة ذات المستوى التعليمي الابتدائي بنسبة (5,5%).

5- إن أغلب عملاء المصارف التجارية الجزائرية (عيّنة الدراسة) هم موظّفون حكوميون بنسبة (34,9%)، يليهم الموظّفون في القطاع الخاصّ بنسبة (27,1%)، ثمّ الأشخاص الذين يمارسون أعمالا حرة بنسبة (18,8%)، تليهم فئة المتقاعدين بنسبة (9,8%)، ثمّ الطلبة بنسبة (5,9%)، وأخيرا فئة العاطلين عن العمل بنسبة (3,5%).

6- إن الغالبية العظمى من عملاء المصارف التجارية الجزائرية (عيّنة الدراسة) مدة تعاملهم مع هذه المصارف تتراوح ما بين (1-5 سنوات) بنسبة (43,1%)، في حين حلت الفئة (أقلّ من سنة) ثانية بنسبة (22,4%)، أمّا فئة العملاء الذين تتراوح أقدمية تعاملهم مع المصارف ما بين (6-10 سنوات) فقد حلوا ثالثا بنسبة (20%)، في حين أنّ فئة العملاء الذين تقدر أقدمية تعاملهم مع المصارف بـ (11 سنة فما فوق) حلوا أخيرا بنسبة (14,5%).

2- وصف وتشخيص عناصر المزيج التسويقي المطبّق في المصارف التجارية الجزائرية العمومية من وجهة نظر عيّنة عملائها

يبين الجدول (3) أدناه مختلف الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية ونسب الاتفاق وترتيب الأهمّية في إجابات عيّنة عملاء المصارف التجارية الجزائرية العمومية حول أبعاد المزيج التسويقي السبعة المطبّقة فيها:

الجدول (3): وصف وتشخيص عناصر المزيج التسويقي المصرفي من وجهة نظر عملاء المصارف التجارية الجزائرية العمومية

البعد	5	4	3	2	1	الإجابات	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	نسبة الاتفاق (%)	ترتيب الأهمّية
المنتج	117	268	99	92	24	600	3,71	0,77	64,16	الرابع
التسعير	108	188	157	143	44	600	3,62	0,76	49,33	الخامس
الترويج	161	214	110	86	29	600	3,77	0,92	62,44	الثاني
التوزيع	225	200	79	72	24	600	3,75	0,98	73,83	الثالث
الدليل المادّي	245	190	63	86	16	600	3,87	1,05	72,49	الأوّل
الأفراد	152	207	123	69	49	600	3,62	0,90	59,83	السادس
العمليات	164	185	96	87	68	600	3,53	0,93	58,16	السابع
المجموع	1172	1452	727	595	254	42000	3,62	0,66	62,46	-

المصدر: من إعداد الباحث وفقا لنتائج برنامج (SPSS-17) ونتائج الآلة الحاسبة.

وبناء على نتائج الجدول أعلاه يتبين أنّ اتجاهات العينة المبحوثة إيجابية نحو جميع عناصر المزيج التسويقي المصرفي السبعة المطبّقة فيها، وذلك لأنّ أوساطها الحسابية جميعها أكبر من الوسط الحسابي الفرضي البالغ (3)، إذ بلغ الوسط الحسابي العام الموزون لعناصر المزيج التسويقي المصرفي مجتمعة (3,62) بانحراف معياري إجمالي قدره (0,66) وبنسبة اتفاق حسنة بلغت (62,46%)، كما تبين أنّ عنصر الدليل المادّي هو من أكثر العناصر التي تمّ الاتفاق عليها، إذ تحصل على أعلى وسط حسابي بلغ (3,87) وانحراف معياري قدره (1,05) ونسبة اتفاق جيدة بلغت (72,49%)، فيما حل عنصر العمليات في المرتبة الأخيرة من حيث الاتفاق حيث تحصل على أدنى وسط حسابي بلغ (3,53) وانحراف معياري قدره (0,93) ونسبة اتفاق متوسطة بلغت (58,16%).

3- وصف وتشخيص عناصر المزيج التسويقي المطبّقة في المصارف التجارية الجزائرية الخاصّة من وجهة نظر عينة عملائها

يبين الجدول (4) أدناه مختلف الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية ونسب الاتفاق وترتيب الأهمّية في إجابات عينة عملاء المصارف التجارية الجزائرية الخاصّة حول أبعاد المزيج التسويقي السبعة المطبّقة فيها:

الجدول (4): وصف وتشخيص عناصر المزيج التسويقي المصرفي من وجهة عملاء المصارف التجارية الجزائرية الخاصّة

البعد	5	4	3	2	1	الإجابات	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	نسبة الاتفاق (%)	ترتيب الأهمّية
المنتج	135	202	48	29	06	420	3,89	0,75	80,23	الرابع
التسعير	107	120	127	52	14	420	3,78	0,85	54,04	السادس
الترويج	178	173	41	26	2	420	4,00	0,87	83,56	الثاني
التوزيع	213	142	25	31	09	420	4,00	0,91	84,52	الثالث
الدليل المادّي	254	147	07	10	02	420	4,12	0,93	95,58	الأوّل
الأفراد	192	138	51	35	04	420	3,86	0,88	78,56	الخامس
العمليات	189	129	53	34	15	420	3,75	0,92	75,61	السابع
المجموع	1268	1051	352	217	52	2940	3,82	0,68	78,88	-

المصدر: من إعداد الباحث وفقا لنتائج برنامج (SPSS-17) ونتائج الآلة الحاسبة.

وبناء على نتائج الجدول أعلاه يتبين أنّ اتجاهات العيّنة المبحوثة إيجابية نحو جميع عناصر المزيج التسويقي المصرفي السبعة المطبّقة فيها، وذلك لأن أوساطها الحسابية جميعها أكبر من الوسط الحسابي الفرضي البالغ (3)، إذ بلغ الوسط الحسابي العام الموزون لعناصر المزيج التسويقي المصرفي مجتمعة (3,82) بانحراف معياري قدره (0,68) وبنسبة اتفاق جيدة بلغت (78,88%)، كما تبين أنّ عنصر الدليل المادّي هو من أكثر العناصر التي تمّ الاتفاق عليها، إذ تحصل على أعلى وسط حسابي بلغ (4,12) وانحراف معياري قدره (0,93) ونسبة اتفاق ممتازة بلغت (95,58%)، فيما حل عنصر العمليات في المرتبة الأخيرة من حيث الاتفاق حيث تحصل على أدنى وسط حسابي بلغ (3,75) وانحراف معياري قدره (0,92) ونسبة اتفاق جيدة بلغت (75,71%).

وتأسيسا على الجدولين (3) و(4) يتضح أنّ كلّ من عملاء المصارف التجارية الجزائرية العمومية والخاصّة على حدّ سواء لديهم تصور واضح عن أهمّية مختلف عناصر المزيج التسويقي المصرفي على مستوى المصارف المبحوثة، لكن تبقى نتائج عيّنة عملاء المصارف التجارية الجزائرية الخاصّة (الأجنبية والمختلطة) أحسن بكثير من نتائج عيّنة عملاء المصارف التجارية الجزائرية العمومية (الحكومية)، حيث تحصلت عيّنة المصارف الخاصّة على وسط حسابي عام بلغ (3,82) أعلى من الوسط الحسابي العام الذي تحصلت عليه عيّنة المصارف العمومية والبالغ (3,62).

ثانيا: اختبار الفرضيات

من أجل اختبار فرضيات الدراسة تمّ استخدام اختبار (T) لعيّنة واحدة (One- Sample T test) وقد تمّ التحصل على النتائج الموضحة في الجدول أدناه:

الجدول (5): نتائج اختبار فرضيات الدراسة

عناصر المزيج التسويقي المصرفي	(T) المحسوبة	(T) الجدولية	(T) المعنوية
المنتج	9,030	2,601	0,000
التسعير	6,011	2,601	0,000
الترويج	7,954	2,601	0,000
التوزيع	7,740	2,601	0,000
الدليل المادّي	6,164	2,601	0,000
الأفراد	10,760	2,601	0,000
العمليات	11,450	2,601	0,000
المجموع	14,371	2,601	0,000

المصدر: من إعداد الباحث وفقا لنتائج برنامج (SPSS-17).

وبناء على معطيات الجدول أعلاه يتبين ما يلي:

1- بلغت قيمة (T) المحسوبة لسياسة المنتج/ الخدمة (9,030) وهي أكبر من قيمتها الجدولية البالغة (2,601)، كما أنّ (T) المعنوية (0,000) أقلّ من مستوى الدلالة (0,01)، وبالتالي نرفض الفرضية العدمية ونقبل الفرضية البديلة، أي أنّ المصارف التجارية الجزائرية العمومية والخاصّة تتبنى سياسة المنتج/ الخدمة من وجهة نظر عيّنة عملائها.

2- بلغت قيمة (T) المحسوبة لسياسة التسعير (6,011) وهي أكبر من قيمتها الجدولية البالغة (2,601)، كما أنّ (T) المعنوية (0,000) أقلّ من مستوى الدلالة (0,01)، وبالتالي نرفض الفرضية العدمية ونقبل الفرضية البديلة، أي أنّ المصارف التجارية الجزائرية العمومية والخاصّة تتبنى سياسة التسعير من وجهة نظر عيّنة عملائها.

3- بلغت قيمة (T) المحسوبة لسياسة الترويج (7,954) وهي أكبر من قيمتها الجدولية البالغة (2,601)، كما أنّ (T) المعنوية (0,000) أقلّ من مستوى الدلالة (0,01)، وبالتالي نرفض الفرضية العدمية ونقبل الفرضية البديلة، أي أنّ المصارف التجارية الجزائرية العمومية والخاصّة تتبنى سياسة الترويج من وجهة نظر عيّنة عملائها.

4- بلغت قيمة (T) المحسوبة لسياسة التوزيع (7,740) وهي أكبر من قيمتها الجدولية البالغة (2,601)، كما أنّ (T) المعنوية (0,000) أقلّ من مستوى الدلالة (0,01)، وبالتالي نرفض الفرضية العدمية ونقبل الفرضية البديلة، أي أنّ المصارف التجارية الجزائرية العمومية والخاصّة تتبنى سياسة التوزيع من وجهة نظر عيّنة عملائها.

5- بلغت قيمة (T) المحسوبة لسياسة الدليل المادّي (6,164) وهي أكبر من قيمتها الجدولية البالغة (2,601)، كما أنّ (T) المعنوية (0,000) أقلّ من مستوى الدلالة (0,01)، وبالتالي نرفض الفرضية العدمية ونقبل الفرضية البديلة، أي أنّ المصارف التجارية الجزائرية العمومية والخاصّة تتبنى سياسة الدليل المادّي من وجهة نظر عيّنة عملائها.

6- بلغت قيمة (T) المحسوبة لسياسة الأفراد (10,460) وهي أكبر من قيمتها الجدولية البالغة (2,601)، كما أنّ (T) المعنوية (0,000) أقلّ من مستوى الدلالة (0,01)، وبالتالي نرفض الفرضية العدمية ونقبل الفرضية البديلة، أي أنّ المصارف التجارية الجزائرية العمومية والخاصّة تتبنى سياسة الأفراد من وجهة نظر عيّنة عملائها.

7- بلغت قيمة (T) المحسوبة لسياسة العمليات (11,450) وهي أكبر من قيمتها الجدولية البالغة (2,601)، كما أنّ (T) المعنوية (0,000) أقلّ من مستوى الدلالة (0,01)، وبالتالي نرفض الفرضية العدمية ونقبل الفرضية البديلة، أي أنّ المصارف التجارية الجزائرية العمومية والخاصّة تتبنى سياسة العمليات من وجهة نظر عيّنة عملائها.

8- بلغت قيمة (T) المحسوبة لجميع سياسات المزيج التسويقي المصرفي السبعة مجتمعة (14,371) وهي أكبر من قيمتها الجدولية البالغة (2,601)، كما أنّ (T) المعنوية (0,000) أقلّ من مستوى الدلالة (0,01)، وبالتالي نرفض الفرضية العدمية ونقبل الفرضية البديلة، أي أنّ المصارف التجارية الجزائرية العمومية والخاصّة تتبنى مختلف سياسات المزيج التسويقي المصرفي السبعة بنسب إيجابية متفاوتة حسب آراء عيّنة عملائها.

النتائج والتوصيات

توصّلت هذه الدراسة في الأخير إلى جملة من النتائج والتوصيات يمكن إيجازها فيما يلي:

أولا: نتائج الدراسة

من خلال الدراسة الميدانية التي قام بها الباحث فقد تمّ التوصّل إلى النتائج التالية:

1- تتبنى المصارف التجارية الجزائرية العمومية والخاصّة سياسة المنتج/ الخدمة وفقا لآراء عيّنة عملائها.

2- تتبنى المصارف التجارية الجزائرية العمومية والخاصّة سياسة التسعير وفقا لآراء عيّنة عملائها.

3- تتبنى المصارف التجارية الجزائرية العمومية والخاصّة سياسة الترويج وفقا لآراء عيّنة عملائها.

4- تتبنى المصارف التجارية الجزائرية العمومية والخاصّة سياسة التوزيع وفقا لآراء عيّنة عملائها.

5- تتبنى المصارف التجارية الجزائرية العمومية والخاصّة سياسة الدليل المادّي وفقا لآراء عيّنة عملائها.

6- تتبنى المصارف التجارية الجزائرية العمومية والخاصّة سياسة الأفراد وفقا لآراء عيّنة عملائها.

7- تتبنى المصارف التجارية الجزائرية العمومية والخاصّة سياسة العمليات وفقا لآراء عيّنة عملائها.

7- تتبنى المصارف التجارية الجزائرية العمومية والخاصّة مختلف سياسات المزيج التسويقي السبعة وفقا لآراء عيّنة عملائها.

لكن رغم ذلك فإنّ واقع القطاع المصرفي في الجزائر يشير إلى قصور واضح ونقائص جمة في تطبيق مختلف عناصر المزيج التسويقي في المصارف التجارية الجزائرية وبالتحديد في المصارف العمومية والتي ينبغي عدم إغفالها وتسليط الضوء عليها في دراسات مستقبلية.

ثانيا: توصيات الدراسة

بناء على النتائج التي تمّ التوصّل إليها سابقا فإنّ الباحث يوصي عبر هذه الدراسة بما يلي:

1- ضرورة قيام المصارف التجارية الجزائرية العمومية بتنويع عناصر مزيجها الخدمي عبر الانتقال الحقيقي نحو الصيرفة الشاملة، بالإضافة إلى تبني برامج جادة وفعالة في تطوير منتجاتها وخدماتها المقدّمة.

2- ضرورة قيام البنك المركزي الجزائري بإعادة النظر حيال سياسته المنتهجة حاليا وذلك بإعطاء حرّية أكبر للمصارف التجارية الجزائرية في تحديد أسعار منتجاتها وخدماتها.

3- تنويع المزيج الترويجي المطبّق في المصارف التجارية الجزائرية العمومية، مع ضرورة وضع ضوابط لعملية تحديد ميزانية الترويج.

4- الاهتمام أكثر بالطرق الالكترونية الحديثة المتبعة في توزيع المنتجات والخدمات المصرفية عبر التوجه نحو الصيرفة الالكترونية.

5- ضرورة الاهتمام أكثر بالكادر البشري للمصارف التجارية الجزائرية العمومية عبر حسن اختيارهم وإخضاعهم لدورات وبرامج تكوينية مكثفة.

6- ضرورة العمل على تطوير كافة الجوانب المتعلّقة بعملية تقديم الخدمة المصرفية من تسهيل إجراءاتها وإدماج مختلف التقنيات الحديثة المساعدة على تقديمها في أحسن الظروف.

7- ضرورة التنسيق وإحداث نوع من التكامل في تطبيق مختلف سياسات المزيج التسويقي في المصارف التجارية الجزائرية.

قائمة المراجع

أولا: قائمة المراجع العربية

- أبو عرابي، مروان محمد (2006) **الخدمات المصرفية في البنوك الإسلامية والتقليدية**، ط (1)، دار تسنيم للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

- أحمد، أحمد محمود (2001) **تسويق الخدمات المصرفية: مدخل نظري – تطبيقي**، ط (1)، دار البركة للنشر، عمان، الأردن.

- البكري، ثامر ياسر، والرحومي، أحمد نزار (2007) **تسويق الخدمات المالية**، ط (1)، مكتبة الجامعة، الشارقة، الإمارات العربية المتحدّة.

- الزامل، أحمد محمود، وآخرون (2012) **تسويق الخدمات المصرفية**، ط (1)، إثراء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

- الموسوي، كوثر (2013) **أثر عناصر المزيج التسويقي المصرفي في المكانة الذهنية للزبون: دراسة تطبيقية في مصرف الائتمان العراقي المدرج في سوق العراق للأوراق المالية**، مركز دراسات الكوفة، المجلد (01)، العدد (27)، ص ص255-277.

- النسور، إياد عبد الفتاح (2015)، **تسويق المنتجات المصرفية**، ط (1)، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

- حرب بيان، وآخرون (2007) **دراسة أثر تسويق الخدمات المصرفية على سلوك العملاء بالتطبيق على المصارف العاملة في محافظة اللاذقية**، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلّمية، سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد (30)، العدد (04)، ص ص113-133.

- طالب، علاء فرحان وآخرون (2010) **المزيج التسويقي وأثره في الصورة المدركة للعملاء**، ط (1)، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

- معراج، هواري (2005)، **تأثير السياسات التسويقية على الخدمات المصرفية في المصارف التجارية الجزائرية: دراسة ميدانية**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر، كلّية علوم التسيير، الجزائر.

- معلا، ناجي ذيب (2000) **الأصول العلمية للتسويق المصرفي**، ط (3)، المكتبة الوطنية، عمان، الأردن.

ثانيا: قائمة المراجع الأجنبية

- Adeniken, David Dada (1998) **The impact of banks marketing strategies on customers satisfaction**, Thesis submitted in partial fulfilment of the requirements for the degree of master of business administration, Federal University of technology, Akure, Nigeria.
- Ateba, B B (2015) **Marketing Mix: It's Role in Customer Satisfaction in the South African Banking retailing**, Banks and Banks Systems, Vol.10, No.01, PP 83-91.
- Bitner, Mary Jo (1990) **Evaluating service encounters: the effects of physical surroundings and employee responses**, Journal of Marketing, Vol (54), April, PP 69-82.
- Ennew, Christine, and Waite, Nigel (2007) **Financial services marketing: an international guide to principals and practice**, 1st Ed, Elsevier, Burlington, U.S.A.
- Filser, Marc (1997**) Encyclopédie de gestion**, 2ème Ed, Economica, Paris, France.
- Goi, Chai Lee (2009) **A review of marketing mix: 4 P's or more ?**, International Journal of Marketing Studies, Vol.01, No.01, PP 02-15.
- Ketabi, Farinoosh (2012) **The effect of the marketing mix of services to attract customer banks: Case study tejarat bank, branches of Kermanshah province**, Journal of Basic and Applied Scientific Research, Vol.02, No.09, 8632-8639.
- Kotler, Philip (1999) **Le marketing selon Kotler: ou comment créer, conquérir et dominer un marché**, Edition Village Mondial, Paris, France.
- Le golvan Yves (1985) **Marketing bancaire et planification: choix d'un système et application en agences**, Edition Banque, Paris, France.
- Payne, Adrian (1995) **The essence of services marketing**, 2nd Ed, Prentice Hall of India Private Limited, New Delhi, India.

دراسة قياسية لمحدّدات سعر الصرف في الجزائر

خلال الفترة: 1990ـ 2013

د. هارون العشي

جامعة باتنة- 1-الجزائر

ملخّص:

تهدف الدراسة إلى تقدير محدّدات سعر الصرف في الجزائر خلال الفترة: 1990- 2013، وذلك وفق نموذج قياسي، وقد تمّ تحليل السلاسل الزمنية لمتغيرات النموذج، باستخدام عدّة اختبارات، وقد كشفت نتائج هذه الاختبارات بأنّ: احتياطات الصرف والكتلة النقدية من بين المتغيرات المفسرة لسعر الصرف في الجزائر خلال فترة الدراسة، ما يجعل هذا الأخير أداة فعالة للتأثير على مختلف المتغيرات الاقتصادية الكلّية، كتنافسية الصادرات، وتكلفة السلع والخدمات المستوردة، ومستوى التضخم، والقوة الشرائية للبلدان،..الخ.

Abstract:

the study aims to assess the determinants of the exchange rate in Algeria during the period: 1990-2013, according to the standard model, which allowed an analysis of time series of form variables, using multiple tests and the results of these tests showed that the foreign exchange reserves and the money supply between explanatory variables for the exchange rate in Algeria during the study period, making it an effective tool to influence on the various macroeconomic variables, such as export competitiveness, the cost of imported goods and services, the level of inflation and the purchasing power of countries, Etc....

يعتبر سعر الصرف الوسيلة المحدّدة بين الاسعار الخارجية والداخلية للعملات، كما يمكن اعتباره الأداة الكثر فعالية لأهمّيته الكبرى، التي تنعكس على الاقتصاد الوطني، اذا لم تتدخل السلطات بالرقابة الصارمة، فنجد أنّ هذه السياسة قد تكون أحيانا مهمّة لتصحيح الاختلال في ميزان المدفوعات، إلا أنّ الافراط في هذه السياسة قد تكون له نتائج عكسية.

إن لسعر الصرف أهمّية كبيرة لدى كافة المتعاملين الاقتصاديين، لما له من تأثير على مستوى النشاط الاقتصادي، وهذا ما جعله يأخذ حيزا كبيرا في انشغالات الباحثين الاقتصاديين.

بناء على ما سبق تمثّلت اشكالية هذه الورقة في محاولة الاجابة على التساؤل الآتي:

ما هي محدّدات سعر الصرف في الجزائر خلال الفترة: 1990 – 2013 ؟

أولا: ماهية وأنواع سعر الصرف ونظمه.

I- تعريف سعر الصرف:

يمكن تعريف سعر الصرف بأنّه: "سعر الوحدة من النقد الأجنبي مقدرا بوحدات من العملة الوطنية"[1]. أو هو "ثمن عملة دولة مقومة في شكل عملة دولة أخرى، أو هي شبه مبادلة عملتين"[1]، كما يمكن تعريفه على أنه "عدد الوحدات من عملة معيّنة الواجب دفعها للحصول على وحدة من عملة أخرى"[2].

و لسعر الصرف سعر شراء وسعر بيع؛ **فسعر الشراء**: هو عدد الوحدات من العملة المحلية التي يدفعها المشتري لشراء وحدة من العملة الأجنبية.

أمّا سعر البيع: هو عدد الوحدات التي يطلبها البائع من العملة الوطنية لبيع وحدة واحدة من العملة الأجنبية.

II - أشكال سعر الصرف:

يتأثر سعر الصرف لعملة من العملات بثلاثي عرضها مع الطلب عليها إضافة إلى عوامل أخرى، وعادة ما يتم التمييز بين عدّة أشكال من سعر الصرف، وهي:

1- سعر الصرف الاسمي:

يعرف سعر الصرف الاسمي بأنّه سعر عملة أجنبية بدلالة وحدات من عملة محلية، دون ابراز القوة الشرائية للعملة، ويتحدّد تبعا للعرض والطلب على العملة في سوق الصرف، في فترة لحظة زمنية معيّنة.[3] وينقسم إلى سعر صرف رسمي وموازي، وهذا يعني وجود أكثر من سعر صرف اسمي في نفس الوقت لنفس العملة في نفس البلد.

2- سعر الصرف الحقيقي:

سعر الصرف الحقيقي عن الوحدات من السلع الأجنبية اللازمة لشراء وحدة واحدة من السلع المحلية، وهو يقيس القدرة على المنافسة، ويفيد المتعاملين الاقتصاديين في اتخاذ قراراتهم، وهو سعر الصرف الذي يأخذ بعين الاعتبار الأسعار في البلدين، ويعطى بالعلاقة:

$$TCR = \frac{\mathrm{e}P^*}{\mathrm{P}}$$

حيث أنّ e: سعر الصرف الاسمي

P^*: متوسط سعر السلع والخدمات الأجنبية معبرا عنه بالعملة الأجنبية.

P: سعر السلع والخدمات معبرا عنه بالعملة المحلية.

---

[1]- الطاهر لطرش، تقنيات البنوك، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة الثانية، 2003، ص 96.

[2]- عبد المجيد قدي، المدخل الى السياسات الكلية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005، ص 103 – 104.

*- ان اتجاهات مؤشر الصرف الحقيقي ل أهمّية كبيرة بالنسبة لميزان المدفوعات، وكذلك لتطوّرات ونمو الأسواق السلعية والنقدية والمالية.

إن اتجاه مؤشر سعر الصرف الحقيقي نحو الارتفاع يؤدي إلى ضعف القدرة التنافسية للسلع المصدرة من حيث الأسعار، بالعكس فإنّ انخفاض هذا المؤشر يؤدي الى ارتفاع القدرة التنافسية، بالتالي تشجيع الصادرات*.

III – نظم سعر الصرف:

نميز بين ثلاث أنظمة الصرف، الأوّل: سعر الصرف الثابت، الذي يتم فيه القيام بالصفقات عند السعر القائم أثناء العملية التجارية، ويحافظ على ثباته من طرف البنك المركزي عن طريق شراء وبيع العملات الأجنبية، أمّا الثاني: فهو نظام الصرف المرن، الذي يتحدّد فيه الصرف عن طريق العرض والطلب، أخيرا نظام الرقابة على الصرف، أين تقوم الحكومة بتحديد سعر الصرف، ولا يترك للأفراد الحرّية التامة للقيام بالعمليات التجارية، كما أنهم ملزمون ببيع كلّ ما بحوزتهم من عملة أجنبية إلى البنك المركزي.[1]

ثانيا: تصحيح الاختلال في ميزان المدفوعات عن طريق آلية السوق.

ورد في تفسير الاختلال في ميزان المدفوعات العديد من النظريات، لكن سوف نركز على نقطتين، وهما:

I – منهج المرونات: يعتمد منهج المرونات على كلّ من مرونتي الطلب المحلي على الواردات والطلب الأجنبي على الصادرات في تحليل أثر تخفيض قيمة العملة الوطنية لعلاج العجز في الميزان التجاري.

1- شرط مارشال لرنر *The Marshall-Lerner condition*

يفترض بشرط مارشال حدوث تخفيض في قيمة العملة الوطنية، حيث يكون العرض تام المرونة، وافتراضها أنّ مجموع المرونات الصرفة لطلب الواردات وطلب الصادرات تزيد عن الواحد بالقيمة المطلقة، وذلك كما يلي: حسب مارشال فإنّ سعر الصرف الحقيقي يعطى بالعلاقة الآتية: $q = e.\frac{P^*}{\mathrm{P}}$

إذن حسب هذه العلاقة، فإنّ سعر الصرف الحقيقي يرتفع في الحالات الآتية:

- ارتفاع سعر الصرف الاسمي e.
- ارتفاع مستوى الاسعار الاجنبية P^*.
- انخفاض مستوى الأسعار المحلية P.

فعندما يتوقع المستهلك ارتفاع اسعار السلع الأجنبية مقارنة بأسعار السلع المحلية، فهذا يؤدي إلى تخفيض الطلب المحلي على السلع الاجنبية (الواردات)، ويزيد من الطلب الأجنبي على السلع المحلية (الصادرات)، أين يحسن الميزان التجاري، بالتالي قام مارشال بتحديد مرونة الطلب على الصادرات $\varepsilon(x)$، ومرونة الطلب على الواردات $\varepsilon(m)$.[2*] ولتحقيق شرط مارشال لرنر، لا بدّ أنّ تكون:

---

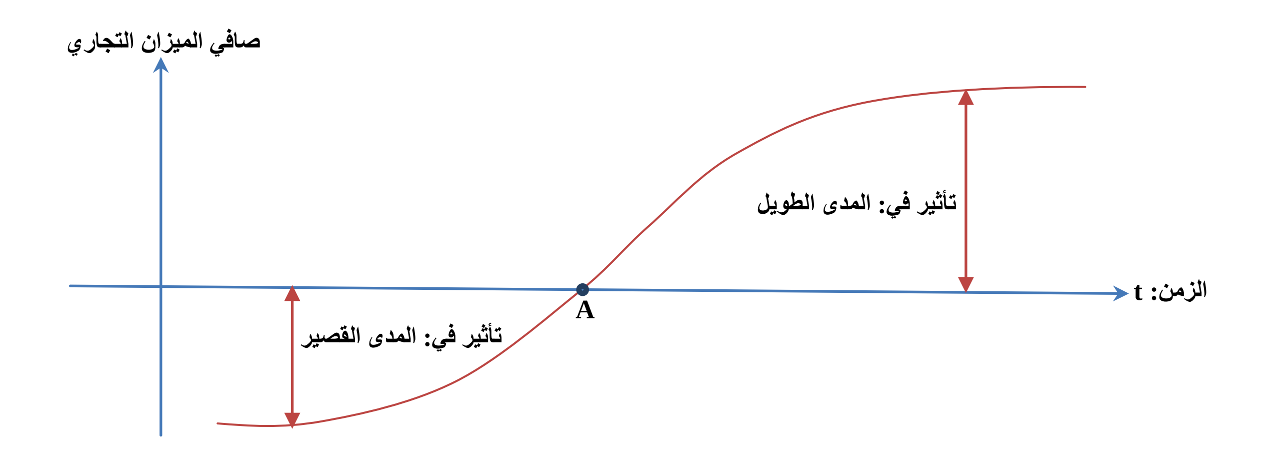
[1]- بن زيان راضية، دراسة قياسية واقتصادية للعلاقة بين سعر الصرف، معدل الفائدة والتضخم في الجزائر، أطروحة دكتوراه علوم في العلوم الاقتصادية، فرع القياس الاقتصادي، جامعة الجزائر، 2010، ص 35.

*- يمثل منهج المرونات نموذج التوازن الاقتصادي الجزئي، الذي يركز على استجابة الصادرات والواردات للتغيرات في الأسعار النسبية، ويهمل تأثير كل من الدخل الوطني وتدفقات رأس المال وسوق النقد.

$$\left| (x\varepsilon) \right| + \left| \varepsilon(m) \right| > 1.$$ [1]

2- منحنى J: عادة ما يستجيب الميزان التجاري للتغيرات في سعر الصرف ضمن الاقتصاديات المفتوحة، واثر تغير سعر الصرف في المدى القصير عنه في المدى الطويل، وهذا راجع إلى أنّ الكميات المتواجدة بها عادة ما يتم تكييفها ببطء نظرا لتحركات سعر الصرف، ويرى الكثير من الاقتصاديين بأنّ الميزان التجاري سينخفض في البداية استجابة لانخفاض قيمة العملة المحلية، لكن عبر الزمن سوف ترتفع الصادرات وتنخفض الواردات، نتيجة انخفاض قيمة العملة المحلية فيتحسن الميزان التجاري، كما هو موضح في الشكل التالي:

شكل (1): منحنى J



المصدر: سامي خليل، الاقتصاد الدولي، دار النهضة العربية، القاهرة، 2005، ص. 966.

نلاحظ أنّ استجابة الميزان التجاري لتدهور قيمة العملة أو تخفيضها تبدو على شكل حرف J.

II- التصحيح عن طريق سعر الصرف:

إن من أهمّ الشروط الواجب توفرها لتطبيق هذه الطريقة هي حرّية أسعار الصرف، ومفاد هذه النظرية هو أنّ أي دولة تعاني من عجز في ميزان مدفوعاتها، فهي تحتاج الى عملات أجنبية، بالتالي فإنّ الزيادة في عرض العملة المحلية سيؤدي إلى انخفاض سعرها، وعندها تصبح أسعار السلع والخدمات المنتجة في تلك الدولة منخفضة مقارنة بالسلع والخدمات الأجنبية، فيزداد الطلب على منتجات الدولة، ومنه تزداد صادراتها مقابل وارداتها، نظرا لارتفاع أسعار السلع والخدمات الاجنبية، وتستمر هذه العملية حتّى العودة إلى وضع التوازن، أمّا في حالة وجود فائض في ميزان المدفوعات فيحدث العكس.[2]

ثالثا: تفاعل تغيرات الأسعار وتغيرات الدخل – منهج الاستيعاب-.

[1]- https: // fr.wikipedia.org , (03/08/2015) (à 13:20).

[2]- درقال يمينة، دراسة تقلبات اسعار الصرف في المدى القصير اختبار فرضية التعديل الزائد في دول المغرب العربي، مذكرة ماجستير في العلوم الاقتصادية، تخصص مالية دولية، جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان، ص 71.

يرجع الفضل في إرساء الدعائم الأولى لمنهج الاستيعاب لكتابات "*Meade*" (1951) في ميزان المدفوعات، بينما ينسب فضل استخدام مصطلح الاستيعاب لأول مرة إلى "*Sidney Alexander*" (1952)، يقصد بالطاقة الاستيعابية للاقتصاد مجموع الانفاق الاستهلاكي والاستثمار، باعتبار أنّ الدخل الوطني يمثّل مجموع الانفاق الكلّي المتحقق، فإنّ:[1]

$$Y = C + I + G + (X - M) \ldots\ldots\ldots(1)$$

حيث:

Y : يمثّل الدخل الوطني

C : الانفاق الاستهلاكي

I : الانفاق الاستثماري

G : الانفاق الحكومي

(X-M) : صافي التعامل الخارجي

بوضع: $A = C + I + G \ldots\ldots(2)$ يمثّل الطاقة الاستيعابية.

بتعويض المعادلة (2) في (1) نجد:

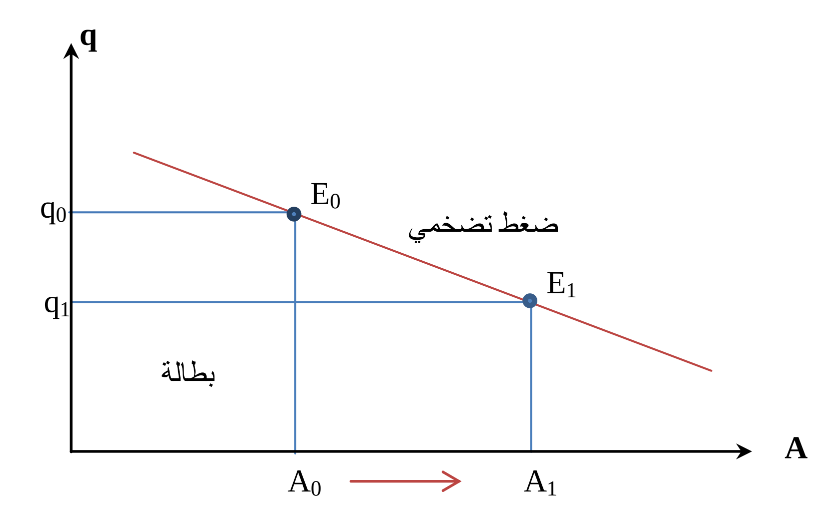
$$(1) \Leftrightarrow Y = A + (X - M)$$

$$\Leftrightarrow Y - A = (X - M) \ldots\ldots\ldots(3)$$

إذا كان: 0> (X – M) فهذا يشير إلى وجود عجز في ميزان المدفوعات نظرا لوجود فائض في الطلب.

يؤكد هذا المنهج على أنّ وجود فائض في الطلب المحلي أعلى من الانتاج المحلي يؤدي إلى زيادة في الاستيراد، بالتالي تدهور في الميزان التجاري، والشكل الآتي يبين توازن الاقتصاد المحلي باستخدام كلّ الدخل والاستيعاب.

الشكل(2): توازن الاقتصاد المحلي.



Source: Carles ; Basic Exchange rate théories, Centre of international Economics, 2005.

[1] - عرفان تقي الحسين، التمويل الدولي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الثانية، 2002، ص 132.

كلّ نقطة على المنحنى هي نقطة توازن للاقتصاد المحلي، المساحة فوق المنحنى تبين أنّ الاقتصاد يعاني من ضغوط تضخمية، أمّا المساحة تحت المنحنى فتعني أنّ الاقتصاد يعاني من البطالة. بالتالي يتحقق التوازن للاقتصاد المحلي عند تطابق كلّ من مستوى الانتاج والمعدل الطبيعي، وفي هذا الاطار يرى فريدمان (1986) أنّ الانتاج هو تابع لمستوى الاستيعاب A ولسعر الصرف الحقيقي q، كما هو موضح في المعادلة الآتية:

$$y = f\,(A.q)$$

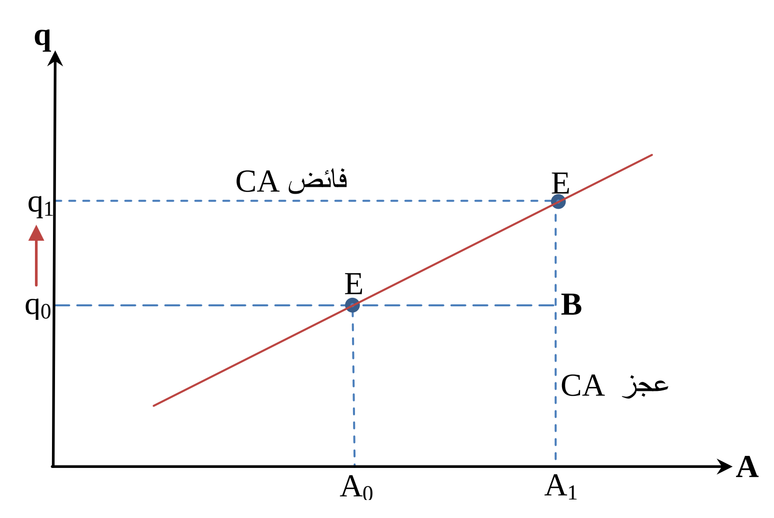
بافتراض أنه عند نقطة التوازن E_0 ارتفع مستوى الانفاق من A_0 إلى A_1 عند نفس مستوى سعر الصرف السابق q_0، وهذا يعني أنّ الاقتصاد سوف ينتقل إلى مرحلة الانتاج التضخمي. ومن اجل معالجة هذا الوضع والعودة الى التوازن يتم استخدام سياسة تخفيض الانفاق (تخفيض قيمة سعر الصرف)، الذي سوف يؤدي إلى ارتفاع مستوى الاسعار المحلية (انخفاض سعر الصرف من q_0 إلى q_1)، في هذه الحالة ستعود البطالة إلى مستواها التوازني مع الانتاج عند نقطة التوازن E_1.

بالنسبة للتوازن الخارجي (زيادة الانتاج) فهو ذلك الاتحاد والتوافق ما بين الاستيعاب A وسعر الصرف الحقيقيq، من أجل أن يكون الميزان التجاري متوازنا، فالحساب الجاري يرتبط سلبيا بمستوى الاستيعاب A، لأن ارتفاع الطلب المحلي يؤدي إلى زيادة الطلب على الواردات، ويرتبط إيجابيا بسعر الصرف الحقيقيq، بالتالي يتحقق شرط *Marshall-Learner*، ويمكن كتابة دالة الميزان التجاري كالآتي:

$$CA = f\,(A.q)$$

و الشكل (3) أدناه يوضح التوازن الخارجي.

الشكل (3): التوازن الخارجي.

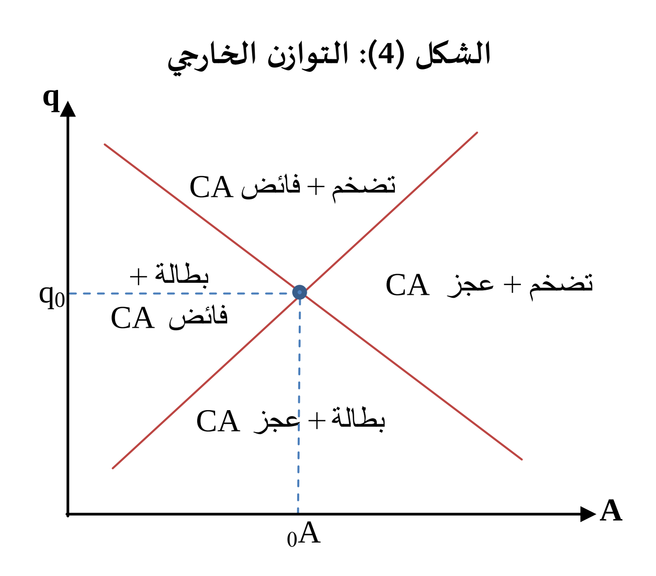


Source: Carles ; Basic Exchange rate théories, Centre of international Economics, 2005.

يمثّل الشكل (3) اتحاد الاستيعاب وسعر الصرف الحقيقي من أجل تحقيق التوازن الخارجي، فكلّ نقطة هي نقطة توازن، E_0 هي نقطة توازن في القطاع الخارجي، المساحة فوق المنحنى تمثّل فائضا، أمّا تحت المنحنى فهي تمثّل عجزا في الميزان التجاري، B هي نقطة عدم التوازن، يكون فيها الميزان التجاري في حالة عجز، حيث

ارتفاع الانفاق الكلّي سيؤدي إلى زيادة الواردات من أجل تصحيح الوضع والعودة إلى وضع التوازن، يجب على سعر الصرف أن يرتفع من q_0 إلى q_1، وهذا يعني انخفاض في مستوى الأسعار المحلية، فتصبح السلع المحلية منافسة للسلع الأجنبية، بذلك ترتفع الصادرات وتنخفض الواردات، بالتالي نعود إلى وضع التوازن عند النقطة E_1 و يمكن دمج الشكلين (2) و(3) في الشكل الآتي:

الشكل (4): التوازن الخارجي



Source: Carles ; Basic Exchange rate théories, Centre of international Economics, 2005.

حسب "*Swan*" (1955)، يحقق الاقتصاد التوازن الداخلي والخارجي عند النقطة E_0، وهي النقطة التي يلتقي فيها الاستيعاب وسعر الصرف الحقيقي $(q_0،A_0)$، وحتّى يصل الاقتصاد إلى نقطة التوازن لا بدّ أن يكون الاقتصاد في واحدة من عدم التوازن الآتية:

- بطالة + عجز في الحساب الجاري.
- بطالة + فائض في الحساب الجاري.
- تضخم + عجز في الحساب الجاري.
- تضخم + فائض في الحساب الجاري.

رابعا: النمذجة القياسية لمحدّدات سعر الصرف في الجزائر.

I- تعيين النموذج وتقدير معلّماته:

من أجل معرفة الصيغة الرياضية المناسبة لتقدير نموذج، الظاهرة محل الدراسة، سنقوم بتجريب نوعين من الصيغ الرياضية لمعدلات النموذج، وهي الصيغة الخطية واللوغاريتمية، حيث تعطى الصيغة الرياضية لكلّ نموذج على النحو الآتي:

1-**النموذج الخطي**: تعطى الصيغة الرياضية للنموذج الخطي في صيغة المعادلة الآتية:

$$Tch_t = \beta_0 + \beta_1 Rsrv_t + \beta_2 M_{2t} + \beta_3 Infl_t + \beta_4 Bp_t + U_t$$

حيث:

Tch: يمثّل سعر الصرف

Rsrv: تمثّل الاحتياطات

M_2: تمثّل الكتلة النقدية

Infl: يمثّل معدل التضخم.

Bp: يمثّل رصيد ميزان المدفوعات.*

U: يمثّل حدّ الخطأ

t: يعبر عن عدد المشاهدات.

$\beta_0, \beta_1, \beta_2, \beta_3, \beta_4$: تمثّل معلمات النموذج.

بعد ادخال البيانات في برنامج *Eviews9* نتحصل على الجدول الآتي:

جدول (1): نتائج تقدير نموذج الأعداد الحظر المتعدد لسعر الصرف في الجزائر خلال الفترة: 1990–2013

Dependent Variable: TCH
Method: Least Squares
Date: 07/28/15 Time: 13:39
Sample: 1990 2013
Included observations: 24

Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
RSRV	0.655392	0.224135	2.924094	0.0087
M2	-0.935255	0.361274	-2.588767	0.0180
INFL	-1.677887	0.260695	-6.436205	0.0000
BP	-0.288922	0.273190	-1.057584	0.3035
C	93.38285	9.317250	10.02258	0.0000

R-squared	0.800160	Mean dependent var	59.63708
Adjusted R-squared	0.758089	S.D. dependent var	21.87462
S.E. of regression	10.75891	Akaike info criterion	7.772398
Sum squared resid	2199.330	Schwarz criterion	8.017826
Log likelihood	-88.26878	Hannan-Quinn criter.	7.837510
F-statistic	19.01906	Durbin-Watson stat	0.939949
Prob(F-statistic)	0.000002		

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات برنامج Eviews9.

بعد إزالة متغير رصيد ميزان المدفوعات لأنه غير معنوي، بالتالي نحصل على الجدول أدناه:

* - يتضمن على الحساب الجاري (الميزان التجاري، ميزان الخدمات)، وعلى حساب رأس المال (الاستثمارات الأجنبية المباشرة مثلا).

جدول (2): نتائج إعادة تقدير نموذج الإعداد الخطي المتعدد لسعر الصرف في الجزائر خلال الفترة: 2013–1990

Dependent Variable: TCH
Method: Least Squares
Date: 07/28/15 Time: 13:38
Sample: 1990 2013
Included observations: 24

Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
RSRV	0.618487	0.222057	2.785264	0.0114
M2	-0.907788	0.361405	-2.511828	0.0207
INFL	-1.580862	0.244741	-6.459328	0.0000
C	90.96370	9.058813	10.04146	0.0000

R-squared	0.788396	Mean dependent var	59.63708
Adjusted R-squared	0.756656	S.D. dependent var	21.87462
S.E. of regression	10.79074	Akaike info criterion	7.746265
Sum squared resid	2328.799	Schwarz criterion	7.942607
Log likelihood	-88.95518	Hannan-Quinn criter.	7.798354
F-statistic	24.83876	Durbin-Watson stat	0.817200
Prob(F-statistic)	0.000001		

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات برنامج Eviews9.

أ- اختيار معنوية العالم:

نستخدم احصائية ستيودنت t لتقييم معنوية معالم النموذج، ومن ثمّ تقييم تأثير المتغيرات المفسرة على المتغير التابع، باختيار الفرضيات الخاصّة بالمعلّمات المقدرة على النحو الآتي:

فرضية العدم: المعلمات ليست لها معنوية احصائية $H_0: \beta_0 = \beta_1 = \beta_2 = \beta_3 = \beta_4 = 0$

الفرضية البديلة: المعلمات لها معنوية إحصائية $H_1: \beta_0 \neq \beta_1 \neq \beta_2 \neq \beta_3 \neq \beta_4 \neq 0$

القيمة الجدولية t_{tab} نستخرجها من جدول ستيودنت عند مستوى معنوية

$\alpha = 0.05$، ودرجات حرّية: $N-k = 24 - 5 = 19$

أي: $t^{\alpha}_{N-K} = t^{0.05}_{19} = 2.093$، ثمّ نقارنها بقيم $|t_{cal}|$ (المحسوبة)، بالتالي نرفض H_0، ونقبل H_1

ب- اختيار المعنوية الكلّية للنموذج:

نستخدم معامل التحديد R^2 واختبار فيشر F لاختبار معنوية النموذج المتحصل عليه من الجدول (2).

ب-1- معامل التحديد R^2 : أنّ قيمة R^2 المتحصل عليها في النموذج يساوي إلى: 0,7883، وهي قيمة قريبة من الواحد الصحيح، التي تحدث في سعر الصرف، أمّا النسبة المتبقية تقرها عوامل أخرى غير مدرجة في النموذج ومتضمنة في حدّ الخطأ U_t، مما يدل على أنّ هناك ارتباط قوي بين سعر الصرف والمتغيرات المفسرة.

ب-2- اختبار فيشر: يستخدم هذا الاختبار لدراسة معنوية الانحدار ككلّ من خلال الفرضيتين الآتيتين:

فرضية العدم: تنص على انعدام العلاقة بين المتغيرات المفسرة والمتغير التابع، أي أن: $H_0: \beta_0 = \beta_1 = \beta_2 = \beta_3 = \beta_4 = 0$

الفرضية البديلة: تنصّ على وجود على الأقلّ معلمة من معلمات النموذج غير معدومة، أي أن: $H_1: \beta_0 \neq \beta_1 \neq \beta_2 \neq \beta_3 \neq \beta_4 \neq 0$

إن القيمة المحسوبة F_{cal} تساوي إلى: 24,83876 أكبر من F_{tab} (الجدولية)

بالاستعانة بجدول فيشر عند درجة حرّية للبسط $K-1 = 5 - 1 = 4$، ودرجة حرّية للمقام $N-k = 24 - 5 = 19$ *، عند مستوى معنوية 5 % يساوي إلى:

$$F_{N-K}^{K-1} = F_{24-5}^{5-1} = F_{19}^{4} = 2.90$$

بالتالي سوف ترفض H_0 وتقبل H_1، بالتالي النموذج ككلّ معنوي.

2- النموذج اللوغاريتمي: وفقا لهذه الصيغة الرياضية يتم تحويل قيم المشاهدات (المتغيرات الداخلة في النموذج) الى قيم لوغاريتمية، ومنه يكون الشكل العام للنموذج اللوغاريتمي كالآتي:

$$Ltch_t = \beta_0 + \beta_1 Lrsrv_t + \beta_2 Lm2_t + \beta_3 Lbp_t + \beta_4 Linfl_t + U_t$$

بعد ادخال اللوغاريتم على قيم المشاهدات نحصل على الجدول التالي:

جدول (3): نتائج تقدير انموذج اللوغاريتمي المتعدد لسعر الصرف في الجزائر خلال الفترة: 1990 – 2013

Dependent Variable: LTCH
Method: Least Squares
Date: 07/28/15 Time: 13:45
Sample (adjusted): 1991 2013
Included observations: 17 after adjustments

Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
LRSRV	0.523577	0.082589	6.339533	0.0000
LM2	-0.752653	0.166433	-4.522261	0.0007
LBP	-0.031126	0.024131	-1.289853	0.2214
LINFL	-0.093519	0.041777	-2.238511	0.0449
C	5.439605	0.372157	14.61641	0.0000

R-squared	0.942245	Mean dependent var	4.136568
Adjusted R-squared	0.922994	S.D. dependent var	0.436095
S.E. of regression	0.121016	Akaike info criterion	-1.145852
Sum squared resid	0.175740	Schwarz criterion	-0.900790
Log likelihood	14.73975	Hannan-Quinn criter.	-1.121493
F-statistic	48.94374	Durbin-Watson stat	1.179369
Prob(F-statistic)	0.000000		

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات برنامج Eviews 9.

* - حيث k: يمثل عدد الثوابت ويساوي إلى 5، وN: يمثل عدد المشاهدات ويساوي إلى: 24.

بعد إزالة المتغيرات المفسرة التي ليست لها معنوية إحصائية عند مستوى 5% نحصل على الجدول (4) الآتي:

جدول (4): نتائج إعادة تقدير انموذج اللوغاريتمي المتعدد لسعر الصرف في الجزائر خلال الفترة: 1990 – 2013

Dependent Variable: LTCH
Method: Least Squares
Date: 02/25/15 Time: 21:20
Sample: 1990 2013
Included observations: 24

Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
LRSRV	0.564432	0.046317	12.18632	0.0000
LM2	-0.939737	0.118191	-7.951036	0.0000
C	5.908672	0.337611	17.50144	0.0000

R-squared	0.899242	Mean dependent var	3.973256
Adjusted R-squared	0.889646	S.D. dependent var	0.574632
S.E. of regression	0.190891	Akaike info criterion	-0.357765
Sum squared resid	0.765223	Schwarz criterion	-0.210508
Log likelihood	7.293175	Hannan-Quinn criter.	-0.318697
F-statistic	93.70975	Durbin-Watson stat	1.176079
Prob(F-statistic)	0.000000		

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات برنامج *Eviews 9*.

أ- اختبار معنوية المعلمات:

يمكن توضيح نتائج اختبار ستيودنت للنموذج اللوغاريتمي، حيث قيمة t_{tab} الجدولية عند مستوى معنوية 5% يساوي إلى: $t_{N-K}^{\alpha} = t_{24-3}^{0.05} = t_{21}^{0.05} = 2.080$

أقلّ من قيمة $|t_{cal}|$ المحسوبة ومنه: نقبل H_1 ونرفض H_0، أي المعلمات معنوية إحصائيا.

ب- اختبار معنوية النموذج ككلّ:

نستخدم معامل التحديد R^2 واختبار فيشر F

ب-1- معامل التحديد R^2: أنّ قيمة R^2 المتحصل عليها في النموذج يساوي الى: 0,8992، وهي قريبة من الواحد الصحيح، أي أنّ المتغيرات تتحكم في: 89,92 % من التغيرات التي تحدث في لوغاريتم سعر الصرف، أمّا النسبة المتبقية تفسرها عوامل أخرى غير مدرجة في النموذج ومتضمنة في حدّ الخطأ U_t، مما يدل على أنّ هناك ارتباط قوي بين لوغاريتم سعر الصرف ولوغاريتم المتغيرات المفسرة.

ب-2- اختبار فيشر F:

نلاحظ من خلال الجدول (4) أنّ قيمة F_{cal} (المحسوبة) تساوي الى: 93,70975 عند مستوى معنوية 5% أكبر من قيمة F_{tab} الجدولية التي تساوي إلى:

$$F_{N-K}^{K-1} = F_{24-3}^{3-1} = F_{21}^{2} = 3.47 < 93.70975$$

بالتالي نقبل H_1 ونرفض H_0، مما يدل على وجود علاقة معنوية بين المتغير التابع والمتغيرات المستقلة، ومنه فالنموذج ككلّ معنوي.

II- اختيار النموذج الافضل:

من أجل معرفة الصيغة الرياضية المناسبة للنموذج المراد دراسته، أي معرفة نوع العلاقة بين المتغير التابع والمتغيرات المفسرة (هل هي خطية أم لوغاريتمية) سوف نقوم بالمفاضلة بين نتائج تقدير كلّ من الصيغة النهائية للنموذجين: الخطي واللوغاريتمي، وذلك بالاعتماد على بعض المعايير الاحصائية، وتمكين تلخيص النتائج المتوصّل اليها في الجدول الآتي:

جدول (5): معايير المفاضلة بين النموذجين.

المعيار / النموذج	معيار Akaike	معيار Schwarz	معيار S.E of regression	R^2
النموذج الخطي: الوارد في الجدول رقم (2)	7,746265	7,942607	10,79074	0,788396
النموذج اللوغاريتمي: الوارد في الجدول رقم (4)	-0357765	0,210508	0,190891	0,899242

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على الجدولين: (2) و(4).

من خلال مقارنة نتائج كلّ من النموذجين نلاحظ أنه حسب معايير: *Akaike*[*] و *Schwarz*[**] و *S.E of regression* تعبر عن الأخطاء، بالتالي فإنّ المفاضلة بين النموذجين يتم باختيار النموذج أقلّ قيمة للمعايير السابقة (النموذج ذو أقلّ أخطاء)، ومنه فإنّ النموذج الثاني (اللوغاريتمي) هو الأفضل لأنه نجد فيه أقلّ مستوى للأخطاء، وعليه نستخدمه للدراسة القياسية.

III- اختبار النموذج اللوغاريتمي من الناحية القياسية:

بعد أنّ قمنا باختبار النموذج من الناحية الإحصائية، وكذا اختبار المعنوية الكلّية للنموذج، نستخدم المعايير القياسية لمعرفة مدى انسجام وتطابق الفروض الخاصّة بحدّ الخطأ.

1- اختبار وجود التعدد الخطي:

---

[*] - AIC: The Akaike Information Criterion (يسمى بمعيار المعلومات)، هو مقياس الجودة النسبية للنموذج الاحصائي لمجموعة من البيانات، وعلى هذا النحو فهو يعتبر وسيلة لاختيار النموذج، بالتالي فإن هذا المعيار لا يقوم على فرضية العدم، بل النموذج ذو أصغر قيمة AIC.

[**] - BIC: The Bayesian Information Criterion(يسمى بمعيار المعلومات النظرية الافتراضية)، وهو معيار المعلومات المستقاة من معيار Akaike (1974)، الذي افترضه Gideon Schwarz سنة 1978، خلافا لمعيار Akaike(1974)، فإن معيار Schwarz يعتمد على حجم العيّنة وليس على عدد المعلمات فقط.

من بين فرضيات نموذج الانحدار المتعدد هو عدم ارتباط خطي تام بين قيم مشاهدات المتغيرات المستقلة الداخلة في نموذج الانحدار المراد تقديره، أي أن: [(1)] $r_{x_i y_j} \neq 1$

هنا سوف نستخدم اختبار كلاين *Klien* للكشف عن عدم وجود ازدواج (تعدد، امتداد) خطي، حيث نلاحظ أن معامل التحديد: $R^2 = 0{,}899242$ أكبر من مربع معامل الارتباط بين المتغيرات المستقلة

$$r_{lrsrv\ \ lm2}{}^2 = 0{,}788405$$

فهذا يعني عدم وجود مشكلة التعدد الخطي، وإن كان موجودا فهو لا يؤثر، أي أن: [(2)]

$$R^2 > r^2_{x_i x_j}$$

2- اختبار عدم تجانس الخطأ

من بين فرضيات نماذج الانحدار هو ثبات التباين لحدّ الخطأ، بالتالي يجب التأكد من تحقق هذه الفرضية، وذلك بالقيام باختبار عدم تجانس التباين ل: *Brensch-Pagan-Godfrey*[***]

الذي يعتمد بالدرجة الأولى على تقدير انحدار مساعد لمربعات الاخطاء على المتغيرات التفسيرية، وفقا لهذا الاختبار نحصل على الجدول الآتي:

جدول (6): نتائج اختبار *Brensch-Pagan-Godfrey*

Heteroskedasticity Test: Breusch-Pagan-Godfrey

F-statistic	0.729662	Prob. F(2,21)	0.4939
Obs*R-squared	1.559430	Prob. Chi-Square(2)	0.4585
Scaled explained SS	2.167289	Prob. Chi-Square(2)	0.3384

Test Equation:
Dependent Variable: RESID^2
Method: Least Squares
Date: 08/19/15 Time: 23:47
Sample: 1990 2013
Included observations: 24

Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
C	0.058774	0.111070	0.529163	0.6022
LRSRV	-0.008162	0.015238	-0.535611	0.5979
LM2	-0.000875	0.038883	-0.022499	0.9823

R-squared	0.064976	Mean dependent var	0.031884
Adjusted R-squared	-0.024074	S.D. dependent var	0.062058
S.E. of regression	0.062801	Akaike info criterion	-2.581223
Sum squared resid	0.082823	Schwarz criterion	-2.433967
Log likelihood	33.97468	Hannan-Quinn criter.	-2.542156
F-statistic	0.729662	Durbin-Watson stat	2.127614
Prob(F-statistic)	0.493898		

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات برنامج *Eviews 9*.

[1] - حسين علي بخيت وسحر فتح الله، الاقتصاد القياسي، عمان، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2009، ص 229.

[2] - المرجع نفسه، ص 252.

[***] - سوف نصل الى نفس النتيجة (ثبات التباين لحد الخطأ) بالاعتماد على اختباري White وARCH.

يمكن التعبير عن النتائج التي يوضحها الجدول في المعادلة الآتية:

$$\widehat{U}_t^2 = 0.0587 - 0.0081lrsrv - 0.0008lm_2 + \hat{\varepsilon}_t$$

إذا اعتبرنا أنّ هذا الاختبار يعتمد بالدرجة الاولى على احصائية مضاعف لاغرانج، حيث أنّ هذه الأخيرة تعطى بالعلاقة الآتية:

$$LM = NR^2 \quad \sim \quad \chi^2_{K-1\ (\propto)} = \chi^2_{3-1\ (0.05)} = 5.991$$

$$LM = 24(0.064976) = 1.559424 < 5.991$$

و منه نقبل فرضية العدم

H_0: $V(\widehat{U_1})=V(\widehat{U_2})=\ldots\ldots\ldots\ldots+V(\widehat{U_n})=\delta^2\ In$

أي ثبات التباين لحدّ الخطأ.

3- اختبار الارتباط الذاتي:

يرتكز هذا الاختبار على مضاعف لاغرانج، والذي يسمح باختبار وجود ارتباط ذاتي من درجة اكبر من الواحد لنموذج الانحدار الذاتي للأخطاء من الدرجة p[1] حيث كانت نتائج التقدير وفقا لهذا الاختبار ممثّلة في الجدول الآتي:

جدول (7): نتائج اختبار *Brensch -Godfrey*

Breusch-Godfrey Serial Correlation LM Test:

F-statistic	2.775437	Prob. F(2,19)	0.0876
Obs*R-squared	5.426323	Prob. Chi-Square(2)	0.0663

Test Equation:
Dependent Variable: RESID
Method: Least Squares
Date: 08/19/15 Time: 23:46
Sample: 1990 2013
Included observations: 24
Presample missing value lagged residuals set to zero.

Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
LRSRV	0.001121	0.047775	0.023456	0.9815
LM2	-0.001370	0.124157	-0.011031	0.9913
C	0.001748	0.350304	0.004990	0.9961
RESID(-1)	0.504463	0.224569	2.246360	0.0368
RESID(-2)	-0.317315	0.246460	-1.287491	0.2134

R-squared	0.226097	Mean dependent var	-1.26E-15
Adjusted R-squared	0.063170	S.D. dependent var	0.182402
S.E. of regression	0.176547	Akaike info criterion	-0.447406
Sum squared resid	0.592209	Schwarz criterion	-0.201979
Log likelihood	10.36888	Hannan-Quinn criter.	-0.382294
F-statistic	1.387718	Durbin-Watson stat	1.780008
Prob(F-statistic)	0.275770		

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات برنامج *Eviews9*.

يمكن التعبير عن النتائج التي يوضحها الجدول أعلاه في النموذج الآتي:

[1] - محمد شيخي، طرق الاقتصاد القياسي، عمان، دار الحامد للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى،2012، ص 100.

$$\widehat{U}_t = 0.0017 - 0.0011lrsrv - 0.0013lm_2 + 0.5044\hat{\varepsilon}_{t-1} - 0.3173\hat{\mathrm{a}}_t \qquad \rho = 2lags$$

باعتبار أنّ الاختبار يعتمد بالدرجة الأولى على إحصائية مضاعف لاغرانج، التي تعطى بالعلاقة الآتية:

$$LM = (N-\rho)R^2 \sim \chi^2_{\rho\ (\propto)} = \chi^2_{2\ (0.05)} = 5.991 \qquad \rho = 2lags$$

$$LM = (24-2)(0.226097) = 4.974134 < 5.991$$

و منه نقبل فرضية العدم: H_0:

$Cov(U_i,U_j) = 0$

أي أنه لا يوجد ارتباط ذاتي للأخطاء.

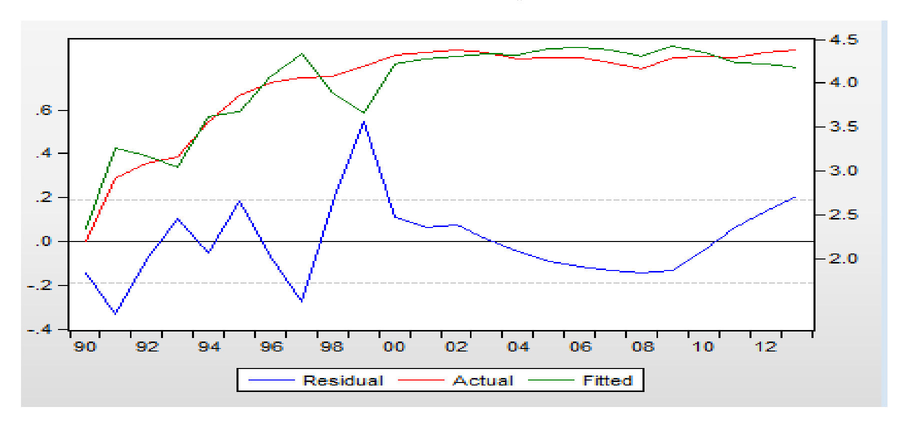
4- اختبار التوزيع الطبيعي لسلسلة بواقي النموذج:

يمكن حساب البواقي التقديرية للنموذج وفق المعادلة الآتية: $U_t = ltch_t - \widehat{ltch}_t$

تتكون السلسلة من 24 مشاهدة، ويمثّل الفرق بين السلسلة الأصلية والسلسلة المقدرة، والمتمثّلة في الشكل الآتي:



شكل (5): منحنى بياني لسلسلة القيم المقدرة والفعلية.



المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات برنامج *Eviews 9*.

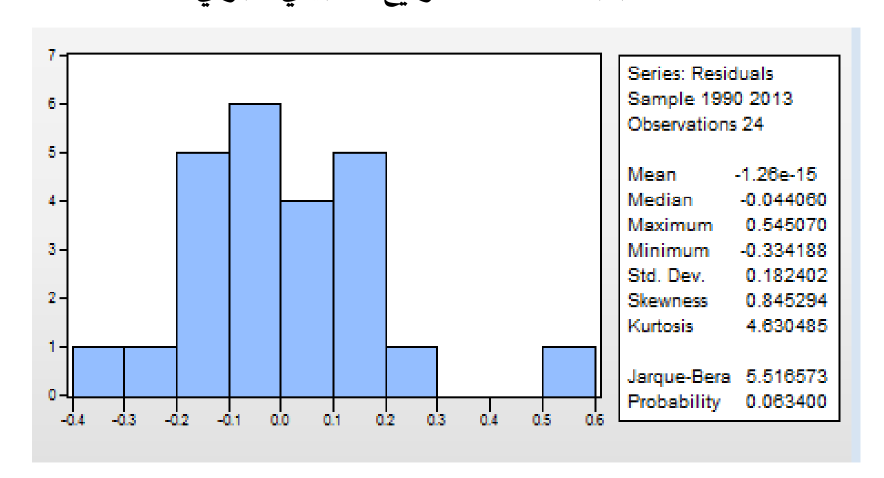
نلاحظ من خلال قيم الشكل أعلاه أنّ القيم المقدرة باستعمال النموذج المتحصل عليه قريبة من القيم الفعلية، وهذا ما يؤكد لنا أنّ منحنى كلّ من القيم المقدرة والفعلية متطابقان، تقريبا.

لمعرفة ما إذا كانت سلسلة البواقي Ut تخضع للتوزيع الطبيعي، وجب الاستعانة بالاختبارات الآتية

- معامل الالتواء أو التناظر (*Skewness*)
- معامل التفلطح (*Kurtosis*)
- اختبار جارك بيرا (Jarque – Bera).

وقبل التطرّق لهذه الاختبارات يتم عرض معاملات التوزيع الطبيعي للبواقي الشكل الآتي:

شكل (6): معاملات التوزيع الطبيعي للبواقي.



المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات برنامج *Eviews 9*.

أ- معامل الالتواء أو التناظر (*Skewness*).

لاختبار فرضية العدم (فرضية التناظر) $H_0: v_1 = 0$، نقوم بحساب:

$$v_1 = \left|\frac{B_1 - 0}{\sqrt{\frac{6}{N}}}\right| = \left|\frac{0.845294}{\sqrt{\frac{6}{24}}}\right| = 1.690588 \ < 1.96$$

B_1: تمثّل احصائية معامل التناظر (*Skewness*) ويساوي إلى: 0,845294، وذلك بالرجوع الى الشكل رقم (6).

ومنه نقبل فرضية العدم $H_0: v_1 = 0$، بالتالي تكون سلسلة البواقي متناظرة.

ب- اختبار معامل التفلطح (*kurtosis*)

لاختبار فرضية العدم (فرضية التفلطح أو التسطح الطبيعي) $H_0: v_2 = 0$، نقوم بحساب:

$$v_2 = \left|\frac{B_2 - 3}{\sqrt{\frac{24}{N}}}\right| = \left|\frac{4.630485 - 3}{\sqrt{\frac{24}{24}}}\right| = 1.630485 < 1.96$$

B_2: تمثّل إحصائية معامل التفلطح *kurtosis* ويساوي الى: 4,630485، وذلك بالرجوع الى الشكل رقم (6).

ومنه نقبل فرضية العدم $H_0: v_2 = 0$، بالتالي تكون سلسلة البواقي مسطحة طبيعيا.

ج- اختبار جارك بيرا *Jarque-Bera*

من أجل اختبار فرضية العدم (سلسلة البواقي تتوزّع توزيعا طبيعيا: H_0)، نقوم بحساب إحصائية جارك بيرا، والتي تعطى بالعلاقة الآتية:

$$S = \frac{N}{6}B_1^2 + \frac{N}{24}(B2-3)^2 \sim \chi^2_{2\ (0.05)}$$

$$= \frac{24}{6}(0.845294)^2 + \frac{24}{24}(4.630485-3)^2 = 0.73800$$

$$= 5.516573 < \chi^2_{2\ (0.05)} = 5.991$$

نلاحظ أنّ القيمة المحسوب لإحصائية جارك بيرا S = 5,516573، والتي يمكن أخذها مباشرة من الجدول (6) أعلاه، أقلّ من القيمة الجدولية لـ كاي تربيع عند مستوى معنوية $\propto = 0.05$، ودرجات حرّية $(B_1, B_2) = 2$، بالتالي نقبل H_0: سلسلة البواقي موزّعة توزيعا طبيعيا عند مستوى معنوية 5% أي أن:

$$\widehat{U}_t \sim \mathbb{N}\sim(E(U_t), \sigma_u^2 In) = (0, \sigma_u^2 In)$$

من خلال ما سبق، وبعد حساب اختبارات كلّ من: معامل التناظر والتفلطح وجارك بيرا، فإنّ سلسلة البواقي تخضع لسيرورة التشويش الأبيض(*Bruit blanc*)، بالتالي فإنّ سلسلة البواقي مستقرة:

- $E(U_t) = 0$
- $E(UU') = ä^2 I_n$
- $Cov(Ui, Uj) = 0, \forall: i \neq j$
- $U_t \sim \mathbb{N}(0, \sigma_u^2 In)$

5- قياس مدى استقرار تقديرات النموذج خلال فترة الدراسة

لاختبار استقرارية النموذج نعتمد على دالة الارتباط الذاتي والجزئي (للأخطاء)، كما هو مبين في الشكل أدناه.

شكل (3): دالة الارتباط الذاتي (للأخطاء) للنموذج.

Date: 08/19/15 Time: 23:45
Sample: 1990 2013
Included observations: 24

Autocorrelation	Partial Correlation		AC	PAC	Q-Stat	Prob
		1	0.372	0.372	3.7448	0.053
		2	-0.122	-0.302	4.1662	0.125
		3	0.011	0.233	4.1700	0.244
		4	-0.059	-0.272	4.2771	0.370
		5	-0.120	0.101	4.7539	0.447
		6	0.005	-0.049	4.7548	0.576
		7	-0.245	-0.374	6.9621	0.433
		8	-0.430	-0.139	14.161	0.078
		9	-0.267	-0.274	17.123	0.047
		10	-0.128	-0.076	17.856	0.057
		11	-0.031	-0.072	17.901	0.084
		12	0.080	-0.097	18.234	0.109

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات برنامج *Eviews 9*.

نلاحظ من خلال الشكل أعلاه الممثّل لدالة الارتباط الذاتي والجزئي لبواقي النموذج المقدر للاستثمار العمومي في الجزائر خلال الفترة: 1990-2013، أنّ جميع الأعمدة داخل مجال الثقة ومنه أنّ النموذج مستقر.

6- اختبار المعنوية الكلّية لمعادلات دالة الارتباط الذاتي *Ljung-Box*.

يستخدم هذا الاختبار لدراسة المعنوية الكلّية لمعاملات دالة الارتباط الذاتي ذات الفجوات $m \leq 12$ حيث توافق إحصائية الاختبار المحسوبة Q^* آخر قيمة في العمود Qstat في الشكل أعلاه، أي:

$$Q^* = N(N+2)\sum_{i=1}^{m}\frac{P_k^{12}}{N-k} = 24(24+2)\sum_{i=1}^{12}\frac{P_k^{12}}{22-k} = 18.234$$
$$\Rightarrow Q^* = 18.234 < x_{12\ (0.05)}^2 = 21.026$$

حيث: N: عدد المشاهدات.

k: عدد الثوابت

m: عدد الفجوات

Q^*: إحصائية *Ljung-BOX*

بالتالي نقبل فرضية العدمH_0: التي تقر بأنّ النموذج مستقر.

7- اختبار استقرار النموذج:

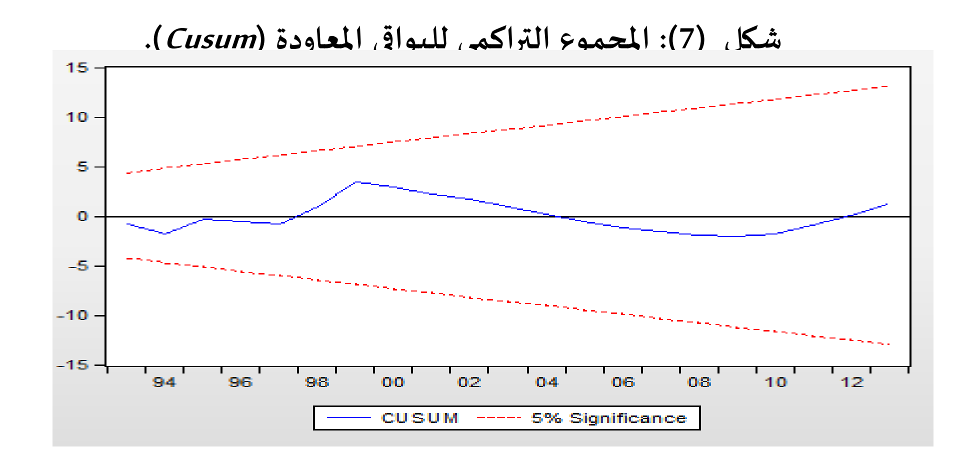
لكي نتأكد من خلو البيانات المستخدمة في هذه الدراسة من وجود أي تغيرات هيكلية فيها، لا بدّ من استخدام اختباري: المجموع التراكمي للبواقي المعاودة (*Cusum*)، وكذا المجموع التراكمي لمربعات البواقي المعاودة (*Cusum of Squares*).

ويعد هذان الاختباران من أهمّ الاختبارات في هذا المجال لأنهما يوضحان أمرين مهمّين وهما: تبيان عدم وجود أي تغير هيكلي في البيانات، ومدى استقرار وانسجام المعلّمات.*

يتحقق الاستقرار الهيكلي للمعلّمات المقدرة إذا وقع الشكل البياني لاختباري كل من *Cusum* و *Cusum of Squares* داخل الحدود الحرجة عند مستوى 5% فكانت النتائج ممثّلة في الشكلين الآتيين:

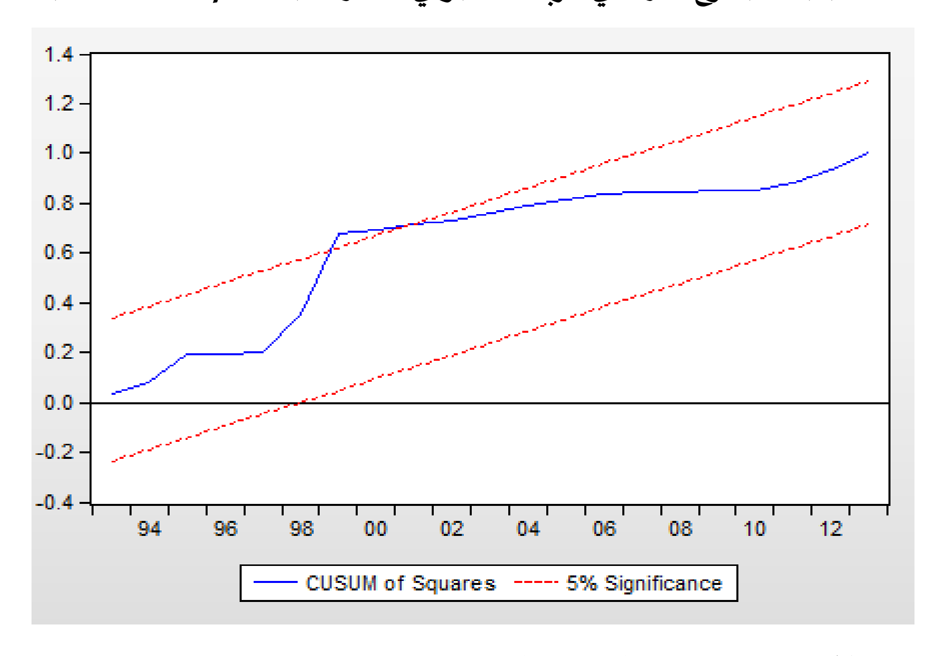
* - يتحقق الاستقرار الهيكلي للمعلمات المقدرة إذا وقع الشكل البياني لاختباري كل من Cusum وCusum of Squares داخل الحدود الحرجة عند مستوى 5%.

شكل (7): المجموع التراكمي للبواقي المعاودة (*Cusum*).



المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات برنامج *Eviews9*.

شكل (8): المجموع التراكمي لمربعات البواقي المعاودة (*Cusum of Squares*).



المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات برنامج *Eviews9*.

من خلال الشكلين البيانيين: نلاحظ أنّ اختبار المجموع التراكمي للبواقي المعاودة (*Cusum*)، بالنسبة لهذا النموذج فهو يعبر عن وسط خطي داخل حدود المنطقة الحرجة مشيرا الى نوع من الاستقرار في النموذج عند مستوى معنوية 5 %، نفس الشيء بالنسبة لاختبار المجموع التراكمي لمربعات البواقي المعاودة (*Cusum of Squares*)، ويتضح من خلال هذين الاختبارين أنّ هناك استقرارا وانسجاما في النموذج.

خاتمة:

يلعب سعر الصرف دورا هاما في ربط الاقتصاد الوطني بالاقتصاد العالمي، فهو أداة يتم بموجبها ربط قيمة السلع والخدمات والأصول والأسعار في السوق المحلية بنظيرتها في الاسواق الاجنبية، لذا فإنّ سعر الصرف المنخفض للعملة الأجنبية مقارنة بسعر صرف العملة المحلية، يجعل سعر السلع الأجنبية أكثر

تنافسية، مما يزيد من الطلب عليها من جهة ويقلل من قدرة السلع المحلية على المنافسة في الأسواق الخارجية من جهة أخرى، والعكس صحيح.

كما يهدف تخفيض قيمة العملة الى اعادة التوازن في ميزان المدفوعات من خلال تحسين القدرة التنافسية للسلع المحلية مقارنة بالسلع المستوردة، وإعادة تكوين الاحتياطات من الصرف الأجنبي، مع السعر للتخفيف من آثار ارتفاع الأسعار، التي تكون مرفوقة بعملية تخفيض قيمة العملة المحلية.

النتائج المتوصّل إليها:

- من خلال الدراسة القياسية نلاحظ أنّ محدّدات سعر الصرف في الجزائر خلال الفترة: 1990-2013، هي: احتياطات الصرف الاجنبي الذي تربطه علاقة طردية بسعر الصرف والكتلة النقديةM_2 التي تربطها علاقة عكسية بسعر الصرف.

- أصبحت الوضعية المرضية للاحتياطات الرسمية للصرف عنصرا مميزا لتطوّر الوضعية النقدية، خاصّة في السنوات الأخيرة، وذلك من خلال المستوى الذي بلغته الموجودات الخارجية الصافية، والذي فاق الكتلة النقدية(M_2) فأكثر من 10% .

- يتأثر التضخم في الجزائر بتغيرات الكتلة النقدية المتداولة، والوضعية الانتاجية للاقتصاد الوطني، بالإضافة الى وضعية الميزان التجاري، وميزان رؤوس الاموال، كما أنّ لأسعار البترول دورا أساسيا في تحديد التوازن الاقتصادي، فارتفاع ايرادات الصادرات يؤدي الى توازن ميزان المدفوعات، وارتفاع الاحتياطات من العملة الصعبة.

- كلّما زادت الكتلة النقدية مقارنة بحجم الانتاج زاد التضخم، الذي تربطه علاقة تبادلية مع سعر الصرف، فكلّما ارتفعت الاسعار المحلية مقارنة بالأسعار الأجنبية تدهورت قيمة العملة المحلية، ويرتفع سعر الصرف نتيجة اتجاه الافراد والمشروعات نحو السلع الأجنبية ومنه تدهور الميزان التجاري.

- ضعف أداء الجهاز الانتاجي كان سببا في انخفاض حاد في الطلب على الدينار الجزائري، إذا ما قورن بحجم المعروض النقدي، هذا ما استدعى تدخل السلطات النقدية لحماية قيمة الدينار من التدهور، باستخدام احتياطات الصرف.

- ان شروط نجاح سياسة تخفيض قيمة العملة غير متوفرة في الجزائر، فلا يمكن للتخفيض أنّ ينجح في ظل صادات أحادية البنية، التي يتحدد سعرها وفقا لقوى العرض والطلب.

و في الأخير نقترح جملة من التوصيات التي نراها تخدم موضوع سعر الصرف في الجزائر، وهي كالآتي:

1- تشجيع الاستثمار في قطاع التصدير خارج قطاع المحروقات.

2- تنفيذ اصلاحات هيكلية اقتصادية، وتوجيه السياسات الاقتصادية نحو استقرار سعر الصرف الحقيقي حول مستوى حقيقي توازني (تشجيع على النموّ).

3- محاربة أشكال المضاربة في قيمة الدينار، تخفيض الواردات، تخفيض الانفاق الحكومي بالعملة الصعبة (البعثات الدبلوماسية)، والانفاق الخاصّ (السياحي)، مما يقلص فجوة الطلب الزائد على الصرف الأجنبي.

4- محاربة السوق الموازية للصرف كعامل لتدهور قيمة الدينار الجزائري، وذلك بهدف رفع ثقة المستثمر والمستهلك معا تجاه العملة الوطنية.

5- محاولة تنويع سلة عملات الاحتياطي من العملة الصعبة تفاديا لأزمات النقد الدولية.

6- ضرورة اعطاء أهمّية للطرق الرياضية والاساليب الاحصائية والدراسات القياسية للظواهر الاقتصادية، مثل: موضوع سعر الصرف، من أجل تحليله والتنبؤ به.

دور حوكمة الشركات في تحسين كفاءة الأسواق المالية

أ.بوفاتح بلقاسم - د.بلعربي عبد القادر

جامعة سعيدة –الجزائر-

الملخّص:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الدور الذي يمكن أن تلعبه حوكمة الشركات في الارتقاء بكفاءة الأسواق المالية، خاصّة بعد الأزمات المالية الأخيرة، والتي نتج عنها تكبد حملة الأسهم خسائر مالية فادحة انعكست سلبا على مصداقية وثقة المستثمرين في الشركات المستثمر فيها والأسواق المالية، وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمّها أنّ التطبيق الجيد والصحيح لحوكمة الشركات سيكون المدخل الفعال لتعزيز الإفصاح والشفافية، مما ينعكس بالإيجاب على كفاءة السوق المالي.

الكلمات المفتاحية: حوكمة الشركات، كفاءة الأسواق المالية، عدم تماثل المعلومات، الإفصاح والشفافية

Abstract:

This study aims to highlight the role that could be corporate governance plays in improving the efficiency of financial markets, especially after the recent financial crisis, which resulted in incurring shareholders heavy financial losses reflected negatively on the credibility and the confidence of investors in the investee companies and financial markets, the study concluded a group of the most important results that a good and correct application of corporate governance will be effective entrance to enhance disclosure and transparency, which will reflect positively on the financial market efficiency.

Key words: corporate governance, the efficiency of financial markets, asymmetric information, disclosure and transparency.

تعاظم الاهتمام بمفهوم حوكمة الشركات في العديد من الاقتصاديات المتقدّمة والنامية، وتعالت أصوات المنظمات والدول المنادية بتطبيقه بعد الافلاس الذي طال العديد من الشركات الاقتصادية العملاقة، كانهيار أعظم شركة تدقيق في العالم "آرثر اندرسون" لثبوت تورطها بانهيار شركة "انرون" الأمر الذي ترك وقعا سلبيا على أسواق رأس المال في الولايات المتحدة الأمريكية بشكل أربك الحكومة الأمريكية، مما دفع هذه الأخيرة للبحث عن الأسباب التي أدت لتلك الانهيارات، والازمات المالية الغير متوقعة الحدوث.

ولقد أثرت تلك الأزمات بشكل عميق على ثقة المستثمرين في الأسواق المالية سواء في الدول النامية أو المتقدّمة على حدّ سواء، وكشفت عن جوانب قصور كبيرة في نزاهة الإدارات، وجودة البيانات المالية، والافصاح والشفافية في تلك الأسواق، وقد عملت العديد من الدول والمؤسّسات على اتخاذ الاجراءات التي تكفل استعادة ثقة المستثمرين في الأسواق المالية، وتجنب تكرار هذه الأزمات، وقد احتلت الجهود لتحسين حوكمة الشركات مكانا متقدّما ضمن هذه الاجراءات.

وتعد حوكمة الشركات كآلية للتحسين من كفاءة الأسواق المالية وأدائها، وذلك بما تحمله من معاني الافصاح والشفافية، وضمان لحقوق المساهمين، ولذلك فإنّ تطبيق مبادئ حوكمة الشركات يؤدي إلى تعظيم القيمة السوقية للشركة من خلال تعظيم ثروة الملاك، وتدعيم تنافسية الشركات في السوق المالية.

ومما سبق يمكن طرح الاشكالية التالية: **كيف يمكن الاستفادة من مبادئ حوكمة الشركات لتحسين كفاءة الأسواق المالية ؟**

وللإجابة على الإشكالية تمّ تقسيم هذه الدراسة لثلاثة محاور أساسية:

المحور الأوّل: ماهية حوكمة الشركات.

المحور الثاني: ماهية كفاءة الأسواق المالية.

المحور الثالث: علاقة حوكمة الشركات بتحسين كفاءة الأسواق المالية.

المحور الأوّل: ماهية حوكمة الشركات

أولا: نشأة الحوكمة ومفهومها:

تعود جذور حوكمة الشركات إلى Berle & Means اللذين يعدان أول من تناول موضوع فصل الملكية عن الإدارة وذلك في عام 1932. وتأتي آليات حوكمة الشركات لسد الفجوة التي يمكن أن تحدث بين مديري ومالكي الشركة من جراء الممارسات السلبية التي يمكن أن تضر بالشركة[1].

أمّا مصطلح حوكمة الشركات فتم البدء باستخدامه مع بداية عقد التسعينيات من القرن الماضي إذ تزايد استخدام هذا المصطلح بشكل واسع في السنوات الأخيرة منه، وأصبح شائع استخدامه من قبل الخبراء، ولاسيّما أولئك العاملون في المنظمات الدولية والإقليمية والمحلية[2].

لقد تعددت التعاريف المقدّمة لهذا المصطلح بحيث يدل كلّ مفهوم عن وجهة النظر التي يتبناها مقدّم التعريف.

تعرّفها منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD) " مجموعة من العلاقات فيما بين القائمين على ادارة الشركة ومجلس الادارة وحملة الاسهم وغيرهم من المساهمين"3.

كما تعرّفها مؤسّسة التمويل الدولية (IFC) "الحوكمة هي النظام التي من خلالها إدارة الشركات والتحكم في أعمالها"1.

---

[1] أبو العطا، نرمين، **"حوكمة الشركات سبيل التقدم مع إلقاء الضوء على التجربة المصرية"**، مجلة الإصلاح الاقتصادي العدد8، 2003، ص48.

[2] سليمان محمد مصطفى، "**حوكمة الشركات ومعالجة الفساد المالي والإداري – دراسة مقارنة**-"، الدار الجامعية، مصر، 2006 ص13.

[3] دهمش نعيم، إسحاق أبو زر عفاف،" **تحسين وتطوير الحاكمية المؤسّسية في البنوك** "، مجلة البنوك في الأردن، العدد العاشر، المجلد الثاني والعشرون، ديسمبر 2003، ص27.

كما عرفها Cadbury بأنّها "النظام الذي تتم بواسطته توجيه ورقابة الشركة ويتفق مع وجهة النظر هذه"2.

ثانيا: المفهوم المحاسبي للحوكمة :

"من المنظور المحاسبي يشير المفهوم المحاسبي للحوكمة إلى توفير مقومات حماية أموال المستثمرين وحصولهم على العوائد المناسبة وضمان عدم استخدام أموالهم في مجالات أو استثمارات غير آمنة وعدم استغلالها من قبل الإدارة أو المديرين لتحقيق منافع خاصّة، ويتم ذلك من خلال مجموعة الإجراءات والضوابط والمعايير المحاسبية .وتركز هذه النظرة على تحقيق الشفافية وتوسيع نطاق الإفصاح عن البيانات المحاسبية والقوائم المالية ومزايا المديرين وتطبيق المعايير المحاسبية المتعارف عليها دولياً".

ومن خلال التعاريف السابقة لحوكمة الشركات يمكن استنتاج الخصائص التالية لحوكمة الشركات[3]:

- **الانضباط** :أي إتباع السلوك الأخلاقي المناسب والصحيح؛
- **الشفافية** :أي تقديم صورة حقيقية لكلّ ما يحدث؛
- **الاستقلالية** :أي لا توجد تأثيرات وضغوط غير لازمة للعمل؛
- **المسائلة** :أي إمكانية تقييم وتقدير أعمال مجلس الإدارة والإدارة التنفيذية؛
- **المسؤولية** :أي وجود مسئولية أمام جميع الأطراف ذوي المصلحة في المؤسّسة؛
- **العدالة** :أي يجب احترام حقوق مختلف مجموعات أصحاب المصلحة في المؤسّسة؛
- **المسؤولية الاجتماعية**:أي النظر إلى المؤسّسة كمواطن جيد.

ثالثا: مبادئ حوكمة الشركات:

المقصود بمبادئ حوكمة الشركات القواعد والنظم والإجراءات التي تحقق أفضل حماية وتوازن بين مصالح مديري المؤسّسة والمساهمين فيها، وأصحاب المصالح الأخرى المرتبطة بها، حيث قامت منضمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OCED)عام 1999 بإصدار خمسة مبادئ لحوكمة الشركات[4].

بالإضافة إلى المبدأ السادس والذي وضعته بعد مراجعة هذه المبادئ سنة2004 وتتمثّل هذه المبادئ فيما يلي[5]:

---

1 شاكر فؤاد، " **الحكم الجيد في المصادر والمؤسّسات المالية العربية حسب المعايير العالمية**"، مجلة اتحاد المصارف العربية 2005، ص 4

2 Cadbury Committee on Corporate Governance, Inaugural address delivered by vepa kamesam, py, Novomber,2001,P102

3 طارق عبد العال حماد، " **حوكمة الشركات**" ، الدار الجامعية، الإسكندرية، 2005 ، ص05 .

4 عوض بن سلامة الرحيلي،" **لجان المراجعة كأحد دعائم حوكمة الشركات**"، مجلة الملك عبد العزيز، مجلد22 ، العدد1 ، جدة السعودية، ص185.

5 أمين السيد أحمد لطفي،" **المراجعة الدولية وعولمة أسواق رأس المال**"، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2005 ص758، 768.

➢ **حقوق المساهمين**: يتضمن هذا المبدأ مجموعة من الحقوق التي تضمن الملكية الآمنة للأسهم والإفصاح التام عن المعلومات وحقوق التصويت، والمشاركة في قرارات بيع أو تعديل أصول الشركات بما في ذلك عمليات الاندماج وإصدار أسهم جديدة، وتسمح هذه الإجراءات على تحديد مجموعة من الموضوعات الأخرى بالاهتمام الأساسي لحماية قيم الشركة؛

➢ **المعاملة المتكافئة للمساهمين** :يجب أن يكفل إطار حوكمة الشركات المعاملة المتكافئة لجميع المساهمين، ومن بينهم صغار المساهمين والأجانب منهم، كما ينبغي أن تتاح لكافة المساهمين فرصة الحصول على تعويض في حالة انتهاك حقوقهم؛

➢ **دور أصحاب المصالح في حوكمة الشركات** :يجب أن ينطوي إطار حوكمة الشركات على الاعتراف بحقوق أصحاب المصلحة كما يوضحها القانون، وأن يعمل أيضا على تشجيع الاتصال بين المؤسّسات وبين أصحاب المصالح في مجال خلق الثروة وفرص العمل وتحقيق الاستدامة للمشروعات القائمة على أسس مالية سليمة؛

➢ **الإفصاح والشفافية** :يعد هذا المبدأ من أهمّ أهداف حوكمة الشركات حيث أنّها تعمل على ضمان الشفافية والإفصاح الدقيق في الوقت المناسب عن كلّ البيانات والمعطيات المالية المتعلّقة بالشركة ويدرج مع هذه المعطيات الأداء والوضع المالي للشركة، ومن خلال الإفصاح عن المعلومات الهامة يتم التطرّق إلى دور مدقق الحسابات وملكية النسبة العظمى من الأسهم والمتعلّق بأعضاء مجلس الإدارة والمديرين التنفيذيين ويتم الإفصاح عن كلّ هذه المعلومات بطريقة عادلة بين جميع المساهمين وأصحاب المصالح في الوقت المناسب دون أي تأخير وأي تكلفة أو أقلّ تكلفة ممكنة؛

➢ **مسؤوليات مجلس الإدارة** :يتم العمل من خلال هذا المبدأ على تحقيق الرقابة الفعالة على الإدارة من قبل مجلس الإدارة، وكذا ضمان التوجه الاستراتيجي للشركة وتحديد مسئولية مجلس الإدارة اتجاه الشركة وحملة الأسهم حيث أنه يجب أن يعمل مجلس الإدارة على تحقيق مصالح الشركة والمساهمين؛

➢ **ضمان وجود أساس لإطار فعال لحوكمة الشركات** :حيث ينصّ هذا المبدأ على ضرورة توفير الأسس اللازمة لتفعيل إطار حوكمة الشركات من أجل رفع مستوى الشفافية وأن يتوافق هيكل الحوكمة مع الإطار القانوني ويحدّد مسئوليات الهيئات المختلفة المسئولة عن الإشراف والرقابة[1].

رابعا: أسباب ظهور حوكمة الشركات

تتمثّل هذه الأسباب في البحث عن سبل ووسائل للرقابة على أعمال المؤسّسات، من أجل الحفاظ على حقوق المودعين والمساهمين، ولضمان قيام المؤسّسات المالية والاقتصادية بدورها المنشود بعيد عن الفساد المالي والإداري، بفعل الفضائح المالية التي أدت إلى إفلاس العديد من المؤسّسات الكبرى في العالم ومنه فقدان ثقة زبائنها، وتبرز هذه الفضائح المالية من خلال العناصر التالية[2]:

---

[1] هوام جمعة، لعشوري نوال،" **دور حوكمة الشركات في تحقيق جودة المعلومة المحاسبية**"، الملتقى الدولي حول الحوكمة المحاسبية للمؤسّسة واقع رهانات وآفاق، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 7 و 8 ديسمبر2010 ، ص8، 9.

[2] عبد المحسن توفيق، " **تقييم الأداء**"، دار النهضة العربية، مطبعة الإخوة الأشقاء للطباعة، مصر، 1998 ، ص 03.

1- انفجار الأزمة المالية الآسيوية في سنة 1997م، أخذ العالم ينظر نظرة جديدة إلى حوكمة الشركات، والأزمة المالية المشار إليها، قد يمكن وصفها بأنّها كانت أزمة ثقة في المؤسّسات والتشريعات التي تنظم نشاط الأعمال والعلاقات فيما بين المؤسّسات والحكومة، وقد كانت المشاكل العديدة التي برزت إلى المقدّمة في أثناء الأزمة تتضمن عمليات ومعاملات الموظّفين الداخليين والأقارب والأصدقاء بين المؤسّسات والحكومة، وحصول المؤسّسات على مبالغ هائلة من الديون قصيرة الأجل في نفس الوقت الذي حرصت فيه على عدم معرفة المساهمين هذه الأمور وإخفاء هذه الديون من خلال طرق ونظم محاسبية" مبتكرة"، وما إلى ذلك؛

2- تصاعد قضايا الفساد الشهيرة في كبرى المؤسّسات الأمريكية مثل" أنرون "وغيرها، بدأ الحديث عن حوكمة الشركات حيث إن القوائم المالية لهذه المؤسّسات كانت لا تعبر عن الواقع الفعلي لها وذلك بالتواطؤ مع كبرى المؤسّسات العالمية الخاصّة بالمراجعة والمحاسبة، وهو ما جعل منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية تصدر مجموعة من المعايير بشأن حوكمة المؤسّسات بشكل عام؛

3- إن السبب في تنامي اهتمام المؤسّسات الدولية بالبعد الأخلاقي ناتج عن شعورها بأنّ العديد من المشاريع والبرامج التي تمولها هذه المؤسّسات لم يكتب لها النجاح المتوقع، لوجود أسباب هيكلية واجتماعية كانتشار الفساد الأخلاقي، أو الرشوة أو غيرها من الأمور، وقد أثر انتشار هذه الأمور على زيادة تكلفة المشاريع، وانخفاض جودتها ومواصفاتها وتقليل الفوائد المتوقعة منها على المجتمع؛

4- ممارسات المؤسّسات متعددة الجنسيات في اقتصاديات العولمة، حيث تقوم بالاستحواذ والاندماج بين المؤسّسات من أجل السيطرة على الأسواق العالمية؛

5- إشكالية تعارض المصالح واستخدام سلطة الدولة لتحقيق مصالح شخصية، ولمنع مثل هذا الأمور تركزت معظم قوانين وأنظمة الخدمة المدنية على منع الجمع بين الوظيفتين مثلاً، والتشدد في منع الموظّفين من استغلال النفوذ وإساءة السلطة لمصالح شخصية، أو الانغماس والعمل في الأعمال التجارية وإهمال العمل الموكول إليه.

خامسا:أهمّية حوكمة الشركات:

لاتعد حوكمة الشركات هدفا في حدّ ذاتها، ولكنها أداة أو وسيلة لتحقيق أهداف يسعى إليها جميع الأطراف الذين يعملون على تطبيق قواعدها، وتكمن أهمّية حوكمة الشركات في العديد من الجوانب منها[1]:

1- الاقتصاد :تساهم حوكمة الشركات في رفع مستوى كفاية الاقتصاد، لما لها من أهمّية في المساعدة على استقرار الأسواق المالية، ورفع مستوى الشفافية وجذب الاستثمارات من الخارج والداخل على حدّ سواء، كما تساهم في تقليص حجم المخاطر التي تواجه النظام الاقتصادي؛

2-**الشركات:** إن تطبيق مبادئ الحوكمة يساعد الشركات على خلق بيئة عمل سليمة، وتعينها على تحقيق أداء أفضل مع توافر الإدارة الجيدة، لذا تكون القيمة السوقية للشركة أكبر، والحوكمة الجيدة تساعد في

[1] دادن عبد الغني، سعيدة تلي، " **فعالية الحوكمة ودورها في الحد من الفساد المالي والإداري**"، مداخلة مقدمة ضمن الملتقى الوطني حول" حوكمة الشركات كآلية من الحد من الفساد المالي والإداري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 6 و7 ماي 2012 ص05.

الوصول إلى أسواق المال والحصول على التمويل اللازم بتكلفة أقلّ مما يعينها على التوسع في نشاطها، وتقليل المخاطر وبناء الثقة مع أصحاب المصالح؛

3-**المستثمرون وحملة الأسهم:** تهدف حوكمة الشركات إلى حماية الاستثمارات من التعرض للخسارة بسبب سوء استخدام السلطة في غير مصلحة المستثمرين، وترمي أيضا إلى تعظيم عوائد الاستثمار وحقوق المساهمين والقيمة الاستثمارية، علاوة على الحدّ من حالات تضارب المصالح إذ أنّ التزام الشركة بتطبيق قواعد الحوكمة يُفعل دور المساهمين في المشاركة في اتخاذ القرارات الرئيسية المتعلّقة بإدارة الشركة، ومعرفة كلّ ما يرتبط باستثماراتهم؛

4-**أصحاب المصالح الآخرين:** تسعى حوكمة الشركات إلى بناء علاقة وثيقة وقوية بين إدارة الشركة والعاملين بها، مورديها دائنيها، وغيرهم، فالحوكمة الجيدة تعزز مستوى ثقة جميع المتعاملين للإسهام في رفع مستوى أداء الشركة وتحقيق أهدافها الاستراتيجية.

سادسا: الأطراف المعنية بتطبيق الحوكمة ومحدّداتها:

1-الأطراف المعنية بتطبيق حوكمة الشركات:

يعتمد التطبيق السليم لقواعد حوكمة الشركات على مجموعة من الأطراف التي تؤثر فيها وتتأثر بها ومن خلالها يحدّد مدى النجاح أو الفشل في تطبيق هذه القواعد كما يحكم هذا التطبيق جملة من المحدّدات وهناك أربعة أطراف تتأثر بحوكمة الشركات[1]:

أ-**المساهمون:** وهم من يقومون بتقديم رأس المال للشركة عن طريق ملكيتهم للأسهم وذلك مقابل الحصول على الأرباح المناسبة عن استثماراتهم، وأيضا تعظيم قيمة الشركة على المدى الطويل كما يحق لهم اختيار أعضاء مجلس الإدارة المناسبين لحماية حقوقهم؛

ب-**مجلس الإدارة:** وهم من يمثّلون المساهمين والأطراف الأخرى مثل أصحاب المصالح حيث يقوم مجلس الإدارة باختيار المدريين التنفيذيين والذين يوكل إليهم سلطة الإدارة اليومية لأعمال الشركة بالإضافة إلى الرقابة على أدائها، كما يقوم مجلس الادارة برسم السياسات العامة للشركة وكيفية المحافظة على حقوق المساهمين؛

ج-**الإدارة:** وهي المسؤولة عن الإدارة الفعلية للشركة وتقديم التقارير الخاصّة بالأداء إلى مجلس الإدارة، وتعتبر ادارة الشركة هي المسؤولة عن تعظيم أرباح الشركة وزيادة قيمتها بالإضافة إلى مسؤوليتها تجاه الإفصاح والشفافية في المعلومات التي تنشرها للمساهمين، وكما تعد حلقة الوصل بين مجلس الإدارة وبقية الأطراف المتعاملة مع الشركة؛

د-**أصحاب المصالح:** وهم مجموعة من الأطراف لهم مصالح داخل الشركة كالدائنين، الموردين، العمال وغيرهم ويجب ملاحظة أنّ هؤلاء الأطراف يكون لديهم مصالح قد تكون متعارضة ومختلفة في بعض الأحيان،

---

[1] محمد مصطفى سليمان، " **حوكمة الشركات ودور أعضاء مجالس الإدارة والمديرين التنفيذيين**"، الدار الجامعية، الإسكندرية2008 ، ص15.

فالدائنون على سبيل المثال يهتمون بمقدرة الشركة على السداد، في حين يهتم العمال والموظّفون على مقدرة الشركة على الاستمرار.

2-محدّدات حوكمة الشركات:

لكي تتمكن الشركات من الاستفادة من مزايا الحوكمة يجب أن تتوفر لديها مجموعة من المحدّدات الداخلية والخارجية التي تضمن التطبيق السليم والجيد لقواعد حوكمة الشركات وتتمثّل تلك المحدّدات فيما يلي:

أ-المحدّدات الخارجية:

حيث تشير إلى البيئة أو المناخ العام للاستثمار الذي تعمل من خلاله الشركات والتي قد تختلف من دولة إلى أخرى وتتمثّل المحدّدات الخارجية فيما يلي[1]:

❖ القوانين واللوائح المنظمة للنشاط الاقتصادي كقوانين سوق المال والشركات، بالإضافة للقوانين المتعلّقة بالإفلاس وقوانين تنظيم المنافسة والتي تعمل على منع الاحتكارات؛

❖ وجود نظام مالي جيد (كفاءة القطاع المالي) يضمن توفير التمويل اللازم للمشروعات بالشكل المناسب الذي يشجع الشركات على التوسع والمنافسة في الأسواق العالمية؛

❖ كفاءة الهيئات والأجهزة الرقابية كهيئات سوق المال والبورصات والتي تسعى إلى إحكام الرقابة على الشركات والتحقق من دقة وسلامة البيانات والمعلومات التي تنشرها، وكذلك تسعى إلى وضع العقوبات المناسبة والتطبيق الفعلي لها في حالة عدم التزام الشركات بها؛

❖ دور المؤسّسات غير الحكومية في ضمان التزام أعضائها بالنواحي السلوكية والمهنية والأخلاقية والتي تضمن عمل الأسواق بكفاءة مثل جمعيات المحاسبين والمراجعين، والشركات العاملة في سوق الأوراق المالية بالإضافة إلى المؤسّسات الخاصّة بالمهن الحرة، مثل مكاتب المحاماة، والمراجعة والاستشارات المالية...

ب- المحدّدات الداخلية:

وتتمثّل في جملة من القواعد والأساليب التي تطبّق داخل الشركات والتي تتضمن وضع هياكل إدارية سليمة توضح كيفية اتخاذ القرارات داخلها وتوزيع مناسب للسلطات والواجبات بين الأطراف المعنية بتطبيق حوكمة الشركات من مجلس الإدارة، المديرين التنفيذيين، المساهمين وأصحاب المصالح فتوفر هذه المحدّدات يؤدي إلى حسن تطبيقها من ناحية، والتقليل من التعارض بين مصالح هذه الأطراف وتحقيق مصالح المستثمرين على المدى الطويل من ناحية أخرى، بالإضافة إلى وجود لجان أساسية مهمّتها متابعة وتقييم الأداء، والتي تكون تابعة لمجلس الإدارة مثل: لجنة المراجعة، المراجع الداخلي، وأيضا فعالية نظام التقارير وقدرته على تحقيق الشفافية وتوفير المعلومات الدقيقة في الوقت الملائم[2].

---

[1] عادل رزق، "**الحوكمة والإصلاح المالي والإداري مع عرض للتجربة المصرية**"، ورقة عمل مقدمة في ملتقى "الحوكمة والإصلاح الإداري في المؤسّسات الحكومية، منشورات المنظمة العربية للتنمية الإدارية أعمال المؤتمرات، مصر،2009، ص 162.

[2] المرجع السابق، ص162.

المحور الثاني:ماهية كفاءة الأسواق المالية

أولا: مفهوم كفاءة الأسواق المالية

لقد عرف فاما (FAMA) 1970 السوق الكفء " بأنّه السوق الذي يعكس بشكل كامل جميع المعلومات المتاحة سواء تمثّلت تلك المعلومات في القواعد المالية، أو في المعلومات التي تبثها وسائل الاعلام، أو في السجل التاريخي لأسعار الأسهم في الفترات الماضية، أو غير ذلك من المعلومات التي تؤثر على القيمة السوقية للأسهم نتيجة لقرارات بعض المستثمرين"[1].

وينطوي مفهوم الكفاءة على إحداث التعديل في الأسعار بسرعة بما يعكس ما تحمله المعلومات الجديدة من أنباء سارة، أو غير سارة بعد قيام المستثمرين بتقييم كلّ المعلومات، حيث لا يوجد فاصل زمني بين تحليل المعلومات الجديدة الواردة للسوق وبين الوصول إلى نتائج بخصوص سعر السهم، كما لا يوجد فاصل زمني بين الوصول إلى تلك النتيجة وحصول كافة المتدخلين في السوق المالية[2]. وبناء على ما سبق ذكره "يقصد بكفاءة السوق المالي بأنّها تلك السوق التي تتمتع بدرجة كبيرة من المرونة بالاستجابة السريعة في أسعار الأوراق المالية للتغيرات في نتائج تحليل البيانات، والمعلومات المتدفقة إلى السوق ويكون السوق المالي كفء إذا كان هناك تعادل بين القيمة السوقية، والقيمة الحقيقة للورقة المالية".

ثانيا: الفرضيات الأساسية لنظرية كفاءة الأسواق المالية

لقد قامت فكرة الكفاءة المعلوماتية لأسواق المال على جملة من الفرضيات المتعلّقة بسلوك المستثمرين والسوق على حدّ سواء، وتتمثّل أهمّها فيما يلي[3]:

1. جميع المستثمرين يتمتعون بالرشادة والعقلانية، أي أنّ كلّ المستثمرين يسعون إلى تعظيم منفعتهم؛
2. المعلومات متاحة لجميع المستثمرين وبدون أي تكلفة، وتتميز بسرعة انتشار الأمر الذي ينعكس على تماثل التوقعات بشأن الحركة المستقبلية للأسعار؛
3. وجود عدد كبير من المستثمرين في السوق المالي مما يعني عدم قدرته على التأثير في الأسعار؛
4. حرّية الدخول والخروج من وإلى السوق المالي دون أي قيود ضريبية، أو جمركية أو أية قيود أخرى تحول دون ذلك.

ثالثا: خصائص السوق المالي الكفء

تعمل السوق المالي الكفء على جذب المستثمرين وزيادة حجم الاستثمارات إذا توفرت فيها مجموعة من الخصائص التي يمكن ايجازها فيما يلي:

---

[1] Fama, E. ,1970, Efficient Capital Markets: A Review of Theory and Empirical Work, Journal of Finance,P417.

[2] منير إبراهيم الهندي،"**الأوراق المالية وأسواق رأس المال**"، الإسكندرية، منشاة المعارف، 2002، ص 65.

[3] هواري سويسي،" **تقييم المؤسّسة ودوره في اتخاذ القرار في إطار التحولات الاقتصادية بالجزائر**"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، الجزائر، 2008، 135-138.

✓ **السيولة:** وتعني السيولة المقدرة على بيع أصول مالية بسرعة وبدون خسارة، أي المقدرة على بيع أصل مالي بسعر لا يختلف كثيرًا عن أسعار البيع السابقة لهذا الأصل ما لم تظهر معلومات جديدة تستوجب التغير في السعر، والأصول السائلة هي التي تكون قابلة للتسويق بسرعة فإذا انخفضت سيولة الأصل انخفضت قابليته للتسويق، وأصبح من المطلوب إعطاء عمولات أكثر لبيعه[1]؛

✓ **استمرارية السعر:** وتعني أنّ أسعار الأوراق المالية لا تتغير كثيرًا من صفقة إلى أخرى إلا إذا كانت هناك معلومات جديدة تستوجب التعديل في الأسعار، والسوق المستمرة هي التي لا تتغير فيها الأسعار بحدّة من صفقة إلى أخرى، وهي سوق تتميز بالسيولة؛

✓ **عمق السوق:** والسوق العميقة هي التي يوجد فيها عدد كبير من البائعين(أوامر البيع) والمشترين (أوامر الشراء) المستعدين دائماً للتداول بأسعار أعلى، وأدنى من سعر السوق الحالي للورقة المالية فإذا حدث أي اختلال بسيط في التوازن ما بين العرض والطلب دخل هؤلاء البائعون والمشترون المحتملون إلى السوق فور تداول الأمر، الذي يؤدي إلى إزالة أي تغير كبير في أسعار الأوراق المالية[2]؛

✓ **شمولية السوق:** تكون السوق المالية شاملة إذا كان عدد المتعاملين من البائعين والمشترين في السوق كبير وكان حجم التداول الناتج عن عوامل العرض والطلب كبير؛

✓ **حيوية السوق:** عندما تتدفق الأوامر على السوق إثر أي تغير طفيف في الأسعار فإنّ ذلك يدل على حيوية السوق، وعند اختلال التوازن بين العرض والطلب في السوق يجب أن يكون هناك تغير في السعر لإعادة التوازن للسوق.

رابعا: أنواع الكفاءة في سوق الأوراق المالية

يوجد نوعان لكفاءة سوق رأس المال وتتمثّل فيما يلي:

1. **الكفاءة الكاملة:** ويقصد بها تلك الكفاءة التي لا يوجد بها فاصل زمني بين تحليل المعلومات الواردة إلى السوق، وبين الوصول إلى نتائج محدّدة بشأن سعر السهم، حيث يؤدي إلى تغيير فوري في السعر فتوقعات المستثمرين متماثلة، والمعلومات متاحة للجميع وبدون تكاليف، وتتحقق الكفاءة الكاملة في السوق المالي إذا توفرت على مجموعة من الشروط[3]:

- هناك شفافية في المعلومات وسرعة انتشارها، ومتوفرة للجميع دون استثناء وبدون تكاليف أو مقابل؛
- عدم وجود قيود على دخول أو خروج أي مستثمر من السوق، أو على بيعه وشرائه لأي كمية من الأسهم وللمؤسّسة التي يرغب فيها، أي هناك حرّية في المعاملات؛

[1] محمد بن بوزيان وآخرون،" **كفاءة الأسواق المالية في الدول النامية -دراسة حالة بورصة السعودية، عمان، تونس والمغرب**"، مجلة أداء المؤسّسات الجزائرية، العدد 02، 2012، ص237.

[2] لطيف زيود، وآخرون، " **دور الإفصاح المحاسبي في سوق الأوراق المالية في ترشيد قرار الاستثمار**"، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد التاسع عشر، العدد 1، 2007، ص174-176.

[3] عبد الغفار حنفي، "**الاستثمار في بورصة الأوراق المالية**"، الدار الجامعية، الإسكندرية،2004، ص75.

- تمتع المستثمرين بالرشادة والعقلانية، أي أنّ كلّ واحد منهم يسعى لتعظيم منفعته؛
- وجود عدد كبير من المستثمرين في السوق الأمر الذي ينتج عنه عدم تمكن أي مستثمر أن يؤثر لوحده في أسعار الأوراق المالية المتداولة.

2. الكفاءة الاقتصادية: وفقا لمفهوم الكفاءة يتوقع وجود فاصل زمني بين وصول المعلومات وانعكاسها على أسعار الأسهم، وذلك يعني أنّ القيمة السوقية تكون أكبر أو أقلّ من القيمة الحقيقية لبعض من الوقت، مما يؤدي إلى فرض تكاليف المعاملات والضرائب (المتوقع وجودها والمسموح بها لحدّ معيّن اقتصاديا) نتيجة الفارق في السعر، وتقوم الكفاءة الاقتصادية أساسا على مبدأ سعي الغالبية من المتعاملين منهم في السوق إلى تعظيم ثرواتهم[1].

خامسا: متطلّبات كفاءة سوق رأس المال

تكمن كفاءة سوق رأس المال في مدى قدرته على تخصيص الموارد المتاحة بكفاءة بما يضمن توجيه تلك الموارد إلى المجالات الأكثر ربحية، ولكي يتحقق التخصيص الكفء للموارد المالية المتاحة ينبغي أن تتوافر فيه سمتان أساسيتان هما :كفاءة التسعير، وكفاءة التشغيل.

1-**كفاء التسعير (الكفاءة الخارجية):** يقصد بها هي سرعة وصول المعلومات الجديدة إلى جميع المتعاملين في السوق دون فاصل زمني كبير، وأن لا يتكبدوا في سبيلها تكاليف باهظة بما يجعل أسعار الأسهم مرآة تعكس كافة المعلومات المتاحة، بذلك يصبح التعامل في السوق لعبة عادلة، فالجميع لديهم نفس الفرصة لتحقيق الأرباح، إلا أنه يصعب على أحدهم تحقيق أرباح غير عادلة على حساب الآخرين[2].

2- **كفاءة التشغيل (الكفاءة الداخلية):** وتعني مدى قدرة السوق على خلق توازن بين العرض والطلب دون أن يتكبد المتعاملين فيه تكلفة عالية للسمسرة، ودون أن يتاح للتجار والمتخصصين فرصة لتحقيق مدى أو هامش ربح فعال فيه، وكما يبدو فإنّ كفاءة التسعير تعتمد إلى حدّ كبير على كفاءة التشغيل[3].

المحور الثالث: علاقة حوكمة الشركات بتحسين كفاءة الأسواق المالية

أولا: علاقة حوكمة الشركات بأداء الأسهم في الأسواق المالية:

هناك مجموعة من الأسباب التي تجعل هناك ارتباط، وعلاقة وثيقة بين حوكمة الشركات والمستوى العام للأسعار في الأسواق المالية والتي نذكر منها[4]:

---

[1] زيدان محمد، الميلودي سعاد، "**حوكمة الشركات مدخل لرفع وتعزيز كفاءة سوق الأوراق المالية دراسة حالة الجزائر**"، مداخلة في الملتقى الدولي الثامن حول دور الحوكمة في تفعيل أداء المؤسّسات والاقتصادية، جامعة الشلف 19-20 نوفمبر 2013، ص262.

[2] عبد الله بن محمد الرزين،" **الكفاءة الاقتصادية للأسواق المالية وارتباطها باقتصاد المعرفة**"، المؤتمر العلمي الدولي السنوي الخامس اقتصاد المعرفة والتنمية الاقتصادية، 16-17 ربيع الأول 1426، جامعة الزيتونة، ص215.

[3] نفس المرجع السابق،ص216.

[4] هشام طلعت عبد الحكيم، عماد عبد الحسين دلول، "**حوكمة الشركات ودورها في التقييم العادل للأسهم العادية –دراسة تطبيقية في سوق العراق للأوراق المالية**" مجلة الادارة والاقتصاد، العدد77، الجامعة المستنصرية، العراق، 2009، ص48.

❖ تعكس نوعية المعلومات المتاحة لجمهور المستثمرين جودة الحوكمة، حيث أنّ مبدأ الافصاح والشفافية هو أحد مبادئ حوكمة الشركات؛

❖ حوكمة الشركات هي انعكاس لنوعية الإدارة، حيث أنّ الإدارة الواعية تتأكد من أنّ ارتفاع مستوى حوكمة الشركات هو المفتاح الذي يربطها بأداء سعر السهم، لأن ذلك سوف يزيد من عملية جذب المستثمرين، على عكس الإدارة غير الواعية التي تسعى دائماً للحصول على منافع ذاتية من ضعف مستوى الحوكمة مما يؤثر على أداء سعر السهم؛

❖ ان ما تمتلكه حوكمة الشركات من آليات رقابية على الادارة، ستمنعها من التلاعب بالمعلومات الداخلية مما يؤدي وإلى حدّ ما إلى تماثل المعلومات بين المستثمرين، والذي ينعكس في النهاية على سعر السهم؛

❖ توجد علاقة ارتباط طردية بين درجة حوكمة الشركات ومستوى كفاءة سوق الأوراق المالية، بمعنى أن تعكس اسعار الاسهم المعلومات المتاحة عن الاداء المستقبلي للشركات المدرجة في السوق.

ويخلص الباحثان إلى أنّ تطبيق حوكمة الشركات يؤدي إلى رفع كفاءة الأسواق المالية باعتبار هذا الأخير يعكس جميع المعلومات المتاحة عن الشركة لجميع المتعاملين في السوق المالي دون تمييز، ومن ثمّ تحقيق السعر العادل للسهم.

ثانيا: العلاقة بين حوكمة الشركات وتحقيق تماثل المعلومات

إن مصطلح عدم تماثل المعلومات شاع في الفترة الأخيرة وخاصّة بعد الأزمات المالية التي عصفت بالأسواق المالية، ولهذا جاءت حوكمة الشركات لتعالج هذا المشكل، وعليه يمكن تعريف عدم تماثل المعلومات l'asymétrie de l'information "هي الحالة التي تكون فيها المعلومات متاحة ومعروفة لطرف واحد، لكن الطرف الثاني لا تتوفر لديه مثل هذه المعلومات"[1].

1- الآثار المترتبة على عدم تماثل المعلومات

هناك مجموعة من الآثار تترتب على عدم تماثل المعلومات، والتي بدورها تنعكس على كفاءة الأسواق المالية والتي نذكر منها:

-زيادة أعباء التمويل (تكلفة رأس المال): عندما يكون مستوى عدم تماثل المعلومات بين الشركة والسوق عالي يكون من الصعب بالنسبة للسوق التقييم، أو التنبؤ بأداء الشركة، الأمر الذي ينتج عنه زيادة عدم التأكد بالنسبة للشركة وتخفيض درجة مصداقية السوق، ومن هنا عندما يكون السوق لديه معلومات قليلة عن الشركة، فإنّ المستثمرين سوف يفقدون الثقة خاصّة عند الاستثمار في المشروعات الجديدة للشركة،

---

[1] Rifki Samira et Abdessadeq Sadq;un essai de synthèse des débats théoriques à propos de la structure financière des entreprises, la revue du financier, N° 131, p18.

لهذا فإنّ تكلفة تمويل المشروعات تزداد، وذلك نتيجة اعتماد الشركة على مبيعات الأسهم بشكل أكبر من الاعتماد على القروض البنكية، مما يؤدي إلى زيادة أعباء التمويل[1]؛

-انخفاض كفاءة الأسواق المالية: يترتب على عدم تماثل المعلومات ظهور عدّة مشاكل ينتج عنها انخفاض كفاءة الأسواق المالية والتي نذكر منها[2]:

✓ نتيجة لعدم تماثل المعلومات بين المستثمرين فإنّ ذلك سوف يؤدي إلى توجيه خاطئ للاستثمارات إما بالإحجام عن استثمار، أو العمل على عرض أسعار خاطئة للأوراق المالية؛

✓ يؤدي عدم تماثل المعلومات لدى حملة الأسهم عن الطريقة أو الكيفية التي تقوم المؤسّسة باستخدامها في استثمار أموالهم إلى جعل هؤلاء المستثمرين أكثر عرضة من غيرهم لعدم وجود التخصيص السليم لأموالهم؛

✓ وجود فجوة بين القيمة السوقية للسهم وسعره الحقيقي: ترجع فجوة التوقع إلى الاختلاف أو الفرق الناتج بين قيمة المؤسّسة في السوق، والتوقعات الادارية للقيمة الطبيعية لأسهم المؤسّسة وهذا نتيجة عدم تماثل المعلومات.

2- دور حوكمة الشركات في الحدّ من مشكلة عدم تماثل المعلومات:

تعتبر المعلومات محور نظام وهذا لكون هذه الأخيرة تهتم بدعم ومتابعة المعلومات في المراحل المختلفة وذلك من خلال ما يلي[3]:

✓ مرحلة الرقابة على العمل المحاسبي، والتي تشمل الرقابة القبلية، والآخر الرقابة البعدية للعمل المحاسبي وتقويم مسؤولية مجلس الادارة، والمستويات الادارية المختلفة والمراجعين؛

✓ مرحلة الممارسة الفعلية للعمل المحاسبي بداية من الالتزام بتطبيق المعايير المحاسبية، وتوفير الخصائص النوعية للمعلومات وتقويم، ومتابعة الأداء وإدارة الأرباح، وتنتهي بالإفصاح عن نتيجة هذه الممارسة في شكل تقارير وقوائم مالية، وتوصيلها لمختلف المستخدمين لها سواء داخل أو خارج المؤسّسة؛

✓ مرحلة ما بعد الممارسة الفعلية، وتشمل أدوار كلّ من المراجعة الخارجية، ولجان المراجعة، وما تحققه من ثقة ومصداقية في المعلومات التي تمّ الافصاح عنها.

ومن خلال ما سبق ذكره فالحوكمة تقوم بأداء دورها للوصول على مستوى عال من الشفافية في توفير المعلومات وهذا من خلال ما يلي:

---

[1] عرفان حمدي عبد النعيم "**دور تقرير تعليقات الادارة في تخفيض عدم تماثل المعلومات في السوق المال المصري**"، المؤتمر الدولي الأول حول تفعيل آليات المحاسبة والمراجعة لمكافحة الفساد المالي والاداري، جامعة بن سويف، 06-07 أفريل، 2013 ص7.

[2] كريمة دينا عبد العليم، "**أثر تباين المعلومات بين المستثمرين على تكلفة رأس المال –دراسة تطبيقية على قطاع البنوك في مصر** "، المجلة العلمية للبحوث والدراسات التجارية، كلية التجارة، جامعة حلوان، العدد 4، 2011، ص203،201.

[3] إلياس بن الساسي، خيرة الصغير، "**آليات الحوكمة ودورها في الحد من التأثيرات السلبية لعدم تماثل المعلومات**"، مجلة الباحث، جامعة ورقلة، ص640.

-المساءلة والمراقبة: لقد أكدت على ضرورتها العديد من تقارير التنظيمات الدولية كلجنة كادوبري 1992 في العنصر الثاني، أن يقوم المساهمين بمساءلة مجلس الادارة، وكلّ منهما له دور في تفعيل تلك المساءلة، كما أنّ تقرير (OECD) 1999م يشير في المبدأ الخامس بمسؤوليات مجلس الادارة إلى ضرورة المتابعة الفعالة للإدارة التنفيذية من قبل مجلس الادارة، وكذلك مساءلة مجلس الادارة من قبل المساهمين.

-الالتزام بتطبيق معايير المحاسبة والمراجعة: ويتم ذلك من خلال تطبيق المعايير الدولية الموحدة، وذلك لتسهيل وتوحيد قراءة القوائم المالية، وضمان وصول معلومات مماثلة لكلّ الأفراد، حيث يعتبر السعي نحو تطبيق معايير المحاسبة الدولية من أهمّ مظاهر تجسيد حوكمة الشركات.

-دور المراجعة الداخلية: تساعد المراجعة الداخلية المؤسّسة في تحقيق أهدافها، وتأكيد فعالية الرقابة الداخلية والعمل مع مجلس الادارة، ولجنة المراجعة من أجل إدارة المخاطر، والرقابة عليها في عملية حوكمة الشركات من خلال تقييم وتحسين العمليات الداخلية للمؤسّسة، وكذلك تحقيق الضبط الداخلي نتيجة استقلاليتها وتبعيتها لرئيس مجلس الادارة، واتصالها برئيس لجنة المراجعة[1].

-دور المراجع الخارجي: يحتل دور المراجع الخارجي أهمّية بالغة ضمن متطلّبات حوكمة الشركات، اضافة إلى كونه من أهمّ العناصر التي تعمل على الحدّ من تماثل المعلومات، وذلك لما يضيفه من ثقة ومصداقية على المعلومات، كما أنّ رأيه المحايد يساعد على الحدّ من عملية التعارض في المصالح بين المسيرين، والمساهمين والحدّ من المخاطر الأخلاقية التي تنتج عن عدم تماثل المعلومات[2].

-دور لجان المراجعة: أكدت معظم الدراسات والتقارير الخاصّة بحوكمة الشركات على ضرورة وجود لجان للمراجعة في المؤسّسات الاقتصادية التي تسعى إلى تطبيق حوكمة الشركات، كما أشارت إلى أنّ وجود لجان المراجعة يمثّل أحد أهمّ العوامل الرئيسية لتقييم مستويات تطبيق الحوكمة في المؤسّسة، وتقوم لجان المراجعة بدور حيوي في ضمان جودة التقارير المالية، وتحقيق الثقة في المعلومات المحاسبية نتيجة لما تقوم به من إشراف على عمليات المراجعة الداخلية، والخارجية ومقاومة ضغوط وتدخلات الادارة على عملية المراجعة، ولا يمكن اعتبار وجود أو تعيين لجان المراجعة تكلفة، أو معارضة لثقافات المؤسّسات الحديثة، وهذا بالنظر لما توفره من رقابة وجودة لمختلف التقارير المالية من خلال عملها الاشرافي والرقابة[3].

-تحقيق الافصاح والشفافية: يعتبر الافصاح من أهمّ مبادئ حوكمة الشركات، إذ يعتبر الافصاح حلقة وصل ما بين الحوكمة وجودة المعلومات المفصح عنها، حيث يعد التقيد بمعايير الافصاح السليم عن المعلومات المالية وغير المالية، مع توفر الشفافية في ذلك معيارا هاما عن تطبيق الحوكمة بغية حماية مصالح جميع الأطراف ذات المصلحة مع المؤسّسة[4].

---

[1] عبد الوهاب نصر علي، "**موسوعة المراجعة الخارجية الحديثة**"، الجزء الثالث، الدار الجامعية، الاسكندرية، 2009 ص 208،207.

[2] سمير كامل محمد عيسى، "**أثر جودة المراجعة الخارجية على عملية إدارة الأرباح-دراسة تطبيقية-**"، مجلة كلية التجارة للبحوث العلمية، جامعة الاسكندرية، العدد2، المجلد رقم 45، 2008، ص207.

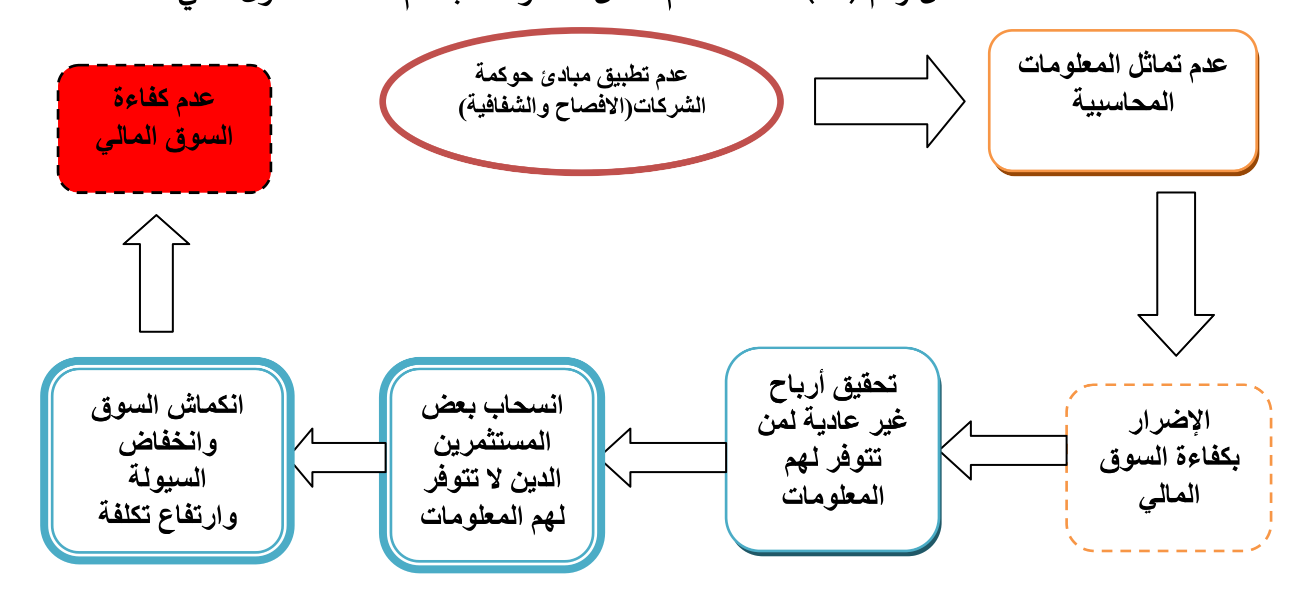
[3] عبد الوهاب نصر علي، مرجع سابق، ص208.

[4] إلياس بن الساسي، خيرة الصغير، مرجع سابق، ص639،640.

ومنه يمكن القول بأنّ عدم تماثل المعلومات سوف تؤدي إلى عدم كفاءة الأسواق المالية، وبالتالي فإنّ عدم تماثل المعلومات المحاسبية سيؤدي للإضرار بكفاءة السوق المالي، وقدرتها على تشجيع الاستثمار، وما دامت هناك عدم كفاءة، فإنّ ذلك يعني إمكانية تحقيق بعض الأطراف لأرباح غير عادية على حساب الأطراف الأخرى التي ليس لديها معلومات، وتحقيق هذه الأرباح غير العادية سيؤدي بالطبع إلى الإضرار بالسوق المالي حيث يترتب عليه انسحاب بعض المتعاملين منه خوفا من تحقيق خسائر، وهذا ما سيؤدي إلى انكماش السوق وانخفاض السيولة، وارتفاع تكلفة المعاملات، مما يؤدي في النهاية إلى عدم كفاءة السوق المالي.[1]

ويمكن تمثيل العلاقة بين عدم تماثل المعلومات وعدم كفاءة السوق المالي في الشكل التالي:

الشكل رقم (01):علاقة عدم تماثل المعلومات بعدم كفاءة السوق المالي



المصدر: من اعداد الباحثين

ومنه يمكن القول أنّ الهدف الأساسي للأسواق المالية ذات الكفاءة هو العمل على حماية المستثمرين بتوفير لهم كافة المعلومات اللازمة، وفي الوقت المناسب وبطريقة عادلة بينهم، وبشكل كافي يسمح لهم من مقارنة الشركات بعضها ببعض، لأن الشفافية في القوائم المالية والإفصاح الكامل يعتبر بمثابة عامل اطمئنان وثقة للمستثمرين بأنّ حقوقهم مكفولة، ومحترمة، الأمر الذي يؤدي إلى تنشيط السوق المالي، أي الزيادة في استثماراتهم، والزيادة في السيولة والتخفيض من تكلفة التبادل، وبالتالي التحسين من كفاءة السوق المالي.[2]

[1] عرابة الحاج، زغودة تبر، "**حوكمة الشركات كآلية للرفع من مستوى كفاءة الأسواق المالية**"، مداخلة في اطار الملتقى الدولي الثامن حول دور الحوكمة في تفعيل أداء المؤسّسات والاقتصاديات، جامعة الشلف، 19،20 نوفمبر، 2013، ص 705.

[2] وعد حسين الجميلي،" **دور مبادئ حوكمة الشركات في تعزيز الإفصاح وجودة المعلومات المحاسبية وانعكاساتها على القرارات الاستثمارية**"، مؤتمر التخطيط الاقتصادي والإداري – رؤى مستقبلية في الاستثمار وإعادة الإعمار في العراق، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة المستنصرية، 25-26 آيار، العراق، 2011.

نخلص مما سبق أنه ينبغي أن يكفل إطار حوكمة الشركات تحقيق مبدأ الإفصاح والشفافية للحدّ من مشكلة عدم تماثل المعلومات بين المستثمرين، وذلك من خلال الافصاح الدقيق، وفي الوقت الملائم بشأن كافة المسائل المتصلة بتأسيس الشركة، وينبغي أن تكفل قنوات توزيع المعلومات إمكانية حصول مستخدمي المعلومات عليها في الوقت الملائم، وبالتكلفة المناسبة وبالتالي وصول السوق المالي للسعر العادل للسهم.

ثالثا: حوكمة الشركات كآلية للتحسين من كفاءة الأسواق المالية

يؤدي تطبيق مبادئ وضوابط حوكمة الشركات في الأسواق المالية إلى توازن أسعار الأسهم من خلال توفر احتياجات المتدخلين في الأسواق المالية من المعلومات التي يحتاجونها في اتخاذ قراراتهم، أي قدرة مبادئ حوكمة الشركات في تحقيق الشفافية، في تقارير المؤسّسات المتعاملة في السوق المالي.

وبدراسة تحليلية للمبادئ الستة التي جاءت بها منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية يتضح أنّ كلّ مبدأ من هذه المبادئ له علاقة وثيقة، أو يتوقف على مبدأ الافصاح والشفافية ويظهر ذلك من خلال:

- ✓ تعد حوكمة الشركات بمثابة مجموعة من القواعد والمبادئ التي تحكم وتوجه، وتسيطر على ادارة الشركات بما يعود بالفائدة على جميع الأطراف؛
- ✓ تعد القوائم المالية المعتمدة من قبل المدقق الخارجي، والتي تظهر الأداء المالي والمركز المالي للمؤسّسة من أكثر المصادر استعمالا للحصول على المعلومات عن المؤسّسات، وبالتالي توفير الأساس السليم لتقييم الأسهم بطريقة عادلة[1]؛
- ✓ يؤدي اعتماد الأسواق المالية على تطبيق حوكمة الشركات في توفير احتياجات المستخدمين من المعلومات الخاصّة بالشركة في الوقت المناسب، وبصورة منتظمة، الأمر الذي يؤدي إلى زيادة قدرة هذا السوق على ضبط أسعار الأسهم، وتتوقف هذه القدرة على قدرة حوكمة الشركات في تحقيق الشفافية في القوائم المالية المنشورة؛
- ✓ يعتبر تطبيق مبادئ حوكمة الشركات بمثابة عامل اطمئنان وثقة للمستثمرين المتعاملين في السوق المالي من حيث اتخاذ قرار الاستثمار من عدمه في شركة معيّنة، اضافة إلى أنّ قواعد الحوكمة أصبحت من بين المعايير التي على أساسها يتم تصنيف الشركات من قبل وكالات التصنيف؛
- ✓ تعتبر حوكمة الشركات من بين العوامل الهامة في جذب الاستثمارات الأجنبية، والمحلية من جهة والحدّ من هروب رؤوس الأموال، ومكافحة الفساد الاداري من جهة أخرى[2]؛
- ✓ الإفصاح عن الالتزامات الاجتماعية، أي لا بدّ من ربط المؤسّسة بالمجتمع المحيط بها، وما يترتب على تلك الالتزامات من تكاليف وإيرادات في قوائم منفصلة عن القوائم الرئيسة، وبشكل واضح وتفصيلي[1]؛

---

[1] منير إبراهيم الهندي، "**الأوراق المالية وأسواق رأس المال، الإسكندرية**"، منشاة المعارف، 2002، ص80.

[2] كمال بوعظم، زايدي عبد السلام، "**حوكمة الشركات ودورها في التقليل من عمليات التضليل في الأسواق المالية، والحد من وقوع الأزمات –مع الاشارة إلى واقع حوكمة الشركات في بيئة الأعمال الدولية**"، الملتقى الدولي حول الحوكمة وأخلاقيات الأعمال في المؤسّسات، 18و19 نوفمبر، 2009 جامعة باجي مختار، عنابة، ص54.

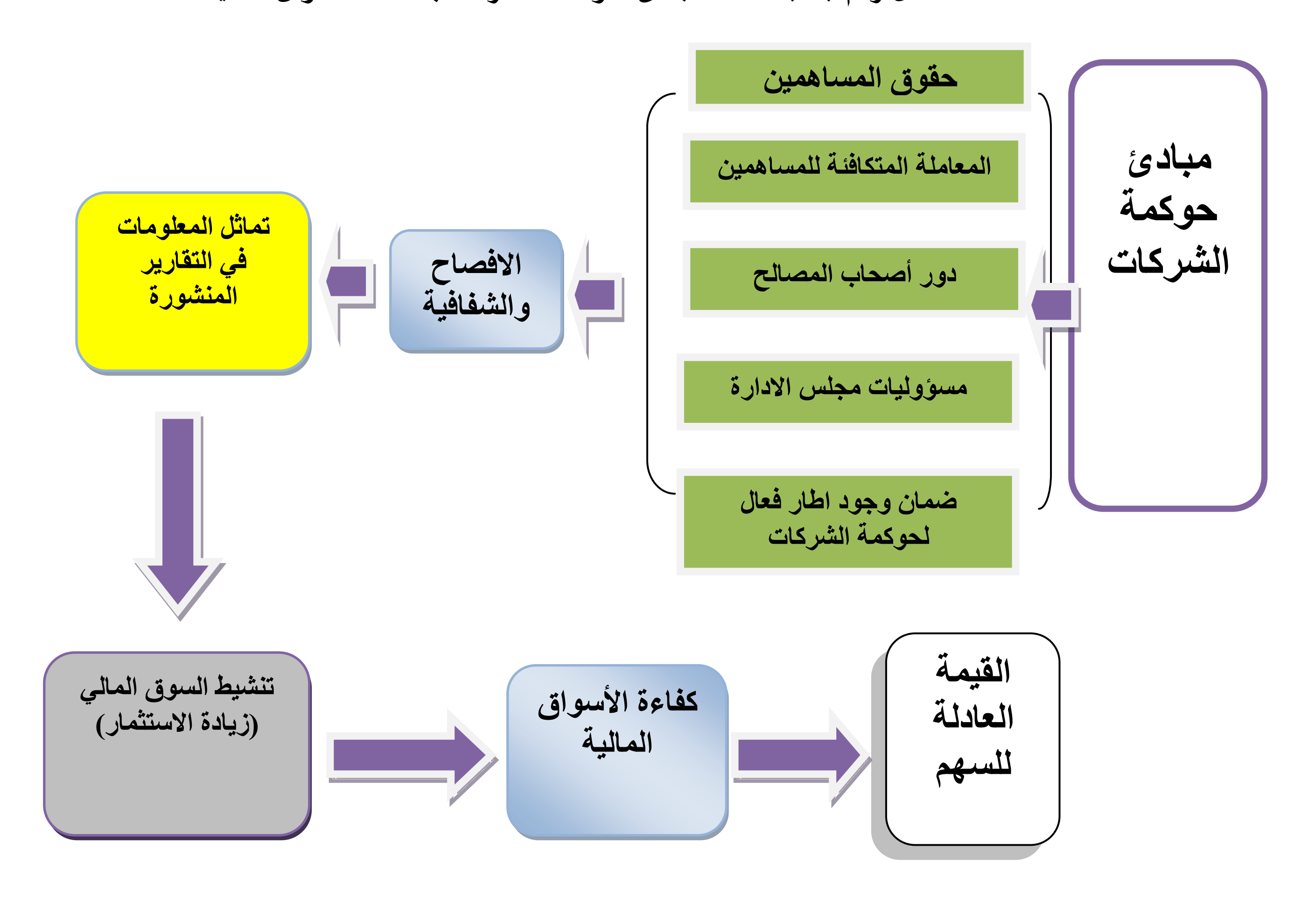
✓ وضع مجلس إدارة المؤسّسة الآليات والنظم القانونية التي تضمن احترام المؤسّسة الاقتصادية للقوانين واللوائح السارية، والتزامها بالإفصاح عن المعلومات للمساهمين، والدائنين وأصحاب المصالح الآخرين استنادا إلى معايير موضوعية[2]؛

✓ التزام المؤسّسة بإعداد ومراجعة المعلومات، وكذا الافصاح عنها بأسلوب يتفق ومعايير الجودة المالية والمحاسبية، فضلا عن المساواة ما بين المستثمرين فيما يتعلّق بالإفصاح عن المعلومات؛

✓ أظهرت البحوث التي أجريت مؤخرا بأنّ الدول التي يتم فيها حماية أقلّية المساهمين، واحترام حقوقهم بتطبيق حوكمة الشركات تتمتع أسواقها المالية بالضخامة وسيولة أكثر[3].

ويمكن إبراز العلاقة بين مبادئ حوكمة الشركات وكفاءة الأسواق المالية من خلال الشكل التالي:

الشكل رقم (02) علاقة مبادئ حوكمة الشركات بكفاءة الأسواق المالية



المصدر: من اعداد الباحثين

---

[1] محمد ياسين غادر، "**محددات الحوكمة ومعاييرها**"، المؤتمر العلمي الدولي عولمة الإدارة في عصر المعرفة، 15-17 ديسمبر 2012، جامعة الجنان، لبنان.

[2] عدنان بن حيدر بن درويش،" **حوكمة الشركات ودور مجلس الإدارة**"، إتحاد المصارف العربية، 2007، ص22.

[3] مجلة اقتصاد وأسواق، العدد57، مارس 2008، ص14.

الخاتمة:

من خلال هذه الدراسة التي تطرّقنا فيها لدور حوكمة الشركات في تحسين كفاءة الأسواق المالية اتضح لنا أنّ التطبيق الجيد لآليات ومبادئ الحوكمة يعمل على ارساء مبدأ الشفافية، والافصاح الذي يؤدي بدوره إلى تماثل المعلومات بالنسبة لجميع المتعاملين في السوق دون استثناء، وبدون تكاليف الأمر الذي يضمن تشجيع المستثمرين على الاستثمار في الأوراق المالية دون تخوف من تحقيق خسائر، وبالتالي يؤدي ذلك إلى تنشيط السوق المالي من جهة والوصول إلى السعر الحقيقي للسهم من جهة أخرى.

ومن خلال هذا يمكن عرض أهمّ النتائج المتوصّل إليها:

- ✓ يشكّل التطبيق الجيد لحوكمة الشركات أهمّية كبرى خاصّة للشركات المدرجة في الأسواق المالية حيث تشكّل عنصرا مهمّا من عناصر تقييم الشركة، وعامل اطمئنان للمستثمرين بما يؤدي إلى كسب ثقة المتعاملين في السوق المالي؛
- ✓ تعمل حوكمة الشركات على المحافظة على حقوق الأقلّية من صغار المستثمرين، مما يشجع على نموّ القطاع الخاصّ، ويدعم قدراته التنافسية ويساعد على تمويل المشروعات، وتحقيق الأرباح وتقليل المخاطر؛
- ✓ يساهم تطبيق حوكمة الشركات في توفير الحماية لأصحاب المصالح، ومساعدة المديرين ومجلس الادارة على تطوير استراتيجية سليمة لها، وضمان اتخاذ القرارات على أسس سليمة؛
- ✓ يساهم تطبيق حوكمة الشركات في تعزيز قدرة الشركة في تحقيق تكلفة رأس المال، ويساهم في تعزيز أدائها والحصول على التمويل اللازم؛
- ✓ يعتبر التطبيق الجيد لآليات الحوكمة أحد الحلول الممكنة لحل مشاكل الوكالة، وتخفيض تكاليفها؛
- ✓ تعمل حوكمة الشركات على الاسهام في جذب الاستثمارات الأجنبية، والمحلية وتساعد على الحدّ من هروب رؤوس الأموال، ومكافحة الفساد المالي والإداري؛
- ✓ تعتبر حوكمة الشركات أحد المبادئ الأساسية التي على أساسها يقوم المستثمرين باستثمار أموالهم في السوق المالي من خلفية أنّ حوكمة الشركات ستضمن لهم بأنّ أموالهم ستوظّف بالشكل الأمثل الذي يراعي مصالحهم؛
- ✓ يؤدي عدم تماثل المعلومات بين المتعاملين في السوق المالي إلى الاضرار بكفاءة هذا الأخير من خلال النقص في الاستثمار، أي انخفاض السيولة، وانكماش السوق المالي، وبالتالي يفقد السوق كفاءته؛
- ✓ يضمن تطبيق حوكمة الشركات تدعيم واستقرار الأسواق المالية، كونها تؤدي إلى تقليل المخاطر وتحفيز الأداء، وتحسين الوصول إلى الأسواق المالية؛
- ✓ هناك ارتباط وثيق بين حوكمة الشركات، وكفاءة الأسواق المالية، حيث تعمل الحوكمة على تحقيق العدالة في الوصول للسعر العادل للسهم.

ويمكن من خلال هذا الخروج بالتوصيات التالية:

- ضرورة العمل على إلزام المؤسّسات بتطبيق مبادئ حوكمة الشركات كشرط أساسي للقيد في السوق المالي، وأن تتولى هيئة سوق المال الاشراف على ذلك، بالإضافة إلى الاستفادة من الخبرات والدراسات التي قامت بها بعض الدول في تطبيق حوكمة الشركات؛
- إلزام كافة المؤسّسات بالإفصاح الالزامي دون الافصاح الاختياري من أجل الرفع من مستوى كفاءتها؛
- إلزام المؤسّسات المدرجة في السوق المالية بنشر كافة المعلومات المتعلّقة بها في تقارير رسمية واتاحتها لجميع أصحاب المصالح؛
- إلزام مراجعي الحسابات بتحمل المسؤولية الكاملة عن ما تتضمنه القوائم المالية من معلومات غير صحيحة؛
- العمل على نشر ثقافة الحوكمة في المجتمعات عن طريق وسائل الاعلام، لأن حوكمة الشركات تمثّل خط الدفاع الأوّل ضد أي فساد مالي وإداري.

مبدأ سلطان الإرادة بين الحريّة والتقييد

د.بطيمي حسين
كلّية الحقوق والعلوم السياسية
جامعة عمار ثليجي الأغوط

ملخّص

تميزت الدراسة القانونية المتصلة بنظرية العقد من خلال مبدأ سلطان الإرادة والذي شهدت تطوّرا تاريخيا برز فيه هذا المبدأ والذي جاء متأثرا بالنزعة الفردية والتي فتحت الباب للطرف القوي بأن يسيطر على الطرف الضعيف في العقد مما دفع القوانين الحديثة المشبعة بالنظرة الجماعية للعقد بتقييد هذا المبدأ من خلال القواعد المتعلّقة بموضوع العقد وشكله ومن حيث كذلك منح سلطة للقاضي في مراقبة والتدخل في العقد وتحقيق ما سمي بالنظرة الجماعية والفردية للتعاقد.

Abstract:

The present juridical study , dealing with the theory of contact is mainly characterized by the principle of will Autonomy, this theory knew a historical advancement qualified by the principle itself influenced by the individual trend which allowed the strong part of the contract to master the weak part.

All this led modern laws, enriched with the collective vision of the contract , the restrict the above principle through regulations and rules linked to the content of the contract and its form and to give the judge the authority to control and intervene in the contract to achieve what we commonly call the collective and individual theory of the contra

تعود فكرة العقد إلى أقدم الحضارات التي تبنت في تلك العصور المعاملات الإنسانية واحتضنتها في قوانينها القديمة التي مافتئت ترسم للبشرية من خلال الأنواع المختلفة للعقود نمط حياة يسوده التوافق والانسجام في علاقاتهم الاجتماعية والاقتصادية وحتّى الدينية، فكان لدور العقد في استقرار المعاملات بين أفراد المجتمع الغاية المنشودة في تحقيق المصالح الفردية والجماعية في عصور، وإن كانت البدائية وبساطة الحياة هي التي صنعت أهمّ المعاملات التلقائية التي تحتاج إليها الحياة الإنسانية، إلا أنه بعد تطوّر الأنظمة السياسية وتعقدت معها العلاقات الإنسانية من خلال تزايد المعاملات وتنوعها، ابتكر الناس العديد من العقود، وأهمّها المقايضة والبيع والإيجار والقروض والديون للضرورة الملحة التي تتطلبها تلك العلاقات الإنسانية التي تدور رحاها حول تفعيل كلّ المعاملات التي أصبحت تزداد بتطوّر المبادلات التجارية وظهور الصناعة ثمّ التجارة الخارجية، مما دفع بصناع القوانين آنذاك ببسط مجموعة القواعد لتنظيم العلاقات الإنسانية من خلال فرض طرق كفيلة بتطوير تلك العلاقات، فأصبحت القوة في بسط نفوذ الأفراد، وإطلاق سلطان إرادتهم للسيطرة على تلك المعاملات، بنزعة فردية خدمة لمصالح خاصّة، فكان إذن للفرد دورا محوريا في إنشاء التصرفات القانونية بما يخدم ويتماشى بالعقلية التي

تشبّعت بعدّة أفكار سياسية وفلسفية، مفادها أنّ الفرد هو محور الإرادة التعاقدية، بل وهو بذلك يعبر عن قانون العقد، لا يتدخل في شؤونه لا المشرع ولا القاضي ولا حتّى الغير في مشروعية هذه الحرّية المطلقة لإرادة أطراف العقد، لكن أصبحت تلك المغالاة في بسط سلطان الإرادة بلا رقيب ولا وازع لتلك النزعة الفردية والتي واجهتها أفكار سياسية واقتصادية مشبعة بإيديولوجيات اشتراكية واجتماعية تمخضت عنها العديد من الإصلاحات الجذرية في قانون العقد والالتزامات التعاقدية والتي تجسدت في تحصين الإرادة من مخاوف سوء النية واضطهاد الطرف القوي للطرف الضعيف في العقد، كما ساهمت القوانين التي بموجبها تدخلت الدولة في توجيه سلطان الإرادة وتقييده في مضمونه، بل فرضت الكثير من التشريعات شكليات معيّنة ورسميات لانعقاد التصرفات القانونية لا وبل فأصبحت الدولة متدخلة قبل أن كانت مجرد دولة حارسة عندما كانت روح النزعة الفردية منتشرة إلى غاية بداية القرن التاسع عشر، لذلك كان لزاما علينا أن نحدّد في هذه الدراسة مقومات مبدأ سلطان الإرادة. من جهة ثانية نسعى إلى تحديد أهمّ التعديلات الجوهرية في التقليص أو الحدّ من الحرّية المفرطة لمبدأ سلطان الإرادة من خلال ما سنتناوله في المباحث التالية:

وقبل التعرض لهذه العناصر علينا أن نبحث في النظرة التاريخية لفكرة سلطان الإرادة.

المبحث الأوّل: تطوّر فكرة العقد وبروز مبدأ سلطان الإرادة

شهدت أقدم الحضارات عند تنظيمها لمختلف العلاقات الإنسانية العديد من العقود البدائية والتي توزّعت خاصّة في مختلف القوانين القديمة للحضارة الشرقية الميزوبوتامية لاسيّما منها قانون حمورابي لدى البابليين، وعند المصرين في ظل الدولة الفرعونية، خاصّة في تنظيم الحاكم بوخريص قانون خاصّ بالعقود، وهذا ما أكدته الدراسات الأكاديمية في مادّة تاريخ القانون[1] ثم اعتمدت الحضارات الغربية كذلك على وسيلة العلاقات التعاقدية، إلا أنّ القانون الروماني جاء بوضع أحكام خاصّة تجسّدت فيها مبادئ الشكلية، وبالتالي كانت الشكلية هي المبدأ العام، هناك في انعقاد التصرف القانوني، وأن الرضائية هي الاستثناء، لذلك إلا أنّ تراجع القانون الروماني في عهده الثاني، وقام بقلب قاعدة التعاقد، فأصبحت الرضائية هي الأصل، والشكلية استثناء لهذا الأصل، عند تدخل المسيحية وفرض القوانين الكنسية ثمّ جاء الإسلام بتعاليمه وأيد فكرة الرضائية وكانت القوانين الحديثة قد سنت هذه الرضائية باعتبارها الأصل في التعاقد إلا انه برزت بعد ذلك في ذات هذه الرضائية نزعة فردية عبرت عن طريقة فرض سلطان الإرادة في تحديد مضمون وآثار العقد مما يستدعى أن نستدل بأهمّ تطوّر عرفته فكرة العقد في المطلب الأوّل، أمّا المطلب الثاني فخصصناه لموقف الفقه الإسلامي من فكرة الرضائية في العقد وخصصنا المطلب الثالث للتعرض فيه لبروز مبدأ سلطان الإرادة وانتشاره، أمّا المطلب الرابع فنتعرض فيه للتطوّرات التي شهدها القانون الفرنسي في اعتناقه لمبدأ سلطان الإرادة.

[1]- راجع دليلة فركوس، تاريخ النظم، النظم القديمة، أطلس للنشر، طبعة 1993، ص.62 وما يليها.

المطلب الأوّل: التطوّر التاريخي لفكرة العقد

كان للقرون التي خلت قبل الميلاد دورا كبيرا في انتشار بعض العلاقات التعاقدية البسيطة، فبالإضافة لعقد الزواج الذي كان من العقود الدينية لدى البابليين، وحتّى في مصر الفرعونية، باعتبار أنّ هذا الزواج سيحقق استمرارية دائمة للأسرة البابلية والمصرية، فهو بنزعته الدينية يساهم في خلود العبادة[1]، فإنّ ثمة مجموعة من العقود البسيطة التي تسد من حاجات المجتمعات القديمة قد انتشرت وتوزّعت هنا وهناك حيث جاءت مجموعة حامورابي في عدّة مواد مقننة للعديد من العقود كعقد المقايضة والبيع والإيجار والقرض ومجموعة كثيرة من العقود الزراعية، كما كان قانون بوخريص، والذي سمي بقانون العقود، لتنظيمه مجموعة لا بأس بها من العقود في الحضارة المصرية. إلا أنّ الحضارات الغربية قد تأثرت بمجموعة من الأفكار الأدبية والفلسفية التي كانت مزدهرة في منطقة آثينا لدى اليونانيين، وكان للحضارة الرومانية دورا هاما في وضع مجموعات قانونية كثيرة خدمة للعلاقات الإنسانية فكانت الشكلية في العقود هي الظهر الحقيقي لفكرة العقد لا وجود لهذا العقد بدون شكل لذلك كان القانون القديم للحضارة الرومانية (قانون الألواح الاثنى عشر).يمجد فكرة الشكلية باعتبارها أساس التصرف القانوني إذ لم يكن لإرادة الأطراف أي دور في إنشاء التصرف القانوني طالما أنّ هذه الإرادة عاجزة عن إنشاء أي تصرف قانوني[2]، هذا ما دفع بعد ذلك بعض الفقهاء في فرنسا بمناسبة شرحهم للقوانين الرومانية وفي مقدّمتهم دوما Domat وبوتيه Pothier من اعتبار الشكلية في القوانين الرومانية سادت بقوة وانتشرت إلى حدّ سيطرتها على المعاملات آنذاك[3]. لذلك كان العقد مجردا من سلطان الإرادة بحيث كانت الشكلية في القوانين الرومانية هي الأصل تحوطها أوضاع معيّنة من حركات وإشارات وألفاظ وكتابة، أمّا مجرد توافق إرادتين (pactum Nudum) ، كما يقول الدكتور السنهوري فلا يكون عقدا ولا يولد التزاما[4].لكن في عهد النظام الجمهوري في روما ازدهرت المبادلات التجارية مما أدى بعد ذلك من التخفيف من الإجراءات الشكلية المعقدة والتي لا تخدم التطوّر المطلوب في الحياة التجارية والاقتصادية مما سمح باللجوء للرضائية بجانب الشكلية والتي حالت دون فرض صرامة الشكلية التي كانت قد شلت مختلف المعاملات التي لها علاقة بالشعوب التابعة للدولة الرومانية لذلك أصبحت مجموعة من العقود غير المسماة (innommés contrats les)

---

[1]- دليلة فركوس،المرجع السابق،ص63.

[2] - J.Bart-Histoire du droit privé de la chute de l'empire romain, aux XIX[e] siècle 2[eme] édition Mont chrestien 2009,page 84 et suite.

-Jean Imbert, Histoire du droit privé (que sais—je?)Presses universitaire de France 2[eme] édition,1961,page 18.19.

[3] -Fr.terré ph.simler y le quette,droit civil ,les obligations,10 [eme] édition ,Dalloz,2009,Page131 et suite.

[4]- عبد الرزاق السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، نظرية الالتزام بوجه عام، مصادر الالتزام، الجزء الأول، دار أحياء التراث العربية،بيروت،ص.142،رقم 42.

تتوغل في عدّة معاملات وعلاقات تعاقدية مختلفة لذلك هناك من يرى أنّ صرامة الشكلية في العقود اضمحلت في العقد في العهد الجمهوري مقارنة بالعهد الروماني القديم[1].

ثم كان بعد ذلك لتدخل الكنيسة والقانون الكنسي دورا أساسيا في بث روح الرضائية والتي تتمحور حول مبدأ احترام العبارات المصرح بها ((Pasta sunt servanda)) والتي احتلت مكانة كبيرة لإحياء مبدأ الرضائية[2]، فكان إذن للرضائية دورا فعالا في تبادل التراضي بين الأطراف وأصبحت الشكلية منذ ذلك الزمن استثناء لمبدأ الرضائية[3].

كل ذلك أدى من الناحية العملية في النظرة الفلسفية إلى اعتبار مؤسّسي مدرسة القانون الطبيعي في أوربا أمثال الفقهاء قراتوس(Grotius) وبوتيه(Pothier) ولوازيل (Loisel) ودوما (Domat) الذي ساهموا بعد ذلك في العديد من التدخلات لميلاد ما يسمى بمبدأ الرضائية (Le Principe du consensualisme) وذلك من خلال آراء الفلاسفة ورجال القانون[4].

المطلب الثاني:موقف الفقه الإسلامي من فكرة العقد وسلطان الإرادة

اعتد فقهاء الشريعة الإسلامية بمبدأ سلطان الإرادة باعتباره الوسيلة المعبرة عن مضمون ومقاصد العقد لذلك كان لدى الفقهاء القدامى دورا بارزا في منح العقد مكنة التعبير فيه بإرادة خالصة لا مقيدة ولا مكرهة تعبيرا يوحي بوجود طمأنينة في بسط سلطان الإرادة بكلّ حرّية بطيب خاطر واطمئنان بال حيث جاء ابن القيم الجوزية في إعلام الموقعين بأنّ الإرادة في العقد ثابتة وحرة[5] ومنهم من اعتبر كذلك بأنّ الحرّية في التعاقد أمر تمليه أحكام الشريعة الإسلامية بالقرآن والسنة[6]. لذلك كان للرضائية في العقد الحظ الأوفر في نظرية العقد في الفقه الإسلامي حيث يرى الدكتور عبد الرزاق السنهوري بأنّ الفقه الإسلامي قضى بوجود الإيجاب والقبول كافيان في تكوين العقد واستغرب الدكتور السنهوري في بساطة هذه القاعدة (الرضائية) كونها كما يقول من بديهيات القانون الحديث فبالرغم مما كان للقانون الروماني من أصول وجذور تاريخية وعراقته فإنّه لم يقرر قاعدة الرضائية في العقود إلا في أواخر مراحل تطوّره حيث أرجع الدكتور السنهوري تفوق الفقه الإسلامي في موضوع الرضائية عن القانون الروماني وذلك بتقرير فقهاء الشريعة الإسلامية لهذه القاعدة لأثر الدين الإسلامي الحنيف البليغ في تقرير قواعد الفقه أصولا وفروعا لذلك ولم تصل فكرة العقد في أوربا إلى الرضائية إلا تحت تأثير عدّة عوامل في مقدّمتها الديني المسيحي والقوانين الكنسية والتي كما رأينا تحث على وجوب الوفاء بالعهد حيث بات تقيد الإنسان بكلمته متفقا مع آداب الدين المسيحي، ثمّ انتقل هذا الالتزام من الدائرة الدينية إلى الدائرة

1- Ngyen tientien, le formalisme en matière contractuelle dans les droits Français et vietnamien, thèse de Doctorat sou tenue le 30 Novembre 2011,Université panthéon-Assas école Doctorale de droit privé ,page21.22.

2 -G.Auge,Le contrat et l'évolution du consensualisme chez Grotis édition Sirey,1968,page99 et suite-cite par Nguyen tien-tien,opcité,page24

3 -J.Bart,op cit,page 87 et suite

4 - Nguyen tien-tien,opcité,page25 N°(inf) 74.

5- ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، الجزء الثالث،ص.84 وما يليها

6- الكاساني، بدائع الصنائع، الجزء الثالث،ص.190.189.

القانونية[1] لذلك كان ثمة تقدّم واهتمام بالغين لدى الفقه الإسلامي بخصوص رضائية العقد التي كانت هي الأصل في التعاقد حيث تنجز نينهما ما أوجباه المتعاقدان على أنفسهما بمقصود العقد وهو ما أفتى به ابن تيمية[2] فمشروعية العقد وتقرير الرضائية أكدت عليها الشريعة الإسلامية الغراء باعتبار العقد مصدرا للالتزام[3]، حيث اعتبر فقهاءها أنّ حرّية الأفراد في إنشاء ما يريدونه من عقود أمر مستقر من حيث المبدأ فتقرير ذلك لم يأت بعد تطوّر أو تحت تأثير عوامل معيّنة إنّما جاء ذلك بما أملته أحكام الشريعة الإسلامية طالما أنّ الحرّية عموما وحرّية التعاقد خصوصا لم تكن أبدا محل جدل لدى الفقهاء شريعتنا الغراء بل جاء استدلالهم واستنباطهم من قوله صلى الله عليه وسلم " المسلمون عند شروطهم إلا شرطا أحل حراما وحرم حلالا"[4] بل فإنّ الآيات القرآنية الكريمة والتي جاءت بصفة الأمر تحض على وجوب الوفاء بالعقود، بقوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود" وقوله أيضا " وأوفوا بالعهد أنّ العهد كان مسؤولا" وقوله تعالى "و أوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلا" كما حث الرسول صلى الله عليه وسلم وأكد بذلك في قوله:" لا أمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له".[5]

و غني عن البيان أنّ الشريعة الإسلامية لم تترك هذه الحرّية التعاقدية على إطلاقها وإنّما جاءت كذلك لإسعاف الآخرين من الأضرار التي تتسبب فيها هذه الحرّية في إبرام العقود وهو مقتضى الحكمة النبوية في قوله صلى الله عليه وسلم "لا ضرر ولا ضرار"[6]. وهو ما ترجمه الفقه الإسلامي في أنه " العبرة في العقود للمقاصد والمعاني لا للألفاظ والمباني"[7] وترتيبا على ذلك فإنّ موقف الفقه الإسلامي الحديث بخصوص العقد ومبدأ سلطان الإرادة يتمحور حول المسائل التالية:

أ- ينشأ الحق أو الالتزام بالعقد.

ب-يصبح العقد لازما حال تمام العقد أي بمجرد. ارتباط الإيجاب بالقبول ويفهم من ذلك أنّ العقد رضائي المنشأ في الفقه الإسلامي.

---

[1]-عبد الرزاق السنهوري، مصادر الحق في الفقه الإسلامي، الكتاب 3.2.1،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة 1954،الجزء الأول، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،ص.40.

[2]- ابن تيمية، الفتاوى،الجزء3،ص.240.239.

[3]-عدنان إبراهيم السرحان، نوري محمد خاصر، شرح القانون المدني، مصادر الحقوق الشخصية، الالتزامات، دراسة مقارنة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة السادسة،2016،ص.36 رقم 42.

[4]- امجد محمد منصور، النظرية العامة للالتزامات، مصادر الالتزام، دراسة في القانون المدني الأردني والمصري والفرنسي، مجلة الأحكام العدلية والفقه الإسلامي، دار الثقافة للنشر والتوزيع،طبعة2009،ص.33.32.

[5]- عبد الرزاق السنهوري، مصادر الحق الفقه الإسلامي، المرجع السابق،ص41.

[6]- امجد محمد منصور، المرجع السابق،ص.33.

[7]- عدنان إبراهيم السرحان، و نوري محمد خاطر، المرجع السابق،ص.37.

ج- أنّ مصدر القوة الملزمة للعقد المشرع فالعقد ينشأ والمشرع يرتب عليه آثاره الملزمة لطرفي العقد.

د- يجب عدم مخالفة العقد للنظام العام والآداب العامة أي قواعد الشريعة الإسلامية الآمرة طبقا للأحاديث الشريفة المذكورة، وقول الشاطبي أنّ " قصد الشارع من المكلف أن قصده موافقا الشارع من التشريع"[1].

المطلب الثالث: بروز مبدأ سلطان الإرادة وانتشاره

إن ظاهرة التباعد في تقرير مبدأ الرضائية بين الفقه الإسلامي والقانون الروماني من دفعت بالباحث في القانون إلى تقديم الشريعة الإسلامية عن القانون الروماني وتفضيلها لما لهذه الأخيرة من اهتمام بالإرادة التعاقدية وبسط كلّ البدائل للتعبير عن الحرّية في إبرام العقود فالأسوأ أنّ القانون الروماني ركن في بداية عهدة على مصادرة الإرادة واستبدالها بالشكل المطلوب في ظل القوانين الرومانية لذلك فالعقد الشكلي كان عقدا مجردا صحته مستمدة من شكله لا من موضوعه[2]. لكن بعد تعقد الحياة الاقتصادية والاجتماعية أصبحت بعض الشعوب التابعة للإمبراطورية الرومانية تطالب بتطبيق قانون خاصّ بهم (قانون الشعوب) نظرا لكثرة المعاملات التجارية وضرورة السرعة في تنفيذها مما دفع ببعض الحكام تأثرا ببعض رجالات القانون هناك (JurisDoctor) بإقحام العقود العينية والرضائية إلى جانب العقود الشكلية وأصبح مبدأ سلطان الإرادة في مثل هذه العقود يظهر ويتوغل ثمّ انتشر في عدّة تصرفات تدخل في نطاق ما يسمى بالتصرفات الرضائية (Actes consensuels)[3].

فبالإضافة للتأثيرات الدينية الواردة من لدن الدين المسيحي والقوانين الكنيسية، فإنّ ثمة مجموعة من العوامل التي مهدت الطريق لميلاد مبدأ سلطان الإرادة أهمّها:

العوامل الاقتصادية والسياسية، فانتشار التجارة وبسط نفوذ الدولة وتدخلها في العلاقات القانونية وذلك من أجل حماية التصرفات القانونية القائمة على مجرد الاتفاق لذلك كان لزاما لاستقرار التعامل خلع ما سمي بالأوضاع القديمة لنظام الشكلية المعروف لدى الرومان مع العلم أنّ ثمة تدخل القانون الطبيعي الذي فتح الباب للمتعاقدين في انتشار الحرّية التعاقدية Liberté contractuelle والتي هي في أصلها من كبرى الحرّيات الطبيعية Libertés naturelles[4] لذلك فالحرّية التعاقدية التعاقدية كما يرى بعض الفقه في فرنسا مفادها أنّها تقوم على فكرة ثلاثية إما لإبرام العقد أو عدمه، إختيار بكلّ حرّية الطرف المتعاقد الآخر، تحديد بكلّ حرّية محتوى العقد[5] كما أنّ هذه

[1]- عدنان إبراهيم السرحان، نوري محمد خاطر، المرجع السابق،ص.37.

[2]- عبد الرزاق السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، المرجع السابق،ص.142.رقم42.

[3] -J.Bart-Histoire du droit privé de la chute de l'empire romain ,op cite,page 137.138.

[4]- Alex Weill et François terré, Droit civil, les obligations, 3eme édition , Dalloz précis ,Dalloz,paris.1980,page.54.55.

[5] - Fr.terré,ph Simler,y le quette ,opcité,page 29,N°23

الحرّيـة هـي ضـرورة ملحـة تقتضـيها الحيـاة القانونيـة لترتيـب الآثـار القانونيـة، إذ لا مجـال للتـدخل المشرع أو القاضي في هذا العقد[1].

ثـم اسـتقر مبـدأ سـلطان الإرادة وأصـبح ثابتـا وبـرز إلى الوجـود القـانوني في القـرن التاسـع عشـر نظـرا لضـعف تـأثير الـدين المسـحي ممـا أدى إلى انتشـار نظريـات اقتصـادية وفلسـفية وسياسـة كلّهـا مشـبعة بـروح النزعـة الفرديـة والتي كانـت في أواخـر القـرن الثـامن عشـر مشـبعة بأفكـار القـانون الطبيعـي وأصـبح الفيزيوقراطنـون (Physiocrates) ينـادون بالحرّيـة الاقتصـادية قانونـا طبيعيـا تلـك النظريـات الاقتصـادية صـاحبتها عـدّة آراء ونظريـات فلسـفية التي نـادى بهـا جـون جـاك روسـو J.J Rousseau في مؤلّفـه العقـد الاجتمـاعي (Contrat-social) والـذي كانـت حرّيـة الفـرد واسـتقلال إرادتـه هـي المحـور الـذي يـدور عليـه تفكير ذلـك العصـر. لـذلك كـان لهـذه الأفكـار والنظريـات الفلسـفية تـأثير كبير في الثـورة الفرنسـية حيـث قـام رواد هـذه الثـورة بتسـليم هـذه الأفكـار للمشـرعين في أوائـل القـرن التاسـع عشـر نـتج عنـه قـانون نـابليون يرتكـز على تقـديس حرّيـة الفـرد و الإمعـان في إحترام إرادتـه[2]. ممـا سطر بصفة رسمية لميلاد نظرية سلطان الإرادة(la theorie de l'autonomie de la volonté.)[3].

المطلب الرابع: التطوّرات التي شهدها القانون الفرنسي في اعتناقه مبدأ سلطان الإرادة.

اعتبر الفقـه القـانوني أنّ الرضـائية جـاءت على نقـيض الشـكلية المعروفـة في العهـود الرومانيـة القديمـة حيـث تطـوّر الفقـه القـانوني وتطـوّرت معظـم المفـاهيم القانونيـة المتعلّقـة بالرضـائية كقاعـدة عامـة في نظريـة العقـد وتصـدرت الرضـائية كـلّ التصـرفات القانونيـة مـن حيـث نشـأة العقـد وترتيـب آثـاره القانونيـة في القـانون الفرنسـي[4]،و لأن القـانون الفرنسـي جـاء متـأثرا مباشـرة بالقـانون الرومـاني فـإنّ الفقـه القـانوني الفرنسـي إعترف بوجـود لمسـات القـانون الرومـاني عنـد مرحلـة تقنـين القـانون المـدني الفرنسـي ذلـك أنّ التقاليـد الرومانيـة أثـرت في الكثير مـن القواعـد القانونيـة المدنيـة الموضـوعية منهـا والإجرائيـة وذلـك بـاعتراف القـانون الفرنسـي القـديم الـذي كـان لا يقبـل إلا العقـود الشـكلية فـإنّ تـدخل الكنيسـة وتـأثير أفكـار الكنسـية على واضـعي القـانون الفرنسـي الـذي أفضـى بحتميـة الاعتراف بالرضـائية وتجسـيد مبـدأ سـلطان الإرادة[5] فكانـت كـلّ العوامـل ذات الصـلة بالـدين مـن خـلال القـانون الكنسـي (Droit canonique) والحـق الطبيعـي والسياسـي والتطـوّر الاقتصـادي والتجـاري الـذي حـدد الاقتصـاد السياسـي[6] قـد صـنعت في أوروبـا وفرنسـا خصوصـا سـلطان الإرادة وأضـحت النزعـة الفرديـة هي القـوة الدافعـة لإرسـاء دعـائم الحرّيـة التعاقديـة في فرنسـا وذهـب الفقـه في فرنسـا إلى أن

[1]- بلحاج العربي، النظرية العامة للالتزام في القانون المدني، الجزء الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، طبعة 1999، ص.43.

[2]- عبد الرزاق السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، المرجع السابق،ص.144.

[3] -Jean-luc Aubért ,Introduction au droit et thèmes Fondamentaux du droit civil, Armand,colin,paris ,1984,page 238.

[4] - Alain Benabent, Droit civil les obligations 12 eme édition Montchrestien,2010,N° 101

[5] - F.terré philippe Simler,yves lequette,opcité,Page,34.

[6] - Alex weill et F.terre opcité,page.55.

مبـدأ سـلطان الإرادة رتـب آثـار قانونيـة هامـة لهـا علاقـة بالنزعـة الفرديـة والحرّيـة المطلقـة في التعاقـد وذلك من خلال النتائج التالية:

الحرّية التعاقدية:Liberté contractuelle

القوة الإلزامية للعقدLa force obligatoire du contrat

وأثر العقد فيما بين المتعاقدين فقط[1] L'effet relative du contrat

لـذلك جـاء التحضير لمشـروع القـانون الفرنسـي الجديـد بعـد ذلـك منطلقـا مـن النزعـة الفرديـة والحرّيـة التعاقديـة المطلقـة اسـتنادا للقـانون الطبيعـي والـذي نـادى بـه الفقهـان دومـا (Domat) وبوتيـه (Pothier) حيـث لعبـا دورا هامـا فـي التمهيـد لقاعـدة سـلطان الإرادة والحرّيـة المفرطـة فـي التعامـل و التعاقـد ممـا نـتج عنـه بعـد ذلـك إفـراغ هـذه الحرّيـة في التقنـين المـدني الفرنسـي ومـع ذلـك يمكـن القـول بـأنّ العقـد يتضـمن مجمـوعتين كبيـرتين مـن الشـروط إحـداهما تتعلّـق بـدور الإرادة مـن خـلال نتاجهـا وهي الحرّيـة والمبـادرة الفرديـة (Liberté l'initiative individuelle) فهـي في المجتمـع عنصـر حيـوي لا يمكـن الاسـتغناء عليهـا، ثانيهمـا والتي تشـكّل في حـدّ ذاتهـا هيكـل العقـد والـذي يمـنح لـلإرادة إطـار محدود يتمثّل في تفادي أن تمس هذه الحرّية والمبادرة الفردية بمصالح يحميها المجتمع[2].

و هـو مـا حـدث فعـلا بعـد ذلـك في الحـدّ مـن سـلطان الإرادة مـن خـلال المراجعـة والتعـديلات المتتاليـة للتقنـين المـدني الفرنسـي لسـنة 1804 وذلـك بـإدراج مجموعـة مـن التعـديلات الجوهريـة والتي قيدت من القاعـدة القائلة "من يقـول تعاقـديا يقـول العـدل" (Qui dit contractuel dit juste) والتي كانـت سـابقا تسـمح للطـرف القـوي في العقـد أن يفـرض قانونـه علـى الطـرف الضـعيف[3]، حيـث تجسـدت فعـلا هـذه التعـديلات في مجموعـة مـن القيـود علـى مبـدأ سـلطان الإرادة للحـدّ مـن إطلاقـه كما سوف نرى في حينه.

المبحث الثاني: مقومات مبدأ سلطان الإرادة

جـاء تكـريس مبـدأ سـلطان الإرادة فـي النظريـة التقليديـة للعقـد التـي تشـبعت بعـدّة أفكـار فلسـفية واقتصـادية محسـوبة عـن المـذهب الفـردي الـذي سـاهم بانتشـار النظـام الليبرالي في أوروبـا وأمريكـا اسـتنادا لمـا سـبق ذكـره مـن معطيـات وعوامـل منـذ العهـد الثـاني للقـانون الرومـاني إلى غايـة القـرن التاسـع عشـر (19) حيـث كانـت لنظريـة سـلطان الإرادة بمثابـة مسـألة عقيـدة لـذلك كانـت محـل جـدل منـذ بدايـة القـرن العشـرين مـن حيـث أساسـه ومـن حيـث آثـاره في القـانون الخـاصّ[4]. وهـو مـا سنقوم بالتعرض إليه في المطالب التالية:

---

[1] - F. terré ,philippe,simler,yves lequette,op,cite,page.29.30

-Alain Benabent,op cité,N°102.

[2] - F. terré ,philippe,simler,yves lequette,op,cite,page.35

[3] -« entre le fort et le faible c'est la liberté qui asservi t la loi qui affranchit »- F. terré philippe simler,yves lequette,op,cite,page.35.36.

[4] -E.Gounot. Le principe de l'autonomie de la volonté en droit privé ,thèse Dijon 1912,cité par Alex weill et François terré ,op cit,page 61. 61.

المطلب الأوّل: التعريف بمبدأ سلطان الإرادة

جاءت كلمة سلطان Autonome مشتقة من كلمة Autonome وهي بدورها كلمة يونانية (Autonomos) والتي يقصد بها الحق في التعبير بالقوانين الذاتية[1].

ومقتضى ذلك أنّ الإرادة الحرة هي التي تصنع التصرف القانوني بموجب سلطان قانونها وهي كذلك تهيمن على جميع مصادر التزام ولذلك استقر مبدأ سلطان الإرادة و أصبح كما يقول الدكتور عبد الرزاق السنهوري دعامة تبني عليها جميع النظريات القانونية حيث أرجع قاعدة سلطان الإرادة إلى أصلين:

أ-كلّ التزامات بل كلّ النظم القانونية ترجع في مصدرها إلى الإرادة الحرة.

ب- أنّ هذه الإرادة لا تقتصر على أنّ مصدر الالتزامات بل هي أيضا المرجع الأعلى فيما يترتب على هذه التزامات من آثار[2].

و ترتيبا على ذلك فإنّ مبدأ سلطان الإرادة يهدف للنتائج التالية:

1-أن الأفراد أحرار في التعاقد ولا يقيدهم إلا الإضرار بالغير.

2-أن العقد يولد قوة ملزمة فلا يجوز الرجوع عنه أو تعديله إلا باتفاق الطرفين.

3-أن العقد نسبي لا يمتد إلى غير المتعاقدين.

4-لا يمكن للقاضي المساس بالعقد بالتعديل أو الإضافة فعلية أن يعمل على تنفيذه فقط دون أن ينظر في عدم التوازن في العقد التي نتج عن عيوب التدليس أو الغلط أو الاستغلال حيث يبقى دور القاضي مراقبا ومنفذا للعقد فقط[3].

كما أنّ الفقه في الجزائر استقر على هذا الرأي والذي مفاده أنّ سلطان الإرادة برر للإنسان أن لا يلتزم إلا بمحض إرادته وفي الحدود التي يريدها وبالكيفية التي يختاره طالما أنّ الإرادة الحرة هي مصدر الحقوق و الالتزامات في أنّها تنشئ التزام وتحديد مضمونه وتكسبه كما يقول الدكتور فيلالي قوته الالزامية[4].

و الثابت عند الدكتور بلحاج على أنّ النظرية العامة للعقد باعتبارها جزءا من النظرية العامة للالتزام لا تنطبق كما يقول إلا حيث يكون الاتفاق في نطاق القانون الخاصّ وفي دائرة المعاملات المالية (أو قسم الأحوال العينية) وبناء على ذلك فإنّ العقود ذات صلة بالقانون العام كالمعاهدات الدولية والعقود الإدارية ونفس الأمر بالنسبة كذلك لبعض العقود التي تدخل في مجالات الأحوال الشخصية كعقد الزواج والتبني فإنّها كما يرى الدكتور بلحاج العربي لا تخضع

---

[1]-Autonomie est un derivé d'antonome lequel vient du grec autonomes du prefixe auto et du substantif nomos,ce dernier correspondant enlatin à lex en français « loi »,Le droit de se régir par ses propres lois,cité par F.terré, philippe simler,yves lequette,opcit,page.28,N°(1)

[2]- نقلا بتصرف عن عبد الرزاق السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، المرجع السابق،ص.144.

[3]- عدنان إبراهيم سرحان، و نوري محمد خاطر، المرجع السابق،ص.34.

[4]- فيلالي على، التزامات، النظرية العامة للعقد، طبعة منقحة ومعدلة، موفم للنشر، الجزائر،طبعة،2008،ص.49.

للنظرية العامة للالتزام، وبالرغم من تسميتها عقودا طالما أنّها فعلا تتضمن تطابق إرادتين بغية إحداث آثار قانونية إلا أنّها لا تخضع لنظرية الالتزام باعتبار أنّ الآثار المرتبة لا تنشئ التزامات بالمعنى المحدّد في النظرية العامة الالتزام[1].

و غني البيان أنّ ثمة عدّة اتفاقيات دولية اعترفت بمجال تطبيق مبدأ سلطان الإرادة في الفقه عند تطبيق القانون الدولي الخاصّ وهو ما أكدته المادّة 1/3 من اتفاقية روما تحت عنوان (Liberté et choix)[2]. وهو ما سنقوم بتفصيله لاحقا لذلك كان من المميزات الأساسية للتصرفات القانونية لاسيّما منها الملزمة لجانبين (Les actes bilatéraux) في فعالية الإرادتين فإنّها لا بدّ أن يكون حرة وواضحة[3] Libre et eclairée وتظهر هذه الحرّية في التعاقد من خلال ما سيأتي تفصيله.

المطلب الثاني: ركائز مبدأ سلطان الإرادة

حيث يقوم مبدأ سلطان الإرادة على ثلاثة دعائم أساسية تمثّلت الأولى في الحرّية التعاقدية أمّا الثانية فهي ترتكز حول موضوع القوة الملزمة للعقد أمّا الثالثة فهي تتمحور حول فكرة الأثر المترتب عن مبدأ سلطان الإرادة، و هو ما سنقوم بمعالجته في الفروع التالية:

الفرع الأوّل: الحرّية التعاقدية أساس التعبير عن الإرادة

وهو مقتضى مبدأ سلطان الإرادة طالما أنّ العقد لا تقوم له قائمة في ظل ما اتفق بتسميته بالمذهب الفردي إلا بوجود إرادة حرة تقابلها حرّية لا متناهية في التعاقد في مجالات شتى طالما أنّ سلطان الإرادة كما يقوم الدكتور عبد الرزاق السنهوري غير مقصور على توليد التزامات وحدها بل يولد كذلك حقوقا أخرى. فالملكية مبنية عن حرّية الإرادة، و في الأحوال الشخصية فإنّ عقد الزواج مبني كذلك على حرّية الإرادة والميراث مبني على وصية مفروضة، و طرق التنفيذ الإجباري ذاتها ترتكز على الإرادة الحرة، كذلك لا مبرر للعقوبة الجنائية إلا في الإرادة لذلك فالقانون ما هو إلا وليد الإرادة ارتضاه الناس بأنفسهم أو ممثّليهم للخضوع لسلطانه وهي كلّها جاءت مدعمة بتلك الأفكار الفلسفية والاجتماعية السائدة آنذاك[4] فلذلك كان للعبة الحرة للإرادتين الفرديتين ما هي إلا تحقيقا للعدل:[5]« Le libre jeu des volontés individuelle ne peut que réaliser la justice ».

لذلك فكان المبدأ الفلسفي القائل بأنّ العقد مبدأ الحياة القانونية وأن الإرادة الفردية هي مبدأ العقد وهو ما جاء تكريسه فعلا حول مسألة تقديس الفرد وتسخير المجتمع لخدمته بموجب مبدأ سلطان الإرادة كذلك فإنّ الإرادة لا تقتصر على إنشاء العلاقة العقدية وتحديد مضمونها

---

[1] -بلحاج العربي، المرجع السابق،ص42.

[2] - « un événement important s'est pourtant produit depuis le 1 er Avril 1991 la convention de Rome du juin 1980 sur la loi applicable aux obligations contractuelles en vigueur », cité par Jean Michel Jacquet le contrat international ,Droit privé, connaissance du droit,2eme édition Dalloz,1998,Page,32.33

[3] -Boris Stark,Henri Roland,Laurent Boyer Introduction au droit ,2eme Edition,1988 Litec Libraire de la cour de cassation ,Paris ,Page 529,N°1355.

[4] - السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، المرجع السابق،ص.145.

[5] -F.terre,Philippe simler,y lequette,op cité,page.29.

وأحكامها بل تعتبر الإرادة الحرة مصدرا للقانون[1]. لذلك فإنّ مبدأ سلطان الإرادة إذن يقوم على الحرّية التي تؤدي إلى إبرام العقد لإتاحة الفرصة في تحديد مشتملات هذا العقد وهو ما سنراه في الفرع الثاني.

الفرع الثاني: مظهر سلطان الإرادة في تحديد القوة الملزمة للعقد

ومفاد ذلك أنّ أطراف العقد بمجرد إبرامه فيصبحان ملزمان باحترام التزاماتهما دون اللجوء إلى أية وسيلة أخرى طالما أنّ توافق الإرادتين هو في ذاته منشيء للالتزامات[2]،لذلك يرى الفقه في فرنسا أنّ القوة الملزمة للعقد تستلزم تحقيق عدّة غايات:

أولاها: أنّ القوة الملزمة للعقد تعني مبدئيا أنّ المتعاقدين كلاهما مرتبطين بالعقد

أمّا الغاية الثانية فتعتبر أنّ هذه القوة الإلزامية مفروضة على القاضي كما أنّها في غايتها الثالثة فهي مفروضة كذلك على المشرع[3].

كما يرى الدكتور السنهوري أنّ الأصل في الإنسان الحرّية واستقلال الإرادة وأن هذا العقد قد تمّ بتوافق إرادتين مستقلتين لا يجوز تعديله إلا بتوافق هاتين الإرادتين، فلا يستقل احد من المتعاقدين بتعديله، كما لا يجوز للقاضي نفسه بدعوى قواعد العدالة أن يعدل فيه أو أن يضيف إليه ما ليس منه[4].

كما أنّ الفقه في الجزائر جاء مؤيدا لما سبق ذكره من خلال التأكيد على أنّ الإرادة الحرة هي التي تكسب العقد قوة إلزامية والتي جاءت لتفسير القاعدة " العقد شريعة المتعاقدين" ولذلك فإنّ هذه القوة الإلزامية تسري على المتعاقدين حيث يجب تنفيذ التزامات كما لا يجوز نقض العقد وإنهائه دون رضاء المتعاقد الآخر، كما أنّ القاضي كذلك يخضع لهذه القاعدة بحيث يبقى ملزما باحترام اتفاق المتعاقدين حتّى ولو كان غير عادل في وجهة نظره فلا يمكن له إضافة أو إنقاص أو تعديل ما ورد في محتوى العقد وعند الضرورة يلجأ القاضي للبحث في نية المتعاقدين بغض النظر عن كلّ الاعتبارات أخرى[5]، كما برر الدكتور فيلالي على موقف المشرع في تسمية العقود، أنّ الغرض من العقود المسماة عن تنظيم أحكامها لا يقصد به التقليص من حرّية المتعاقدين إنّما مساعدتهما على تنظيم علاقتهما التعاقدية والدليل على ذلك أنّ هذه الأحكام جاءت مكملة كما جاء عند الفقيه Savatier أنّ النظام العام لا يطمح في الحقيقة إلا لتعزيز الحرّية الفردية للمالك والمتعاقد[6].

---

[1]- « Le lien de droit est donc créer par l'accord des volontés et sa force obligatoire est une projection de cet accord »أشار إليه د فيلالي علي، المرجع السابق،ص.49.هامش 17

[2] - F.terre,Philippe simler,y lequette,op cité,page.30.

[3] -Alex weill et François terré ,op cité, page 59-60

[4]- عبد الرزاق السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، المرجع السابق،ص.146.

[5]- فيلالي علي، المرجع السابق، ص.50.

[6] - Savatier, les métamorphoses économiques et sociales du droit prive d'aujourd'hui ,Dalloz 1959,page 19.

أشار إليه د فيلالي علي، المرجع السابق،ص.50هامش رقم 18.

الفرع الثالث: الأثر المترتب عن مبدأ سلطان الإرادة

لا يمكن لإرادة الأطراف أن تعكر حرّيات الآخرين وهو ما نادى به أنصار مبدأ سلطان الإرادة في منحه الحرّية المطلقة في إبرام التصرفات القانونية طالما أنّ كلّ إنسان هو في حدّ ذاته قاضيا ممتازا لمصالحة فإنّه لا يكون كذلك بالنسبة للآخرين.

« Si chaque homme est le meilleur juge des ses interets, il n'est pas de ceux d'autrui »[1]

و بناء على ذلك فإنّ إنشاء التزامات يرجع للإرادة فإنّ الآثار كذلك التي ترتبها الالتزامات هي خاضعة للإرادة وترتيبا على ذلك فإنّ كان من ارتضاه الملتزم دينا في ذمته يكون كما يقول الدكتور السنهوري صحيحا ومنتجا لآثاره لأن التزامه هذا إنّما بني على إرادته فلا يصحّ أن نقيد من أثر العقد بدعوى أنّ هناك غبنا لحق احد المتعاقدين مادام أنه قد رضي بهذا الغبن ونفس الأمر بالنسبة لعقد العمل فإنّ العامل لا يمكن له الاحتجاج بأنّ الشروط التي ارتضاها وقبلها إنّما هي شروط جائزة، كما أنّ الأساس في العقد أن يكون التعادل بين الشخصين المتعاقدين وقد توفر كلّ منهما على حرّيته وإرادته فلا يهم إذن أن يكون ثمة تعادل بين الشيئين المتبادلين[2].

و بناء على ذلك فإنّ مبدأ الأثر النسبي للعقد مفاده أنّ آثار العقد لا تنصرف إلا للمتعاقدين لذلك بات من المؤكد أنّ كلّ الحقوق والتزامات التي يرتبها العقد تكون لاحقة مباشرة للمتعاقدين دون سواهم وهو ترجمة حقيقية لتلك الأفكار الفلسفية التي نادت بالتزام الفرد إلا بإرادته الحرة وعليه فإنّ العلاقة التعاقدية لا تلزم ولا تكسب إلا المتعاقدين[3].

المطلب الثالث: نطاق مبدأ سلطان الإرادة في العقود الدولية

اهتمّ الفقه القانوني بالنظام القانوني للعقود الدولية[4] حيث كان لجانب العقود الوطنية مجموعة من العقود التي تخضع طبقا للقانون الدولي الخاصّ إلى القوانين الأجنبية بالإضافة للقانون الوطني لذلك فإنّ مبدأ سلطان الإرادة اتسع كذلك دوره في الحياة الدولية من خلال تفعيل الأحكام المتعلّقة بالقانون الواجب التطبيق على مبدأ سلطان الإرادة وتكاد تكون الدراسة القانونية تتعلّق خاصّة بوظيفة هذا المبدأ في العقود الالكترونية حيث تنوّعت الدراسات القانونية في هذا المجال بخصوص تلك العقود من خلال إيجاد تكييف قانوني حقيقي لمبدأ سلطان الإرادة في ذات هذه العقود المستحدثة، فبناء على ذلك علينا أن نحدّد مدلول العقد الدولي حتّى نتوصّل إلى دور سلطان الإرادة في إنشاء مثل هذه العقود كما نضبط طبيعة هذا المبدأ في العقود الالكترونية وذلك حسب الفروع التالية:

الفرع الأوّل: مدلول العقد الدولي

---

[1] - F.terre,Philippe simler,y lequette,op cité,page.30.

[2] -عبد الرزاق السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، المرجع السابق،ص.145.

[3] - د فيلالي علي، المرجع السابق،ص.51.

[4] - راجع طيب زروتي، النظام القانوني للعقود الدولية في القانون الجزائري والمقارن،،رسالة دكتواره الدولة في القانون الخاص جامعة الجزائر، بن عكنون، سنة 1991

انتهج طيب رزوتي الدراسة المقارنة بين المشرع الجزائري والتشريع المقارن بخصوص تحديد التكييف القانوني للعقد الدولي حيث حدّد معالم هذا العقد والقوانين الواجبة التطبيق على هذا العقد[1] لذلك جاء تمييز العقد الدولي عن العقد الداخلي من خلال تارة معرفة قواعد التنازع التي تدخل في هذا المجال لاسيّما إذا كان لأطراف العقد كامل الحرّية في تحديد القانون الواجب التطبيق على العقد وتارة ثانية معرفة ما إذا كان العقد الدولي يمكن مباشرة الاعتماد على قواعد الخاصّة به[2].و بتطوّر التجارة أصبحت المعاملات الالكترونية تلعب دورا رياديا مما دفع البنك الدولي في تأكيده في سنة 1998 على مواكبة هذه التحولات الاقتصادية كما أكد كذلك مجلس الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (الأونكتاد) مخاطبا الدول لتوفير البيئة القانونية المناسبة للتجارة الالكترونية مما أدى بالعديد من المنظمات الدولية إلى مواكبة وتيرة النموّ الاقتصادي العالمي على غرار التجارة الالكترونية حيث تمخض عنه إصدار القانون النموذجي بخصوص التجارة الالكترونية سنة 1996 من طرف لجنة القانون التجاري الدولي التابعة للأمم المتحدة (الأونيسترال) مؤرخة في 1996/12/16[3] ثمّ تبنت غالبية التشريعات الوطنية هذه المبادرة الأممية. لذلك كانت للتفاوض الالكتروني أهمّية بالغة في مثل هذه العقود الدولية فبالرغم من اختلاف الفقه القانوني لتحديد تعريف جامع مانع لهذا التفاوض إلا أننا يمكن اعتماد تعريفا حديثا في الجزائر حيث جاء حمودي ناصر معرفا للتفاوض الالكتروني بأنّه " عملية تجري بين طرفين متعاقدين أو أكثر لأجل السعي لإبرام عقدهما الالكتروني عبر الوسائط الالكترونية التي أفرزتها الانترنيت[4].

و عندما كان للتفاوض دورا هاما في إرساء دعائم سلطان الإرادة فإنّه لا بدّ من إثارة موضوع القانون الواجب التطبيق على مثل هذا التفاوض الثنائي تعبيرا على العقد الدولي حيث توصّلت اتفاقية روما المؤرخة 19 جوان 1980 في مادّتها الأولى بأنّ أحكام هذه الاتفاقية تكون واجبة التطبيق عندما يتعلّق الأمر بوجود حالات تشكّل تنازع القوانين في الالتزامات التعاقدية، و هو وما جاء تأكيده من طرف محكمة النقض الفرنسية في قرار لها بتاريخ 11 أكتوبر 1989 والتي أفصحت على وجوب تقيد محكمة الاستئناف في فرنسا بالبنود المتعلّق بالنقود الأجنبية فيما يتعلّق بالقرض محل النزاع كما أضافت محكمة النقض في قرارها انه كان ينبغي لهذه المحكمة أن تبحث كذلك في ما إذا كان القرض لم يكن مخصص لتمويل عملية تجارية دولية[5].

---

[1]- راجع طيب رزوتي، المرجع السابق،ص6.5.4.

[2]-Jean Michel ,Le contrat international ,op cité,page 50.

[3]- صدر هذا القانون في 02 جوان 1996 وتم إقراره بناء على التوصية الصادر من الجمعية العامة للأمم المتحدة، رقم 51-662 -أشارت إليها عتيق حنان، مبدأ سلطان الإرادة في العقود الالكترونية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في القانون تخصص قانون التعاون الدولي، تاريخ المناقشة 2012/01/19،ص.3، هامش رقم 1، المركز الجامعي البويرة.

[4]- حمودي ناصر، النظام القانوني لعقد البيع الدولي الالكتروني المبرم عبد الانترنيت، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم، التخصص القانون جامعة مولود معمري تيزي وزو، للسنة 2009،ص.122.121.

[5] - cass 1 er civ,11,oct,1989, J.CP 1990,II,21393 Note J-ph.lévy » cité par Jean Michel, Le contrat international, op cité ,page.12.

و بناء على ذلك فإنّ لمبدأ سلطان الإرادة دورا رئيسيا في إنشاء مثل هذه العقود الدولية والتي يكون فيها حريّة المتعاقد في اختيار الطرف الآخر من خلال رؤية هذا المتعاقد في المصلحة التي سيحققها مع هذا الشخص دون غيره باعتبار شخصية المتعاقد الآخر في تحقيق العقد هي أساسية[1].وعليه فإنّ لمبدأ سلطان الإرادة دورا بارزا في تفعيل هذه العقود الالكترونية بالشكل الذي سنراه في الفرع التالي:

الفرع الثاني: دور مبدأ سلطان الإرادة في تفعيل العقود الالكترونية

جاء الاتجاه الدولي في تكريس عدّة جهود من اجل تأكيد حريّة المفاوضات في المادّة الأولى من قواعد droit Uni على أن يتمتع أطراف العقد بحريّة إبرامه كما نصت المادّة الثانية منها على أنّ "يكون الأطراف" أحرار في التفاوض ولا يكونون مسؤولين إذا لم يصلوا إلى اتفاق[2].

كما أكدت القوانين الوطنية كما رأينا على دور مبدأ سلطان الإرادة في إبرام العقود طبقا للمادّة 106 من التقنين المدني الجزائري، حيث جاء هذا الدور مرتبا لعدّة نتائج أهمّها الحريّة التعاقدية ومبدأ القوة الملزمة للعقد ونسبية أثر العقد. لذلك فإنّ هناك من يرى أنّ عملية التفاوض لا بدّ أن لا تخرج عن النية الجادة في التعاقد حيث يبقى للطرف المتضرر من ذلك التفاوض الذي يعتقد انه على غاية من الجدية المطالبة بالتعويض[3].لذلك كان مبدأ سلطان الإرادة مجسدا من خلال حريّة الأطراف في طريقة إجراء المفاوضات طالما أنّ المفاوضات العقدية هي المعبرة عن الإرادة المشتركة للمتعاقدين كما جاء تأكيد مبدأ التفاوض الحر لدى محكمة النقض المصرية وحتّى في بعض أحكام التحكيم التجاري الدولي في الحكم الصادر في قضية " A.G" AHTRV. and The gouvernement of Qatar حيث أكدت هيئة التحكيم على أنّ رفض الاقتراحات المقدّمة من المدعى وقطع المفاوضات من قبل المدعي عليه لا بعد خطأ مستوجبا المسؤولية مادام هذا العدول والرفض قد تمّ بحسن نية وكان مبررا طبقا للمبادئ المعمول بها في العمل التجاري الدولي[4].لذلك كان لمبدأ سلطان الإرادة دورا هاما في حل منازعات العقود الالكترونية بالشكل الذي سنراه لاحقا.

الفرع الثالث: دور مبدأ سلطان الإرادة في حل منازعات العقود الالكترونية

لقد شهد القانون الدولي الخاصّ تطوّرا لا مثيل له في مجال إخضاع العقد الدولي لقانون الإرادة والذي فتح الباب لاختيار القانون الدولي وفقا لسلطان الإرادة إلى جانب الجهة القضائية المختصة بغية التوصّل إلى تحرير عقود التجارة الدولية من سلطان القوانين والمحاكم الوطنية[5].

---

[1]- خليفاتي عبد الرحمان، مدى اعتداد القانون الجزائري بمبدأ سلطان الإرادة في إنشاء العقد وتنفيذه، رسالة ماجستير في القانون الخاص، معهد الحقوق والعلوم الإدارية بن عكنون، جامعة الجزائر، سنة 1987،ص.26.25.

[2]- الموقع www.indroit أشارت إليه عتيق حنان، المرجع السابق،ص19..

[3]- خليفاتي عبد الرحمان، المرجع السابق،ص.28.27.

[4]- نقلا عن عتيق حنان، المرجع السابق،ص.21.

[5]- خليفي سمير، حل النزاعات في عقود التجارة الالكترونية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في القانون، تخصص التعاون الدولي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو،2010ص.14.13.

ونظرا لافتقار التجارة الالكترونية لإطار تشريعي دولي خاصّ بها يسهر على تأطيرها في مختلف المعضلات القانونية الناجمة عنها فإنّ الفقه القانوني أجمع على ضرورة إخضاع مسألة الاختصاص القضائي والقانوني الناجمة عن التجارة الالكترونية لمبدأ سلطان الإرادة [1].ذلك ما دفع بالاعتراف بمبدأ سلطان الإرادة في الأنظمة القانونية من حيث تكريس هذا المبدأ في اختيار القانون الواجب التطبيق في القوانين الوطنية بحيث أصبح لقانون الإرادة قاعدة إسناد أصلية في مجال العقود الدولية وهو ما جسدته فعلا المادّة 18 من التقنين المدني الجزائري والتي تنصّ على أنه:" يسري على الالتزامات التعاقدية القانون المختار من المتعاقدين إذا كانت له صلة حقيقية بالمتعاقدين أو بالعقد. وفي حالة عدم إمكان ذلك يطبّق قانون الموطن المشترك أو الجنسية المشتركة.

وفي حالة عدم إمكان ذلك يطبّق قانون محل إبرام العقد، غير أنه يسري على العقود المتعلّقة بالعقار قانون موقعه". حيث يكون المشرع الجزائري قد حسم الأمر لنفوذ مبدأ سلطان الإرادة في اختيار القانون الواجب التطبيق شريطة أن يكون القانون المختار له صلة حقيقية بالمتعاقدين أو العقد وهو ما جاء تقريبا في المادّة 19 من التقنين المدني المصري والمادّة 25 من القانون العراقي كما أكده كذلك القانون الدولي الخاصّ النمساوي لسنة 1979 والأحكام المتعلّقة بالقانون الدولي الخاصّ لدى القانون الألماني لعام 1986 والقانون الدولي السويسري لسنة 1987 كما اعترف القانون التجاري الموحد للولايات المتحدة الأمريكية في مادّته 1/301ج:" الأطراف في المعاملات الدولية أيا كانت حقوقهم والتزامات لهم الحرّية الأساسية في اختيار القانون الواجب التطبيق على عقودهم، سواء كانت المعاملة ذات صلة بهذه الدولة أو الولاية أم لا" ونفس الأمر بالنسبة للقانون المدني السوري في المادّة 20 وكذا المادّة 19 من القانون المدني الليبي وكذا المادّة 59 من القانون الكويتي وهو ما تبناه قانون المعاملات المدنية السوداني لعام 1984 [2] لا وبل فإنّ اتفاقيات دولية وقوانين نموذجية اعترفت كذلك بتطبيق مبدأ الإرادة أهمّها اتفاقية روما لسنة 1980 في مادّتها 1/3 حيث يرى العديد من الفقهاء أنّ هذه الاتفاقية هي في حدّ ذاتها قانون دولي خاصّ نظرا للزمرة المتنوعة من الدول التي كانت لها العضوية في هذه الاتفاقية والأمر كذلك لاتفاقية فيينا (Convention de vienne) المؤرخة في 11 أفريل 1980 [3].

والجدير بالذكر أنّ منظمة الأمم المتحدة قد لعبت دورا أساسيا في تحفيز مبدأ سلطان الإرادة كأساس لتحديد القانون الواجب التطبيق حيث أخذت في احد فروعها للقانون الدولي التجاري

---

[1]- عتيق حنان، المرجع السابق،ص.93.

- حمودي ناصر، المرجع السابق، ص.133.

[2]- عيدعبد الحفيظ، مبدأ سلطان الإرادة في اختيار القانون الواجب التطبيق على عقود التجارة الدولية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الحقوق، فرع قانون الأعمال، كلية الحقوق جامعة مولود معمري، لسنة 2005،ص.23، أشارت إليه، عتيق حنان، المرجع السابق، ص99.

[3] -Jean Michel Jacquet,op cité,page 76.77

(C.N.U.C.I) بقانون الإرادة وحتّى في إطار التحكيم الدولي فإنّ المادّة 28 من القانون النموذجي للتحكيم التجاري الدولي لعام 1985 والمعدل والمتمم إلى غاية سنة 2006 فإنّها نصّت على " تفصل هيئة التحكيم في النزاع وفقا لقواعد القانون التي يختارها الطرفان بوصفهما واجبة التطبيق على موضوع النزاع وأي اختيار لقانون دولة ما أو نظامها القانوني يجب أن يؤخذ على أنه إشارة مباشرة إلى القانون الموضوعي لتلك الدولة... إذا لم يعيّن الطرفان أية قواعد...لا يجوز لهيئة التحكيم الفصل في النزاع على أساس مراعاة العدالة والحسنى، أو كمحكم عادل منصف إلا إذا أجاز لها الطرفان ذلك صراحة". كما تضمنت اتفاقية مكسيكو لعام 1994 في مادّتها 7 المتعلّقة بالقانون الواجب التطبيق على العقود الدولية بوضوح مسألة اتفاق الأطراف[1] ونفس الأمر تعلّق باتفاقية لاهاي لسنة 1986 المتعلّقة بالقانون الواجب التطبيق على عقود القانون الدولي للبضائع في مادّتها 7.

وأخيرا يمكن القول أنّ ثمة وسيلتين لاختيار الأطراف القانون الواجب التطبيق، فإما أن يكون هذا الاختيار صريحا وهو من صميم التعبير الحقيقي لقانون الإرادة وهو ما دعت إليه فعلا اتفاقية روما لسنة 1980 وما جسده كذلك مؤتمر سان فران سيسكو المنعقد في 10-11 من سبتمبر 2000 الذي دعا كافة الدول لمنح المتعاقدين على الشبكة كامل الحرّية في اختيار القانون الذي يحكم العقد[2]. وإما أن يكون هذا الاختيار للقانون الواجب التطبيق ضمنيا فهو مستخلص من ظروف وملابسات لذلك يرى طيب زروتي أنّ للقضاء دورا رئيسيا في عملية الاستخلاص فيه لأطراف المتعاقدة بحيث يمكن أن تكون ثمة قرائن ذاتية وهي مستوحاة من العقد ذاته وقد تكون خارجية والتي يبقى استنباطها في ظروف وملابسات العقد[3].

وغني عن البيان فإنّ للأطراف كلّ الحرّية في تحديد الجهة القضائية كلّ منازعات العقود الالكترونية وهو ما أقره الفقه القانوني بخصوص اللجوء إلى القواعد العامة للاختصاص القضائي وذلك من خلال تحديد المحكمة المختصة سواء أمام محكمة موطن المدعى عليه أو محكمة محل إبرام العقد أو محكمة محل تنفيذ هذا العقد أو محكمة الموطن المشترك[4].

المبحث الثالث: القيود الواردة على مبدأ سلطان الإرادة

عندما كان مبدأ سلطان الإرادة، في أقدم الحضارات وحتّى بعد بروزه في ظل النزعة الفردية التي انتشرت في القرن الثامن عشر، و بالرغم من دوره في أنشاء التصرفات القانونية عموما

---

[1]- Chatillon Stéphane,Le contrat international 3 eme édition Vuibert,Paris 2007,page 268

أشارت إليه عتيق حنان، المرجع السابق،ص.101

[2]- محمد إبراهيم عرسان أبو الهيجاء، القانون الواجب التطبيق على عقود التجارة الالكترونية، رسالة دكتوراه، معهد البحوث ولدراسات العربية، قسم الدراسات القانونية، جامعة الدول العربية، مصر 2004،ص.152، أشارت إليه عتيق حنان، المرجع السابق، ص104.

[3]- طيب رزوتي،ا لمرجع السابق،ص.231-235.

[4]- خليفي سمير، المرجع السابق،ص94.93.92.91.

والعقد بصفة خاصّة في مد المتعاقدين كامل الحرّية في إبرام العقود وتحديد مضمونها وآثارها فإنّ نظرية العقد تطوّرت في القانون الخاصّ نظرا لعدّة تحولات عميقة في بعض الشروط الاقتصادية[1] والاجتماعية مما دفعت الدولة في حدّ ذاتها بالتدخل في مسائل شتى سعيا منها في وضع استراتيجية موجهة الاقتصاد من جهة وذلك من خلال الحدّ من الحرّية التعاقدية وفرض عدّة إجراءات وشكليات حماية للتصرفات القانونية والمتعاقدين. تدخل الدولة ظهرا كذلك في منح القاضي سلطة مراقبة العقد ومراجعة شروطه فكان إذن العمل على تحقيق نزعة موضوعية للعقد وخلع النزعة القديمة والتي تدور حول الذاتية والشخصية فقط[2].

ولذلك علينا أن نحدّد التغييرات والتحولات الجذرية من خلال تقييد مبدأ سلطان الإرادة وذلك من حيث القواعد المقيدة لمضمون العقد في المطلب الأوّل ثمّ نتعرض في المطلب الثاني إلى القواعد المقيدة لشكل العقد أمّا المطلب الثالث فخصصناه للقيود المرتبطة بتدخل ومراقبة القضاء، أمّا المطلب الرابع فهو مخصص لموضوع الغاية الجماعية والموضوعية للعقد وذلك حسب التفصيل التالي:

المطلب الأوّل: القواعد المقيدة لموضوع العقد

تعرضت الآراء والأفكار التي روجت للنزعة الفردية لعدّة انتقادات مريرة أملتها الحياة الاقتصادية والاجتماعية المزرية التي حاولت بعد ظهور الطبقة العمالية داخل الشركات الضخمة والصناعات الكبيرة التي نتجت عن توغل وانتشار الحرّية الفردية واحتكارها لوسائل الإنتاج مما أدى إلى اختلال التوازن بين القوات الاقتصادية فظهرت الاشتراكية لمجابهة ذلك الاقتصاد الحر الفاحش، حتّى يتسنى للطبقة العمالية الحدّ من الحرّية المطلقة المدعمة من المذاهب الفردية[3].

لذلك تعرض مبدأ سلطان الإرادة للتقييد والحدّ من اطلاقه تحقيقا لنظرة اقتصادية جديدة مما دفع بالتفاف خصوم مبدأ سلطان الارادة إلى اعادة النظر في الإرادة التعاقدية من خلال احاطة هذه الإرادة الداخلية بسياج منيع من الضمانات أملتها عدّة اعتبارات ترتكز أساسا على استقرار التعامل بين الأفراد وبث روح الطمأنينة والثقة في نفوس المتعاقدين فأصبح سلطان القانون يتدخل لتنظيم العلاقات التعاقدية التي ينبغي ان تنشيء في حدود الدائرة المرسومة لها قانونا وحسنا فعل المشرع الجزائري كما علّق الفقه القانوني في الجزائر عندما ربط في المادّة 106 بين الإرادة والقانون حيث جاء فيها " العقد شريعة المتعاقدين فلا يجوز نقضه ولا تعديله إلا باتفاق الطرفين أو للأسباب التي يقررها القانون" وهو ما أكدته كذلك المحكمة العليا في الجزائر بتاريخ 1985/04/03[4] فمن خلال النظرة الحقيقية للعقد فإنّ الفقيه الفرنسي روني ديموق (René

---

[1] -Jean Imbert, Histoire du droit privé, »que sais-je »Presses universitaire de France,2eme édition,1961,page 111

[2]-فيلالي علي، المرجع السابق، ص.55 وما يليها.

[3]- عبد الرزاق السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، المرجع السابق،ص146.

[4]- ملف رقم 33528،م.ق، 198-4،ص.48،وكذلك القرار المؤرخ في 1983/03//16 ملف رقم 3094 م ق،ص39 أشار إليه بلحاج العربي، المرجع السابق،ص44،هامش رقم 2.

Demogue) توصّل إلى نتيجة بخصوص العلاقة التعاقدية مفادها أنه عند وضع تصور حديث لفكرة العقد فإنّ هذا الأخير لا يعبر عن حصيلة المصالح المتقابلة بل يعتبر أكثر على فكرة شركة مصغرة التي يكون فيها كلّ طرف يعمل على تحقيق هدف مشترك. والتي هي قيمة الأهداف الفردية محل اهتمام المتعاقدين مثلها مثل الشركة المدنية أو التجارية[1].

لذلك تأثرت نظرية العقد بالوظائف الجديدة للدولة، التي أصبحت متدخلة في كلّ الميادين الاقتصادية والاجتماعية وحتّى الثقافية، فأصبح لها يد في تسيير وتوجيه العقد حيث جاء تقييد الإرادة التعاقدية في عدّة جوانب وهو الذي أكده الفقه في فرنسا والجزائر من خلال التعبير عن هذه الظاهرة الجديدة ب: عيممة العقد (contrat du Publicisation)[2] وحسب رأي الدكتور على فيلالي فإنّ العقد الذي كان يجسد الإرادة الفردية أصبح محل تدخل الدولة والتي شاركت إرادة المتعاقدين في تكوين العقد وتحديد مضمونه كما أنّ القانون قد يحل،ولو جزئيا محل إرادة الأطراف في تكوينه وتحديد مضمونه، وقد يستغني المشرع في بعض الأحيان عن فكرة العقد تماما وهو ما جاء تقنينه فعلا في المادّة 136 من قانون 11/90 المتعلّق بعلاقات العمل: "يكون باطلا وعديم الأثر كلّ بند في عقد العمل مخالف للأحكام التشريعية والتنظيمية المعمول بهما وتحل محله أحكام هذا القانون بقوة القانون"[3].

مما أدى ببعض الفقهاء في فرنسا من التنديد بالمخاطر الاقتصادية والاجتماعية المنجزة عن الحرّية التعاقدية والقوة الالزامية للعقد[4] وبناء على ذلك فإنّ النظرة التشريعية والفقهية باتت تحتوي في طياتها تدخل الدولة حفاظا على التوازن الاجتماعي وحماية الضعفاء من الأقوياء.

و تجسد ذلك فعلا عند مراجعة القوانين العمالية وعقود الايجار وتوسع التشريعات الحديثة في مسألة الغبن والاستغلال الخ، كلّها قواعد من شأنها أن تكبح جماح مبدأ سلطان الإرادة وتقييد حرّيته والتضييق على مطامعه المشبعة بالنزعة الفردية[5]. كما أنّ التشريعات الحديثة لم تكتف بمحاصرة مضمون العقد بل وتأكدت نية المشرع كذلك في وضع اطارا شكليا لممارسة الحياة التعاقدية للأشخاص وذلك من خلال ما سوف نتعرض له في المطلب الثاني.

المطلب الثاني: القواعد المقيدة لشكل العقد

---

[1] --Une petite société ou chacun doit travailler dans un but commun qui est la somme des buts individuels poursuivis (par les contractants)... absolument comme la société civile au commercial » cite par Fr,Terre philipe Simler,yves lequuette,op cit,papge 41,page

[2] -Josse- rand,la publication du contrat, tome3,page.141.

[3] - Savetier les métamorphoses économique et sociales du droit civile d'aujourd'hui » édition 1964,page 82 et suit23

أشار إليه علي فيلالي،،المرجع السابق،ص.52 هامش

[4] Alain Benabent,op cit,page 71 et suite.- Alex Weill, François terré,op cit,page..62

[5] - وهو الوصف الذي جاءت به آراء فقهية وتحديد هذه الظاهرة بالتعبير: Institutionnalisation des rapport de droit privé contractualisation du droit public

-صادر بالمجلة الجزائرية للعلوم القانونية، الاقتصادية والسياسية لسنة 1992،ص79 ما يليها، أشار إليها فيلالي علي،المرجع السابق،ص520

لم تسلم القوانين الحديثة بمبدأ الرضائية في كلّ التصرفات القانونية بل أصبحت تعتمد على طريقة جديدة للتعبير عن الإرادة دون الالتفاف إلى الطريقة التقليدية التي باتت ترهق الطرف الضعيف في العقد كما أنّ الاكتفاء فقط بالرضائية La consensualisme أصبح مستبعدا في العديد عن التصرفات القانونية لذلك أصبح الفقه الحديث يعتمد على مسألة الشكل في التصرف القانوني كوسيلة تقنية لحماية الطرف الضعيف حيث أصبحت من الدراسات القانونية الجد متقدّمة في ميدان هذه الحماية في ظل التصرفات القانونية المتنوعة والمختلفة وفي تلاقي العلاقات التعاقدية[1].لذلك باتت الشكلية ضرورة ملحة في تكوين التصرفات القانونية والتي تنوعت وتوزّعت في القانون الخاصّ حسب مجموعة من المسائل نخص بالذكر على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر والكمال المسائل المدنية والتجارية. ومسائل الأحوال الشخصية حيث جاءت القاعدة العامة في التقنين المدني تقوم على فكرة بطلان التصرفات القانونية التي فرض فيها المشرع ركن الشكلية والتي كان الغاية منها كما يرى بعض المتخصصين[2]. حماية للمصلحة الخاصّة والمصلحة العامة، فجاءت لا سعاف أطراف التصرف القانوني وحتّى الغير له حماية عن طريق هذه الشكلية لما لها من دور في تحقيق العدالة وتسهيل مهمّة القضاء، كما أنّ هذه الشكلية تحقق الأمن والائتمان. فبالرغم من أنّ الشريعة الإسلامية اعتبرت الرضائية هي الأصل في إنشاء العقود استنادا للمواثيق والعقود طبقا لما جاء في أحكام القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة[3]. فإن غالبية القوانين الوضعية فرضت هذه الشكلية كأداة لترقية الحياة الاقتصادية وانتعاشها وتنظيم الملكية العقارية وتشجيع الاستثمار العقاري للمساهمة في التنمية الاقتصادية الوطنية فمن المساعي الأساسية للدولة هو توجيه الاقتصاد بواسطة فرض هذه الشكلية وتمكن أجهزة الدولة من مراقبة المعاملات لا وبل فقد تقوم الدولة بالحدّ من بعض المعاملات التي لا تتماشى والتوجهات السياسية والاقتصادية للدولة[4]. لذلك عبرت بعض الآراء حول وصف الشكلية بأنّها المظهر الخارجي للعمل القانوني وهي التعبير المادّي عن إرادة من يشارك في تحضير العمل القانوني وإبرامه، فالإرادة

---

[1] Hervé-Jacquenin, « Le formalisme de protection de la partie faible au rapport contractuel thèse présente en vue de l'obtention du titre de docteur en droit aux facultés universitaire Notre Dame de paix, Namur..Le 28 Avril 2009,Page4.5

[2]-شيخ سناء، الشكلية في إطار التصرفات العقارية بين التشريع والقضاء، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في القانون الخاص، جامعة أبو بكر بلقايد، كلية الحقوق والعلوم السياسية، تلمسان، السنة الجامعية 2011-2012،ص.34 وما يليها

- يحياوي يوسف، الشكلية غير مباشرة وأثرها على فعالية العقود مقدمة لنيل شهادة الماجستير في القانون الخاص، فرع العقود والمسؤولية، جامعة الجزائر 1،كلية الحقوق، السنة الجحامعية2013-2014،ص.6

- سيدي يخلف حفيظة، الشكلية لانعقاد البيع العقاري في القانون الجزائري، مذكرة من أجل الحصول على شهادة الماجستير في الحقوق، فرع العقود والمسؤولية، جامعة الجزائر 1،كلية الحقوق، السنة الجامعية 2009/2010،ص.12 وما يليها.

- Nagu yen tien tien,Le formalisme en matière contractuelle dans le droit français et vietnamien, thèse Doctorat soutenue le 30 Novembre 2011,op cit,page 11 et suite

[3]- خليفاتي عبد الرحمان، مدى اعتداد القانون الجزائري بمبدأ سلطان الإرادة ف في إنشاء العقد وتنفيذه ا الحقوق، جامعة الجزائر، سنة 9987،ص.08

[4]- سيدي يخلف حفيظة، المرجع السابق،ص.13.12.

هي جوهر التصرف والشكل هو إخراج هذه الإرادة إلى الخارج، فهو كناية عن القالب الذي يوضع فيه العمل القانوني وبالتالي لا يوجد أي عمل قانوني تترتب عليه آثار دون أن يظهر بشكل معيّن[1] وعندما كانت الشكلية أساسية في أنشاء أهمّ التصرفات القانونية لما لها من خصائص جعلت مجالاتها متسعة وصورها متعددة وأغراضها متنوعة وذلك من خلال الشكلية المباشرة والشكلية غير مباشرة[2]. لذلك يرى الفقه القانوني أنه في حالة انعدام ركن الشكلية فإنّه يترتب عليها بطلان التصرف القانوني[3]. طالما أنّ المعاملات الواردة على العقارات لاسيّما منها الناقلة للملكية وكذلك التصرفات القانونية الواردة على المحل التجاري وتأسيس الشركات المدنية والتجارية والعقود الأخرى المرتبطة بهذه الشركات تكون باطلة إذا لم يتم مراعاة إجراءات الشكلية من توثيق التصرف القانوني وتسجيليه لدى إدارة التسجيل وشهره في المحافظة العقارية بالنسبة للعقارات وكلّ شروط تتطلّبها مقتضيات الشكلية المباشرة وغير المباشرة فإذا انعدمت هذه الإجراءات. فمن الفقهاء في الجزائر من علّق على المشرع الجزائري المدني الجزائري وعندما جاء لتوضيح قراءة المادّة 324 مكرر1 بخصوص إلزامية الرسمية في التصرفات القانونية حيث جاء تأكيد الرسمية باعتبارها شرط جوهري في التصرف وليست مجرد وسيلة من وسائل الإثبات[4].وهو في رأينا موقف سليم يتفق مع نية المشرع المدني في فرض الشكلية لإنشاء التصرفات القانونية تحت طائلة البطلان.

وهو ما جاء تأكيده فعلا من طرف المحكمة العليا في الجزائر في قرار لها صدر بتاريخ 17 أفريل 1996 والذي جاء فيه إذا كان القانون يخول للقاضي سلطة إصدار حكم قضائي يقوم مقام العقد في حالة ما إذا نكل الطرف الآخر عن تنفيذ الوعد فإنّه اشترط مع ذلك توافر الشكلية في الوعد بالبيع. و متى ثبت في قضية الحال انعدام وجود وعد رسمي لبيع فيلا ورفض البائع التوجه أمام الموثق لتوثيق البيع العرفي، فليس أمام الطاعنين حينها إلا المطالبة بالتعويض كأثر قانوني لعدم تنفيذ التزام قانوني لا تتوفر فيه الشكلية القانونية[5].

وأخيرا يمكن اعتماد ما توصّل إليه بعض المتخصصين في مجالات الشكلية بأنّ هنالك تلازم بين الرضائية والشكلية والتأثير المتبادل بينهما، حيث يبقى للإرادة دورا أساسيا في تحديد الآثار الموضوعية للتصرف القانوني بينما تتولى الشكلية إبراز هذه الوقائع بصورة معيّنة فالشكل ليس هو العنصر الوحيد في التصرف القانوني كما كان في القانون الروماني بل لا بدّ من وجود الرضائية

---

[1]- محمد علي عبده، دور الشكل في العقود، دراسة مقارنة، طبعة أولى، سنة 2007، أشار إليها يحياوي يوسف، المرجع السابق،ص5.

[2]- زواوي محمود ،الشكلية للصحة في التصرفات المدنية في القانون الجزائري، مذكرة ماجستير، كلية الحقوق، جامعة الجزائر، ص.38 وما يليها.

- فيلالي علي،/ المرجع السابق،ص.294 وما يليها.،

[3]- حبار محمد، نظرية بطلان التصرف القانوني في القانون المدني الجزائري وفي الفقه الإسلامي، دراسة مقارنة، رسالة لنيل درجة دكتوراه الدولة في القانون الخاص، معهد الحقوق والعلوم الإدارية ، بن عكنون، جامعة الجزائر،1987،ص.178.177.

[4]- حبار محمد، المرجع السابق،ص231.331.

[5]- سناء شيخ، المرجع السابق،ص.162.

بجانب هذه الشكلية[1]. كما أنّ هذا العقد يبقى في ظل القوانين الحديثة تحت رقابة القضاء بالشكل الذي سنراه لاحقا.

المطلب الثالث: القيود المرتبطة بتدخل ومراقبة القضاء

عندما كان المشرع يسعى في تدخله في تنظيم العلاقات التعاقدية إنّما كان يبتغي من وراء ذلك حماية الطرف الضعيف في العقد لذلك يرى الفقيه جوسيران Jossesand[2] أنه لا بدّ من تجديد المفاهيم نظرا للتحولات السياسة والاجتماعية والاقتصادية كما انه يجب استبدال المساواة المجردة بالمساواة الحقيقية في التصرفات القانونية. مما أدى إلى ضرورة تدخل جهاز القضاء للوقوف أمام الشروط التعسفية في العقود من جهة ومن جهة ثانية مراقبة التصرفات القانونية في مدى مطابقتها للقوانين والتنظيم الجاري به العمل في شأن إبرام التصرفات القانونية، كما أنّ القاضي يسهر كذلك على تفسير أحكام العقد، حيث يرى بعض الفقهاء من فرنسا أنّ القاضي هو بمثابة المفسر للإرادة الحقيقية للأطراف، بحيث كان لزاما على القاضي البحث والاعتماد على مجموعة من القرائن والافتراضات لكشف الإرادة الغامضة التي لا تعبر عن الإرادة الحقيقية، ومثالهم في ذلك نظرية العقد الناقص La théorie du contrat incomplet[3]، وهو ما أدى بهؤلاء الفقهاء بالقول أنّ الحرّية التعاقدية أصبحت بمثابة الفخ الذي يقع فيه المتعاقد الضعيف[4].

لذلك جنحت القوانين الوضعية إلى منح القاضي دورا كبيرا في التدخل بالنسبة لعقود الإذعان معالجة القبول (المادّة 70 من التقنين المدني الجزائري) ومراقبة هذا الأخير للشروط التعسفية وتأويل العبارات الغامضة في العقد طبقا لأحكام المواد (110 و112 من التقنين المدني الجزائري) وهو ما أكده الدكتور "علي فيلالي" باعتبار أنّ ذلك ظهر في الاتجاهات الجديدة من خلال العقود النموذجية كما جاء على سبيل المثال في المرسوم التنفيذي 94-58 المؤرخ في 1994/03/07، وقانون علاقات العمل رقم 90-11 المؤرخ في 21 أفريل 1970 [5]، لذلك وسعت القوانين التي حذت حذو القانون الفرنسي من سلطة القاضي من التدخل في تعديل العقد حماية للطرف الضعيف، حيث أصبح للقضاء دور في تقييد سلطة الإرادة، كلّما كان ذلك ضروريا لحماية مصالح المتعاقدين[6].

وأخيرا يمكن القول أنّ الفقه في الجزائر اعتبر أنّ المشرع الجزائري أتاح للقاضي بالتدخل لمراقبة عقود الإذعان[7]، والشرط الجزائي والتنفيذ العيني للالتزام، كما أنّ المشرع الجزائري إعتمد نظرية الظروف الطارئة في العقود[1].

---

[1]- زواوي محمود، المرجع السابق،ص43.42.

[2]- أشار إليه فيلالي علي، المرجع السابق،ص54 هامش رقم29.

[3] -Alex Weill et François terré op cit , page 64 N° 61.

[4] -« La liberté contractuelle devient un piège pour le contractant faible » cité par Alex weill et François terré page, 62 N° 66

[5] -علي فيلالي، المرجع السابق، صفحة 55 هامش، رقم 34.

[6] - عدنان إبراهيم السرحان، نوري حمد خاطر، المرجع السابق، ص 35.

[7] -لعشب محفوظ . عقد الإذعان في القانون المدني الجزائري، طبعة 1990، أشار إليه الدكتور علي فبلالي، المرجع السابق ، صفحة 55 هامش 34

المطلب الرابع: القواعد المتعلّقة بالنزعة الجماعية والموضوعية للعقد

عندما كانت الحرّية التعاقدية مضمونة من طرف المشرع، فإنّها وإن كانت محققة، إلا أنّها تخضع لمقتضيات النظام العام، بالنظر مبدئيا للصالح العام l'intérêt général، حيث قام المشرع بتضييق الممارسة التعاقدية بما تتماشى والحاجة الجماعية، مما سمح بفرض الضرورة الاجتماعية[2].

فأصبحت بالتالي هذه الضرورة الاجتماعية تشكّل استثناء على مبدأ سلطان الإرادة طالما أنّ النظام العام جاء لخدمة المصلحة العامة، سواء في ظل القوانين الداخلية أو القانون الدولي بمناسبة تطبيق قواعد القانون الدولي الخاصّ، فعلى سبيل المثال، فإنّه لزاما أن يكون اختبار القانون الواجب التطبيق لأية دولة معيّنة، أن لايتناقض، ويعترض النظام العام المنتهج في الدولة الأجنبية، عندما يسمح للقاضي باستبعاد قانون إرادة المتعاقدين إذا كان مخالف للنظام العام تلك الدولة الأجنبية، كما أنّ حماية المستهلك إحتاجت إلى عناية خاصّة من لدن التشريعات الوطنية والدولية والتي جاءت حتّى الاتفاقيات الدولية من التدخل لحماية المستهلك على الصعيد الوطني والدولي بالنظر دائما إلى الصالح العام في خدمة المستهلكين، والتي تتطلّب وضعيتهم في العقود تدخلا على الصعيد الوطني والدولي في فرض قواعد قانونية حماية للمستهلك، لذلك كان لجوء التجار إلى حلول لإقناع الطرف المستهلك للتعاقد حتّى بالصيغة الإلكترونية شريطة الخضوع إلى قواعد حماية المستهلك، وهو ما أكدته بعض الاتفاقيات الدولية[3].

لذلك أصبحت الإرادة الشخصية كما يقول الدكتور بلحاج العربي تخضع للصالح العام، كما أنّ القوة الملزمة للعقد هي قوة محدودة، وهي مستمدة من القانون أو الحكم القضائي، وعلى هذا تكون الإرادة في القانون الجزائري إرادة خاضعة (Volonté subordonnée) وليست مستقلة (volonté autonome)، وهي في خدمة الأفراد ومصالح المجتمع [4]، وهو ما جاء فعلا تأكيده حاليا لدى الفقه الفرنسي الحديث الذي أصبح يقترح بدائل جديدة في النمط التعاقدي الذي سمي "بالعالم التعاقدي الجيد" " le monde contractuel meilleur " لمعالجة الأزمة التي يعيشها العقد والذي يستدعي تحديد قانون العقود انطلاقا من عدّة قناعات فقهية تدور حول مفاهيم مختلفة كمبدأ المساواة العقدية « principe « d'égalité contractuelle » والتضامن العقدي «solidarisme contractuel » والتوازن العقدي « l'équilibre contractuel » وأخيرا مبدأ النسبية أو التناسبية « principe de proportionnalité ».[5]

---

[1] د علي بلحاج العربي، المرجع السابق، صفحة 44، هامش 1.

[2] F. terre ph simler et y. lequette op cit , page 37 N° 34.

[3] -Dans le contrat de consommation , le droit communautaire européen , interdit les clauses de juridiction à l'article 15 de la convention du Bruxelles et à l'article 17 du règlement 44/2001 ce en ce qui concerne les contrats visés par l'article 13 de la convention du Bruxelles à l'article 15 du règlement voir le règlement (CE) N° 44/2001 du conseil du 22 décembre 2000, concernant la compétence judicaire la reconnaissance et exécution des décisions en matière civile et commerciale , J.O 12 du 16/01/2001

أشارت إليه عتيق حنان، المرجع السابق صفحة 126 هامش 92.

[4] -د بلحاج العربي، المرجع السابق،ص.45.

[5] -F. terré , ph simler yves lequette , op cit , p 40-44-45-46.

وأخيرا يمكن اعتماد رأي الدكتور فيلالي علي عند تشخيصه لمسألة مكانة سلطان الإرادة في ظل التطوّرات القانونية الحديثة وأن ثمة مبادرات قانونية بالاعتداد بالأوضاع الحقيقية كبديل للأوضاع المجردة فالعبرة أصبحت بالمساواة الحقيقية اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا، بدل المساواة السياسية، وبالنزعة الموضوعية والجماعية بدلا من النزعة الذاتية أو الشخصية[1].

الخاتمة:

وأخيرا يمكن القول من خلال الدراسة المستفيضة في موضوع مبدأ سلطان الإرادة أنّ ثمة عوامل كثيرة مهّدت الطريق لبروز هذا المبدأ، لاسيّما في بداية القرن التاسع عشر، من السماح للنزعة الفردية أن تسيطر على العلاقات التعاقدية، لفرض الحرّية المطلقة في تحديد مضمون العقد وترتيب آثاره، لكن سرعان ما تعرضت هذه الحرّية المطلقة إلى الكثير من الانتقادات الاقتصادية والاجتماعية إلى أن أصبح الفكر القانوني ينادي بوجوب الحدّ من سلطان الإرادة تفاديا لعدم التوازن بين الطرف القوي في العقد، والطرف الضعيف مما سمح بعد ذلك بتقنين مجموعة من القواعد القانونية حماية للطرف الضعيف، وتحقيق نوع من السلم الاقتصادي والاجتماعي، وكذلك باتخاذ مجموعة من التدابير القانونية والتنظيمية لمحاصرة تلك الحرّية المطلقة ومحاولة تحقيق الغاية الجماعية والفردية في آن واحد، وهو ما ترجمته عدّة تغييرات جوهرية في مضمون وشكل العقد، وكذلك منح فرصة لمراجعة بنود العقد ومراقبته من لدن القضاء وتحقيق المصلحة العامة والسعي لتجسيد دولة الحق القانون في ذات العقد باعتباره الركيزة الأساسية لمصادر الالتزامات الإرادية.

قائمة المراجع

1/ باللغة العربية

الكتب

1-ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين،الجزء الثالث.

2-ابن تيمية، الفتاوى،الجزء.3

3- الكاساني، بدائع الصنائع، الجزء الثالث.

4-عبد الرزاق السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني،نظرية الالتزام بوجه عام،مصادر الالتزام، الجزء الأوّل، دار أحياء التراث العربي، بيروت.

5-عبد الرزاق السنهوري، مصادر الحق في الفقه الإسلامي، الكتاب 3.2.1،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة 1954، الجزء الأوّل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

6- دليلة فركوس، تاريخ النظم، النظم القديمة، أطلس للنشر، طبعة .1993

7- فيلالي على، التزامات، النظرية العامة للعقد، طبعة منقحة ومعدلة، موفم للنشر، الجزائر، طبعة.،2008

---

[1] نقلا عن الدكتور فيلالي علي ، المرجع السابق، ص 56.

8- عدنان إبراهيم السرحان، نوري محمد خاصر، شرح القانون المدني، مصادر الحقوق الشخصية، الالتزامات، دراسة مقارنة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة السادسة،2015.
9- امجد محمد منصور، النظرية العامة للالتزامات، مصادر الالتزام، دراسة في القانون المدني الأردني والمصري والفرنسي، مجلة الأحكام العدلية والفقه الإسلامي، دار الثقافة للنشر والتوزيع،طبعة.2009
10- العربي بلحاج، النظرية العامة للالتزام في القانون المدني الجزائري، الجزء الأوّل، ديوان المطبوعات الجامعية، طبعة1999.

ب-الرسائل والمذكرات

1-حبار محمد، نظرية بطلان التصرف القانوني في القانون المدني الجزائري وفي الفقه الإسلامي، دراسة مقارنة، رسالة لنيل درجة دكتوراه الدولة في القانون الخاصّ، معهد الحقوق والعلوم الإدارية، بن عكنون، جامعة الجزائر،.1987
2- طيب زروتي، النظام القانوني للعقود الدولية في القانون الجزائري والمقارن، رسالة دكتواره الدولة في القانون الخاصّ جامعة الجزائر، بن عكنون، سنة 1991.
3-حمودي ناصر، النظام القانوني لعقد البيع الدولي الالكتروني المبرم عبد الانترنيت، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم، التخصص القانون جامعة مولود معمري تيزي وزو، للسنة .2009
4-شيخ سناء الشكلية في إطار التصرفات العقارية بين التشريع والقضاء، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في القانون الخاصّ، جامعة أبو بكر بلقايد، كلّية الحقوق والعلوم السياسية، تلمسان، السنة الجامعية 2011-2012.
5- زواوي محمود، الشكلية للصحّة في التصرفات المدنية في القانون الجزائري، مذكرة ماجستير، كلّية الحقوق، جامعة الجزائر، سنة .1987
6-خليفاتي عبد الرحمان، مدى اعتداد القانون الجزائري بمبدأ سلطان الإرادة في إنشاء العقد وتنفيذه، رسالة ماجستير في القانون الخاصّ، معهد الحقوق والعلوم الإدارية بن عكنون، جامعة الجزائر، سنة .1987
7 -سيدي يخلف حفيظة، الشكلية لانعقاد البيع العقاري في القانون الجزائري، مذكرة من أجل الحصول على شهادة الماجستير في الحقوق، فرع العقود والمسؤولية، جامعة الجزائر1،كلّية الحقوق، السنة الجامعية 2010./2009
8-خليفي سمير، حل النزاعات في عقود التجارة الالكترونية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في القانون، تخصص التعاون الدولي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو،2010.
9-عتيق حنان، مبدأ سلطان الإرادة في العقود الالكترونية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في القانون تخصص قانون التعاون الدولي، تاريخ المناقشة 2012/01/19، المركز الجامعي البويرة.
10-يحياوي يوسف، الشكلية غير مباشرة وأثرها على فعالية العقود مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في القانون الخاصّ، فرع العقود والمسؤولية، جامعة الجزائر،1،كلّية الحقوق، السنة الجامعية2013-.2014

2/ باللغة الفرنسية

I-Ouvrages

1-Alain Benabent, Droit civil les obligations 12 eme édition Montchrestien,2010.
2-Alex Weill et François terré, Droit civil, les obligations, 3eme édition , Dalloz précis ,Dalloz,paris.1980.
3-Boris Stark,Henri Roland,Laurent Boyer Introduction au droit ,2eme Edition,1988 Litec Libraire de la cour de cassation ,Paris.
4-Fr.terré ph.simler y le quette,droit civil ,les obligations,10 eme édition Dalloz,2009.
5-J.Bart-Histoire du droit privé de la chute de l'empire romain, aux XIXe siècle 2eme édition Mont chrestien 2009..
6-Jean Imbert, Histoire du droit privé (que sais—je?)Presses universitaire de France 2eme édition,1961.
7-Jean Michel Jacquet le contrat international ,Droit privé, connaissance du droit,2eme édition Dalloz,1998.
8-Jean-luc Aubért ,Introduction au droit et thèmes Fondamentaux taux du droit civil, Armand,colin,paris ,1984.

II-Theses

1-Hervé-Jacquenin, « Le formalisme de protection de la partie faible au rapport contractuel » thèse présente en vue de l'obtention du titre de docteur en droit aux facultés universitaire Notre Dame de paix, Namur..Le 28 Avril 2009.
2-15-Ngyen tientien, le formalisme en matière contractuelle dans les droits Français et vietnamien, thèse de Doctorat sous tenue le 30 Novembre 2011,Université panthéon-Assas école Doctoral de droit.



Université Amar Telidji -Laghouat-

DIRASSAT

Revue internationale

N° 38

JANVIER 2016

ISSN 1112-4652